الصَّحابة الكرام

مكانتهم وجهودهم في حفظ السنة النبوية

وواجب الأمّة نحوهم

الطبعة الأولى

١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م

المملكة الأردنية الهاشمية
رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية
(٧٠٨ / ٢/ ٢٠١٢)

السعودي، أحمد عطية

الصحابة الكرام مكانتهم وجهودهم في حفظ السنة النبوية وواجب الأمة نحوهم/ أحد عطية السعودي_ عمان: دار المأمون للنشر والتوزيع، ٢٠١٤.

(٢١٦) ص

ر.أ: (٧٠٨ / ٢/ ٢٠١٢).

❖ يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مصنفه ولا يعبّر هذا المصنف عن رأي دائرة المكتبة الوطنية أو أي جهة حكومية أخرى.

ISBN	٩٧٨-٩٩٥٧-٧٧-١١٣-٣	ردمك



الصَّحابة الكرام

مكانتهم وجهودهم في حفظ السنة النبوية

وواجب الأمّة نحوهم

الدكتور أحمد عطية السّعوديّ



دار المأمون للنّشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَة

الحمدُ لله الذي نزَّلَ أحسنَ الحديث هدىً للناس وبيّناتٍ من الهُدى و الفُرقان، وامتنَّ على الصَّحابة الكرام بدينِ الهُدى، وصُحبةِ خير الأنام:

﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾(١) .

وأفضلُ الصَّلاةِ والسَّلام، وأزكى التَّحيةِ والإكرام على محمّدٍ ﷺ حاملِ الوحي، ومبلّغِ الرّسالة، وقائدِ الخلق إلى الحقّ، وبعد،

فما عرفَ التاريخُ الإنسانيّ – من لدن آدم إلى يومِ الناس هذا – جماعةً علّمَت الأممَ سُبل السّعادة والنّجاة، وفنَّ الحياة الهانئة، وصناعةَ الحضارة الهادية كأصحاب محمّد ﷺ الذين غَدَوا مصابيحَ دُجى، بأيِّهم اقتدى المرءُ اهتدى، والذين عاشوا في أرض تَفحُّ رمضاؤها ناراً، فاحتملوا ذلك إيماناً واحتساباً، ولم يقنعوا في شرف الدَّعوة المَروم بها دون النُّجوم، فخرجوا زَرَافاتٍ ووُحْدَاناً تظلّلهم راياتُ الفتح، حتى إذا هبطوا أرضاً مريضةً بالضَّلال تتبّعوا أقصى دائها العُضال، فشَفَوها بما حملوا في صدورهم من نُور مُبين، وخير عَميم، وقد رغبوا عن مطامع الدنيا سَنيِّها ودَنيِّها، وترفَّعوا عن سَفْسافِها ومحاقرها.

ولم تكنْ لهم غاية يمدّون إليها أعينُهم غير إقامة موازين القِسْط بين الناس، وإخراجِهم من الجاهليّة الجهلاء، والضَّلالة العَمياء إلى معارج الإيمان، ومدارج الرّقي.

---

(١) آل عمران، آية ١٦٤.

ولا غروَ أنْ يكون لهم أرفع منـزلة، وأسمق مكانة، وأكمل شأن؛ إذْ كان أحدُهم فُراتاً زاخراً في عطائه وتضحيته، وربيعاً باكراً في نمائه وخِصْبه، تشرقُ الدنيا بطلعته، وتفرحُ الأعياد برؤيته.

وكان أحدُهم مدرسةً جامعةً لمحامد الخِصال، ومحاسن الخِلال، قد جانبَ الخلق الذميم في مَسْلكه، وجافى الغريبَ الوحشيّ في كلامه؛ لئلا يمجّه سمع، أو يَنْفر منه طبع، ولا عجب، فمعلِّمُهم محمّدٌ ﷺ هو صاحبُ الخلق العظيم، وهو أفصحُ العرب، ومالكُ أعنَّة البلاغة، قد أهدى إلى الشَّادين بياناً يلطفُ

كالنسيم رقّة، ويسيلُ كالماء عُذوبة، يمتزجُ بالنفوس لنفاسَتِه، ويُشربُ بالقلوب لِسَلاسَتِه:

زانتـك في الخُلـقِ العظيـمِ شـمائل   يُغْـرَى بهـنَّ ويولَـعُ الكُرمـاءُ

وإذا خطبـتَ فللمنابـرِ هـزَّةٌ   تَعْـرو النَّـدِيَّ وللقلـوبِ بكـاءُ[1]!

ولأجل ذلك فإنَّ الأمةَ كلَّها اليوم – وقد غَشيتْ ديارَها رياحُ سَموم – تتنسّمُ شذا أنفاسِهم، وتنْشقُ عبيرَ تضحياتهم، فهي في شوقٍ إليهم مُقيم، وحُبّ مُتجدّد مُتّصل، لو فُرِّقَ على القلوب الخالية لاشتغلتْ، ولو قُسِّمَ على الأكباد الباردة لاشتعلتْ!

ولأجل الوقوف على ما للصّحابة الكرام من مكانة مرموقة، وحقوق جمّة، وتعرُّف جهودهم في حفظ السّنة تحمّلاً وأداءً، واستجلاء أثرهم في الدّراسات الشّرعيّة والثقافة الإسلاميّة، وتبيان واجب الأمّة نحوهم، من أجل ذلك كلّه كانت هذه الدّراسة الموسومة بـ"مكانة الصّحابة وجهودهم في حفظ السّنة وواجب الأمّة نحوهم".

---

(١) الشوقيات، أحمد شوقي، دار مكتبة التربية، بيروت، د.ط، ١٩٩٤م. ج١، ص ٢٤.

مسوِّغات الدّراسة وأهميتها:

تستمدّ هذه الدّراسة مسوِّغاتِها العلميّة وأهميتها الدينيّة من المنابع الآتية:

١ – المكانة المميَّزة للصّحابة رضوان الله عليهم في القرآن الكريم.

٢ – الإشادة العَطِرة بفضائل الصّحابة الكرام في السُّنة النبوية.

٣ – توقير المسلمين في أرجاء الأرض للصّحابة ﷺ، وإقبالهم على مدارسة حياتهم، وتعرّف هَدْيهم.

٤ – حاجة الناشئة في هذا العصر إلى النماذج الحية الصَّافية المتمثلة في الصَّحابة ﷺ تلاميذِ محمّد ﷺ الذين عاشوا الإسلام عقيدةً ومَسْلكاً نحو قرن من الزَّمان.

٥ – حاجة المكتبة الإسلاميّة إلى دراسة مستقلة تجلّي مكانة الصّحابة ﷺ، وتقف على أثرهم في حفظ السنة النبوية، وتبيّن واجب الأمة نحوهم.

منهج الدّراسة:

تعتمد هذه الدّراسة على المنهج الوصفيّ الذي تتحدّد خطواته العمليّة على النحو الآتي:

١ – جمع المادة العلميّة، والوقوف على أصولها الأولى من خلال الرُّجوع إلى القرآن الكريم، وأمّات

٢ – الكتب في الحديث، والسّيرة، والتفسير، والتاريخ، والتراجم.

٣ – الإفادة من مؤلّفات المعاصرين، ولا سيما الدّراسات الرّصينة، والبحوث المحكّمة.

٤ – مدارسة النصوص، وتدبّر سياقاتها المختلفة، واستنتاج الأحكام الدَّقيقة.

٥- عرض الأفكار بصورة واضحة مُتسلسلة وفق السَّنَن المتّبع في المنهج العلميّ.

٦- إيراد الآيـات الكريمـة المتعلقـة بالدّراسـة، وبيـان مواضـعها في سُـور القـرآن الكريم.

٧- كتابة الآيات الكريمة بالرَّسم العثمانيّ، وتمييزها بوضعها بين قوسين مزهرين.

٨- إيراد الأحاديث النبويّة الشَّريفة المتعلّقة بالدّراسة، والاستشهاد بالصَّحيح منها.

٩- إيراد بيانات المصدر كاملة عند وروده أول مرّة، ثمّ الاكتفـاء بعـد ذلـك بـذكر المصدر، ومؤلّفه، والجزء إنْ وُجد، ورقم الصّفحة.

١٠- رَفْد الدّراسة بالجداول التوضيحيّة.

١١- بيان الكلمات الغريبة التي وردت في بعض النصوص المقتبسة.

١٢- ضبط النصوص المقتبسـة بالشّـكل وعلامـات الإعـراب، وعَـزو الأقـوال إلى قائليها.

١٣- مراعاة التَّسلسل الزّمنيّ عند ذكر أقوال العلماء، أو عرض مصنّفاتهم.

١٤- ذكر تواريخ وَفَيات الأعلام الذين ترد أسماؤهم في متن الدّراسة.

١٥- المراوحة بين السّرد والترقيم وفق مقتضى المعالجة البحثيّة.

١٦- المزاوجة في لغة البحث بين الأسـلوب العلمـيّ التقريـريّ، والأسـلوب الأدبيّ التعبيريّ.

١٧- استخلاص النتائج التي هَدتْ إليها الدّراسة.

خُطّة الدّراسة:

اشتملت خُطّة الدّراسة على مقدّمة، وثلاثة فصول، وخاتمة.

تناولت المقدّمة موضوع الدّراسة، ومسوِّغاتها العلميّة، ومنهجها، والخُطّة التي سارت عليها.

وتناول الفصل الأول مكانة الصَّحابة وحقوقهم في الإسلام، واشتمل على ثلاثة مباحث:

١- تعريف الصَّحابيّ في اللغة والاصطلاح.

٢- مكانة الصَّحابة في القرآن والسّنة.

٣- حقوق الصَّحابة الكرام.

وتحدّث الفصل الثاني عن جهود الصَّحابة في حفظ السّنة، وضمّ ثلاثة مباحث:

١- تلقّي السّنة وتحمّلها.

٢- أداء السّنة وتبليغها.

٣- آثار جهود الصَّحابة في الدّراسات الشَّرعيّة، والثقافة الإسلاميّة.

وعالج الفصل الثالث واجب الأمّة نحو الصَّحابة، وتضمّن ثلاثة مباحث:

١- الواجب المعرفيّ.

٢- الواجب التربويّ.

٣- الواجب الحضاريّ.

أمَّا الخاتمة فاشتملت على أهم نتائج البحث، وأبرز التوصيات.

وليس لي بعد إنجاز هذه الدّراسة إلا أن أعبّر عمّا غمرني من سُرور بالغ؛ إذ تفيّأتُ في حدائق الصَّحابة ذاتِ البهجة، وعشتُ في ظلالهم الوارفة مدّةً غير يسيرة، فكأنّي أضعُ

يدي في أيديهم التي وضعوها في يد النبيّ ﷺ، وأكحّل عيني برؤية عيونهم التي تكحّلتْ برؤيته ﷺ، وأشنّف أذني بكلامهم الذي تشنَّفتْ آذانُهم بسماعه من الحبيب المصطفى!

وقد وجَبَ لهؤلاء الصَّحابة، أئمةِ المتقين، وأغصان دَوْحَة الشَّرف، والجيلِ القرآنيّ الفريد – اعترافاً بفضلهم في حَمْل الرّسالة، وحِفْظ السُّنة، وبَذْل النفس والنفيس – وجَبَ أنْ تظلّ رايةُ حبّهم وموالاتهم خفّاقةً في قلب كلّ مسلم، ما نبضَ عِرْق، وأشرقَ نهار، والْتَمعَ نُضار!

رَبِّ وفّقني فلا أعدلَ عَنْ ... سَنَنِ السَّاعينَ في خَيرِ سَنَنْ[1]!

والله الهادي إلى سَواء السّبيل.

---

(١) البيت من شواهد النحو، ولا يُعرف قائله، استشهد به الأشموني، وابن عَقيل، وابن هشام الأنصاريّ. (انظر: شرح قطر النّدى وبلّ الصّدى، ابن هشام الأنصاريّ (٧٦١هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، د.ط، د.ت، ص ٧٣).

الفصل الأول

مكانة الصَّحابة وحقوقهم في الإسلام

المبحث الأوّل

الصَّحابي في اللغة والاصطلاح

يَحسنُ التعريف بكلمة "الصَّحابيّ" قبل الولوج في مضمار الدّراسة، اقتداءً بالكاتبين الأقدمين؛ إذ كانوا يبتدئون كلامهم بتجلية المفهومات الأوّليّة، وتمييزاً لهذه الفئة المؤمنة مِنْ سائر فئات المؤمنين كالتابعين، وتابعيهم، والعلماء، والشُّهداء، والفقهاء، وغيرهم.

تعريف الصَّحابيّ لُغةً:

تشتقّ كلمة "الصَّحابيّ" في مُعْجَمات العربيّة قديمِها وحديثِها من الجَذْر الثلاثيّ "صَحِبَ"، ففي:

١- كتاب العين: "صَحِبَ: الصَّاحب يُجمع بالصّحب والصُّحْبان والصُّحْبَة والصِّحاب والأصحاب: جماعة الصّحْب، والصَّحابة مصدر قولك: صاحبَك الله، وأحسنَ صِحابتك، ويُقال عند الوداع: مُصاحباً مُعافى. ويقال: صحبك الله أي حفظك. وكلُّ شيء لاءمَ شيئاً فقد استصحبه"(١).

٢- معجم مقاييس اللغة: "صَحِبَ: الصَّاحب والجمع الصّحْب، كما يُقال: راكب ورَكْب، ومن الباب: أصحبَ فلانٌ: إذا انقاد، وكلُّ شيء لاءمَ شيئاً فقد

---

(١) كتاب العين، أبو عبد الله الخليل بن أحمد الفراهيديّ (١٧٥هـ)، طبعة مرتبة وفقاً للترتيب الهجائيّ، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ ٢٠٠١م، مادة (صحب) ص ٥٠٩.

استصحبه"[1].

٣- مختار الصّحاح: "صَحِبَه من باب سَلِمَ: صَحابةً وصُحبة. والصَّحابة بالفتح: الأصحاب، وهي في الأصل مصدر. قلتُ: لم يُجمع فاعل على فَعالة إلا هذا الحرف فقط. واستصحبه الكتاب وغيره، وكلّ شيء لاءمَ شيئاً فقد استصحبه"[2].

٤- لسان العرب: "صَحِبَهُ يَصحَبُه صُحْبَة بالضمّ، وصَحابة بالفتح، وصاحبَه: عاشره. والصَّاحبُ:

المعاشر، والجمعُ أصحاب، وأصاحيب، وصُحْبان، وصِحاب، وصَحْب، وصَحابة، وصِحابة، ولم يجمع فاعل على فعالة إلا هذا. والصَّحابة: مصدر قولك صاحبَك الله، وأحسنَ صحابتَك، وتقولُ للرّجل عند التوديع: مُعاناً مُصاحباً"[3].

٥- مفردات ألفاظ القرآن: "الصَّاحب الملازم إنساناً كان أو حيواناً أو مكاناً أو زماناً، ولا فرق بين أن تكون مصاحبته بالبدن، وهو الأصل والأكثر، أو بالعناية والهمّة. ولا يُقال في العُرْف إلا لمن كثرت ملازمته. ويقالُ للمالك للشيء:هو صاحبُه، وكذلك لمن يملكُ التصرّف فيه. والمصاحبة والاصطحاب أبلغُ من

---

(١) معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (٣٥٩هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، د.ط، د.ت، (باب الصّاد والحاء وما يثلثهما)، ج ٣، ص ٣٣٥.

(٢) مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر الرازي (٦٦٠هـ)، دار القلم، د.ط، ١٩٧٩م، مادة (صحب).

(٣) لسان العرب، ابن منظور، محمد بن مكرم (٧١١هـ)، حقّقه: عامر أحمد حيدر، راجعه: عبد المنعم خليل إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت ط١، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م، مادة (صحب) باب الباء، فصل الصاد.

الاجتماع؛ لأجل أنَّ المصاحبةَ تقتضي طولَ لُبثه. والإصحابُ للشيء: الانقياد له، وأصله أن يصير له صاحباً"[1].

٦- القاموس المحيط: "صَحِبَهُ كسَمِعَه: صَحابة، ويُكْسَر، وصُحبة: عاشره. وهم أصحاب وأصاحيب وصُحبان وصِحاب وصَحابة وصِحابة وصَحْب. واستصحبه: دعاه إلى الصحبة، ولازمه"[2].

٧- المعجم الوسيط: "صحبه صَحابةً وصُحبة: رافقه. ويقال في الدُّعاء: صحبَك الله: حفظك، ورافقتك عنايته. الصَّاحبُ: المرافق، ومالك الشَّيء، ويطلقُ على من اعتنق رأياً أو مذهباً، فيقال: أصحاب أبي حنيفة، وأصحاب الشَّافعي. (ج) صَحْب، وأصحاب، وصِحاب"[3].

وقد وردتْ كلمة "صاحب" (مذكّرة ومؤنّثة) في القرآن الكريم ستَّ عشرة مرّة، ووردت كلمة "أصحاب" (جمعاً مُكسَّرا) سبعاً وسبعين مرّة[4].

---

(١) معجم مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمّد (٥٠٣هـ)، ضبطه وصحّحه: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م، مادة (صحب)، ص ٣٠٨.

(٢) القاموس المحيط، الفيروزآبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب (٨١٧هـ)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م، مادة (صحب) باب الباء، فصل الصاد.

(٣) المعجم الوسيط ، د.إبراهيم أنيس ، ورفاقه، مجمع اللغة العربية، القاهرة، ط٢، د.ت، مادة (صحب).

(٤) انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت، ط٢، ١٤٠١هـ-١٩٨١م، مادة (صحب).

يتّضح ممّا ورد في مُعجمات العربيّة أنَّ:

- الصَّحابيّ مشتقّ من الجذر الثلاثيّ صَحِبَ، وبابه سَلِمَ.
- الصَّحابيّ منسوب إلى الصَّحابة كالأنصاريّ منسوب إلى الأنصار.
- الصَّحابة مصدر صَحِبَ، وقد كثر استعمال كلمة الصَّحابة بمعنى الأصحاب.
- كلمة الصَّحابة متفرّدة في العربيّة؛ إذ لم يُجمع فاعل على فَعالة إلا عليها.
- لفظ المصاحبة جرى على كلّ مَنْ صحبَ غيره قليلاً كان أو كثيراً، سنةً، أو ساعة.
- المصاحبة تعني: الملازمة، والانقياد، والمرافقة، والمعاشرة، والملاءمة.

تعريف الصحابيّ اصطلاحاً:

للعلماء أقوال متعدّدة في تعريف "الصَّحابيّ"، وفيما تثبت به الصُّحبة، ومن أبرزها أقوال المحدّثين؛ إذ المعروف من طريقة أهل الحديث أنَّ كلَّ مسلم رأى رسولَ الله ﷺ فهو من الصّحابة(١):

١- تعريف الإمام علي بن المديني (٢٣٤هـ):

"مَنْ صَحِبَ النبيّ ﷺ أو رآه، ولو ساعة من نهار فهو من أصحاب النبيّ ﷺ"(٢).

---

(١) انظر: مقدّمة ابن الصلاح في علوم الحديث، ابن الصلاح، أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن الشهرزوريّ(٦٤٢هـ)، علّق عليه وشرح ألفاظه وخرّج أحاديثه: صلاح بن محمد بن عويضة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م، ص ٣٠١. والكافي في علوم الحديث، أبو الحسن علي بن أبي محمّد التبريزي (٧٤٦هـ)، شرحه وخرّج أحاديثه: مشهور بن حسن آل سلمان، الدار الأثرية، عمان، ط١، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م، ص ٦٨٨. وفتح المغيث شرح ألفية الحديث، محمد بن عبد الرحمن السخاوي (٩٠٢هـ)، دار الكتب العلمية ، بيروت، ط١، ١٤٠٣ هـ ج٣، ص ٩٣.

(٢) فتح الباري بشرح صحيح البخاريّ، ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر (٨٥٢هـ)، تحقيق: الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز، دار الفكر، بيروت، د.ط، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م، ج ٧، ص ٣٥٠.

٢- تعريف الإمام أحمد بن حنبل (٢٤١هـ):

"كلّ مَنْ صَحِبَه سنةً أو شهراً أو يوماً أو ساعة أو رآه فهو من أصحابه، له من الصُّحبة على قَدْر ما صحبه، وكانت سابقته معه، وسمعَ منه، ونظرَ إليه"[١].

٣- تعريف الإمام البخاريّ (٢٥٦هـ):

"مَنْ صَحِبَ النبيّ ﷺ أو رآه من المسلمين فهو من أصحابه"[٢].

صلة المفهوم اللغويّ بالاصطلاحيّ:

يفهم مما سبق أنَّ ثمّة صلة وثيقة بين المفهومين تعضدُ رأي المحدّثين بأنَّ الصُّحبة تتحقّق بلقاء النبيّ ﷺ ولو ساعة يسيرة وفق دلالة اللغة للصُّحبة.

قال الإمام الباقلاني:

"لا خلاف بين أهل اللغة أنَّ الصّحابيّ مشتق من الصُّحبة جارٍ على كلّ مَنْ صَحِبَ غيره قليلاً كان أو كثيراً. يقال: صحبه شهراً ويوماً وساعة. قال: وهذا يُوجب في حكم اللغة إجراء هذا على من صحب النبيّ ﷺ، ولو ساعة هذا هو الأصل"[٣].

وقد بيّنَ ابن كثير (٧٧٤هـ) أنَّ تعريف المحدّثين للصَّحابي هو المعوّل عليه، فقال:

---

(١) الكفاية في علم الرواية، الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣هـ)، دار الكتب الحديثة، القاهرة، ط ٢، .د.ت، ص ٩٩.

(٢) صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري (٢٥٦هـ)، تقديم: فضيلة الشيخ أحمد محمد شاكر، دار الجيل، بيروت، د.ط، د.ت. كتاب مناقب قريش، باب فضل أصحاب النبيّ ﷺ، ج٥، ص ٢.

(٣) انظر: صحيح مسلم بشرح النووي، تحقيق: الشيخ خليل شيحا، دار المعرفة، بيروت، ط ٨، ١٤٢٢هـ ٢٠٠١م، مقدّمة الإمام النوويّ، ج١، ص ١٦٠-١٦١.

"هو مَنْ رأى رسولَ الله ﷺ في حال إسلام الرَّاوي، وإنْ لم تَطُلْ صحبتُه، وإنْ لم يروِ عنه شيئاً. هذا قول جمهور العلماء خلفاً وسلفاً. وقد نصَّ على أنَّ مجرد الرؤية كافٍ في إطلاق الصُّحبة البخاريُّ، وأبو زُرْعة، وغير واحد ممّن صنَّف في أسماء الصَّحابة كابن عبد البَرّ، وابن مَنْده، وأبي موسى المديني، وابن الأثير"[1].

ويتضح ممّا سبق أنَّ الصَّحابيّ:

- مسلم غير منافق.
- رأى النبيّ ﷺ يقظة، أو جالسه، أو سمع منه، أو لقيه مؤمناً به.
- صَحِبَه مدّة يسيرة أو طويلة.
- مات على الإيمان بعد لقاء النبيّ ﷺ.

وهكذا يتبيّن لنا أنَّ الصَّحابة الكرام صفوةٌ من الناس كانوا في زمن النبيّ محمّد ﷺ لَقُوه، وآمنوا به، ونصروا دينه، وماتوا على ملّته مؤمنين بالله ﷻ واليوم الآخر.

طُرق ثُبوت الصُّحبة:

تثبت الصّحبة بطرق أربعة نصَّ عليها العلامة "ابن الصّلاح" (ت ٦٤٢هـ)، وهي[2]:

١- التواتر الذي يُقطع به لكثرة الناقلين أنَّ فلاناً من الصّحابة، كالخلفاء الرَّاشدين وبقية العشرة المبشّرين بالجنة.

---

(١) الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث، ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقيّ (٧٧٤هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار الكتب العلميّة، بيروت، د.ط، د.ت، ص ١٦٩-١٧٠.

(٢) انظر: مقدّمة ابن الصَّلاح في علوم الحديث، ص ٣٠٢.

٢- الاستفاضة القاصرة عن التواتر، أو الاشتهار أنَّ فلاناً من الصّحابة، كعكّاشَة بن محصِّن، وضِمَام بن ثَعْلبة.

٣- أنْ يُروى عن آحاد الصّحابة أنّه صحابيّ، كإخبار أبي موسى الأشعريّ لحُمَمة الدَّوسيّ، والشَّهادة له بالصُّحبة.

٤- أنْ يقول عن نفسه بعد ثبوت عدالته بأنّه صَحابيّ.

وقد استخرج الحافظ "ابن حَجَر"(٨٥٢هـ)، من الآثار ثلاثة ضوابط تُعين على معرفة الصّحابة[1]:

١- أنّهم كانوا لا يُؤمّرون في المغازي إلا الصّحابة، فمَنْ تتبّع الأخبار الواردة في الرّدة والفتوح وجَدَ من ذلك شيئاً كثيراً.

٢- أنَّ الصّحابة كانوا يأتون بكلّ مولود؛ ليدعو له النبيّ ﷺ:

قال عبد الرحمن بن عوف ﵁: "كان لا يُولد لأحد مولود إلا أتى به النبيّ ﷺ، فدعا له".

٣- أنَّه لم يبقَ بمكة والطائف أحدٌ في سنة عشر إلا أسلم، وشهدَ حَجَّة الوداع، فمَنْ كان في ذلك الوقت موجوداً اندرجَ فيهم؛ لحصول رؤيتهم للنبيّ ﷺ، وإنْ لم يرهم هو.

عدد الصَّحابة الكرام:

لقد شَرُفَ بصحبة النبيّ ﷺ جمٌّ غفير من الناس المعاصرين له، قيل إنّهم كانوا

---

(١) انظر: الإصابة في تمييز الصَّحابة، ابن حَجَر العسقلاني، أحمد بن علي بن حَجَر (٨٥٢هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط، د.ت، ج١، ص ٦.

يزيدون على مائة ألف إنسان، وقيل إنّهم مائة وأربعة وعشرون ألفاً، ورُوي عن أبي زُرْعة الرازي أنَّه "شهد مع النبيّ ﷺ حجّةَ الوداع أربعون ألفاً، وشهد معه تبوك سبعون ألفاً، وأنّ رسول الله ﷺ قُبض عن مائة ألف وأربعة عشر ألفاً من الصَّحابة ممّن روى عنه وسمع منه. فقيل له: يا أبا زُرْعة: هؤلاء أين كانوا، وأين سمعوا منه؟ قال: أهل المدينة، وأهل مكة، وما بينهما، والأعراب، ومَنْ شهد معه حجّة الوداع كلّ رآه وسمع منه بعرفة"[1].

وأول الصَّحابة إسلاماً: من الرّجال الأحرار: أبو بكر رضي الله عنه، ومن الصبيان أو الأحداث: عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه، ومن النساء: خديجة بنت خويلد رضي الله عنها، ومن الموالي: زيد بن حارثة رضي الله عنه، ومن العبيد: بلال بن رباح [2] رضي الله عنه.

أشهر الصَّحابة الكرام:

اشتُهرَ عدد من الصَّحابة الكرام، وشاعتْ أسماؤهم في الأمّة، على حين خَفيتْ أسماء آلاف منهم، وقد بلغ عدد الصَّحابة الذين أُحصيتْ أسماؤهم اثني عشر ألفاً ومائتين وسبعة وتسعين صحابيّاً (١٢٢٩٧)، وهو إحصاء الحافظ ابن حجَر العسقلانيّ في كتابه "الإصابة"، وسبب خفاء أسمائهم أنَّ أكثرهم أعراب حضروا حجّة الوداع[3].

وتلك الأسماء وإنْ خفيتْ فهي كالنجوم بعيدة الغور، تنوّر الكون، وتهدي الحائرين، وهي وإنْ خفيتْ فمشهورة منشورة في الملأ الأعلى، ومن أبرز مَنْ عُرِفَتْ أسماؤهم:

---

(١) مقدّمة ابن الصَّلاح في علوم الحديث، ص ٣٠٥.

(٢) انظر: المصدر السابق نفسه، ص ٣٠٧- ٣٠٨.

(٣) انظر: الإصابة، ابن حجر، ج١، ص٣.

١- الخلفاء الرَّاشدون[1]:

أبو بكر الصدّيق ﵁ (ت ١٣هـ)، وعمر بن الخطاب ﵁ (٢٣هـ)، وعثمان بن عفّان ﵁ (٣٥هـ)، وعليّ بن أبي طالب ﵁ (٤٠هـ).

٢- آل النبيّ ﷺ وهم: أزواجه وأولاده وذرياتهم، والمؤمنون من أقربائه من بني هاشم وبني عبد المطلب وهم آل عليّ، وآلُ عَقيل، وآلُ جعفر، وآلُ عبَّاس، ومنهم[2]:

بناته: فاطمة الزَّهراء، وزينب، ورقية، وأمّ كلثوم، رضوان الله عليهنّ. وعمومته: العبَّاس، وحمزة، وصَفية، وأبناؤهم: علي (والحسن والحسين)، وجعفر، رضوان الله عليهم. ونساء النبيّ ﷺ: خديجة، وسودة، وعائشة، وحفصة، وأم سلمة، وأمّ حبيبة، وزينب بنت جحش، وزينب بنت خُزيمة، وصفية، وميمونة، رضوان الله على آل بيت النبيّ ﷺ أجمعين ورحماته وبركاته.

٣- العشرة المبشّرون بالجنّة:

الخلفاء الراشدون الأربعة ﵃، وطلحة بن عبيد الله، والزُّبير بن العوام، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقّاص، وسعيد بن زيد، وأبو عبيدة بن الجراح ﵃.

عن سعيد بن زيد ﵁ أنّه سمع رسول الله ﷺ يقول: "عَشَرَةٌ في الجنة: أبو بكر في

---

(١) انظر في فضائلهم: فضائل الصّحابة، الإمام أحمد بن شعيب النَّسائي، (٣٠٣هـ)، تحقيق: د.فاروق حمادة، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط١، ١٤٠٢هـ ١٩٨٤م. ص ٥١ – ٨٤.

(٢) انظر تراجمهم وفضائلهم في : ذخائر العُقْبى في مناقب ذوي القربى، محبّ الدين أحمد بن عبد الله الطبريّ (٦٩٤هـ)، اعتنى به ووضع حواشيه: محمد أمين ضنَّاوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م.

الجنة، وعمرُ في الجنة، وعثمانُ في الجنة، وعليّ في الجنة، وطَلْحةُ في الجنة، والزُّبيرُ في الجنة، وعبدُ الرّحمن بن عَوْف في الجنة، وسَعْدٌ في الجنة، وسَعيدٌ في الجنة، وأبو عبيدةَ بن الجرَّاح في الجنة"[1].

٤-كُتّاب الوحي:

الخلفاء الراشدون الأربعة ﷺ، وأُبَي بن كَعْب، وزيد بن ثابت، ومعاوية بن أبي سفيان، وحنظلة بن الرَّبيع، والعَلاء بن الحضرميّ، وأبان بن سعيد، وخالد بنسعيد[2] ﷺ.

٥- شهداء الصَّحابة في عهد النبي ﷺ:

مُصعب بن عمير، وحَنْظلة الغسيل، وسَعْد بن معاذ، وزيد بن حارثة، وعبد الله بن رواحة ﷺ.

٦- قادة الفتوح:

أسامة بن زيد، وخالد بن الوليد، وشُرَحبيل بن حَسنة، وحُذيفة بن اليمان، وعمرو بن العاص ﷺ.

٧- طليعة التضحية والفداء:

بلال بن رباح، وخبّاب بن الأرتّ، و سلمان الفارسيّ، وصهيب الرّوميّ، وأبو ذر

---

(١) الجامع الصَّحيح (سُنن الترمذيّ) أبو عيسى محمد بن عيسى بن سُورة الترمذيّ (٢٩٧هـ)، تحقيق: كمال يوسف الحوت، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٧م، كتاب المناقب، باب مناقب عبد الرحمن بن عوف، حديث رقم ٣٧٤٧، ج ٥، ص ٦٠٥.

(٢) انظر في مكانتهم العلمية ومروياتهم: المرويات التاريخية والمآثر والمناقب لكتّاب الوحي، عمر قحطان العزّاوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م.

الغفاريّ، وعثمان بن مظعون، وأبو الدّرداء، وأبو موسى الأشعريّ رضي الله عنهم.

وكلّ أصحاب النبيّ ﷺ أعلامُ هُدى، وطلائعُ تضحية وفداء، وقادةُ رَشاد وسَداد، تتعطّر الأفواه بذكرهم، وتزكو النفوس بسِيَرهم، فلله درّهم من تلاميذ أوفياء لنبيّهم ﷺ، وأساتذة فضلاء لأمّتهم.

نهاية جيل الصّحابة الكرام:

لكلّ أُمّة أجل، ولهذا الجيل العظيم أجل، وقد أخبر النبيّ ﷺ عن نهاية أجلهم، رُوي عن عبد الله بن عُمر رضي الله عنهما قال: صلّى بنا رسولُ الله ﷺ ذاتَ ليلة، صلاةَ العشاء، في آخر حياته، فلمّا سلّمَ قام فقال: "أرأيْتكُم ليْلَتكُم هذه؟ فإنَّ على رأس مائة سنة منها لا يبقى ممّنْ هو على ظهر الأرض أحدٌ"[1].

قال النوويّ: "والمراد أنَّ كلَّ نفس منفوسة كانت تلك الليلة على الأرض لا تعيش بعدها أكثر من مائة سنة، سواء قلَّ أمرُها قبل ذلك، أم لا"[2].

وقد انقضى ذلك الأجل، وذهب ذلك الجيلُ الجليل، وكان آخرهم موتاً في النواحي:

في المدينة: جابر بن عبد الله رضي الله عنه، وقيل سهل بن سعد رضي الله عنه سنة (٩١هـ)، وقيل: السَّائب بن يزيد رضي الله عنه، وقيل محمود بن الرّبيع رضي الله عنه توفي سنة (٩٩هـ).

في مكة: عبد الله بن عمر رضي الله عنه.

---

(١) رواه مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب قوله ﷺ: لا تأتي مائة سنة وعلى الأرض نفسٌ منفوسة اليوم"، حديث رقم ٦٤٢٦، ج ١٦، ص ٣٠٦.

(٢) انظر: صحيح مسلم بشرح النووي، تحقيق: الشيخ خليل شيحا، ج١٦، ص ٣٠٦.

في البصرة: أنس بن مالك ﷺ توفي سنة (٩١هـ).

في الكوفة: عبد الله بن أبي أوفى ﷺ توفي سنة (٨٦هـ).

في مصر: عبد الله بن الحارث بن جَزْء الزُّبيدي ﷺ.

في فلسطين: أبو أُبَيّ بن أمّ حرام ﷺ.

في دمشق: واثلة بن الأسقع ﷺ.

في حمص: عبد الله بن بُسر ﷺ توفي سنة (٨٨هـ).

في اليمامة: الهرماس بن زياد ﷺ.

في الجزيرة: العرس بن عميرة ﷺ.

في حاضرة برقة: رويفع بن ثابت ﷺ.

في البادية: سلمة بن الأكوع ﷺ.

وفي بعض ما ذُكر خلاف بين العلماء.

وكان آخرَهم موتاً على الإطلاق أبو الطُّفيل عامر بن واثلة ﷺ سنة مائة من الهجرة، وكانت وفاته بمكة المكرّمة[1]، وقد عاش جيلُ الصّحابة الكرام ﷺ نحو قرن من الزّمان، رضوان الله عليهم أجمعين.

---

(١) انظر: مقدّمة ابن الصلاح في علوم الحديث، ص ٣٠٧- ٣٠٨.

والذي صحّحه جمع من المحقّقين أنَّ أبا الطفيل ﷺ مات سنة عشر ومائة، وبه جزم الذهبيّ في "السير ٣/ ٤٧٠"، وابن الأثير في "أسد الغابة ٣/ ١٤٥"، والعراقي في "التقييد والإيضاح، ص ٣١٢"، وابن حَجر في "التقريب، ص ٢٨٨"، وغيرهم. (انظر: كتاب الكافي في علوم الحديث، للتبريزي، شرحه وخرّج أحاديثه: مشهور بن حسن آل سلمان، حاشية رقم (٢)، ص ٧٠٩).

المبحث الثاني

مكانة الصَّحابة في القرآن والسّنة

حظي الصَّحابة الكرام باحتفاء القرآن والسّنة بفِعالهم وخِصالهم، فتنـزّلتْ فيهم من لدن حكيم حميد آياتٌ تتلى، ووردتْ فيهم أحاديث عَطِرَة تشهد بسُمُوق مكانتهم، وتشيد بعلّو كَعْبهم، وتسجّل لهم في رَقٍّ منشور أنّهم أبرُّ هذه الأمّة قلوباً، وأرسخُ إيماناً، وأصدقُ جهاداً، وأصلحُ أعمالاً.

مكانة الصّحابة في القرآن:

وقد تجلّت علائمُ رفعة مكانتهم في القرآن الكريم على النَّحو الآتي:

١- وَصْفُهم بالإيمان الحقّ: فالإيمان هو الدَّرجة العليا التي يسعى إليها كلّ مسلم، ويسخّر لها وقته وجهده؛ من أجل أنْ يحقّق هذه الفضيلة الكبرى: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾(١).

وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾(٢).

٢- الإشادة بخصالهم الحميدة من صدق، وحُبّ، وإيثار: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ

---

(١) آل عمران، آية ١٦٤.

(٢) الأنفال، آية ٧٤.

إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾[1].

٣- الشَّهادة بصدقهم في عهدهم مع الله، بالجود بالنفس، والمرابطة في سبيله: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴾[2].

٤- وصفهم بالأمّيين لإظهار عظمة نبيّهم في تعليمهم، وإظهار عظمتهم في تعليم الأمّة: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴾[3].

ووصفُ الصَّحابة بالأميين ووصفُ نبيّهم بالأميّ إنّما هو بيان للحال التي بُعث عليها النبيّ ﷺ، وكان عليها أصحابه، فالأمية حالة مرحليّة، ومن إعجاز هذه الرسالة أنها غيّرت هذه الأمّة الأمية، وارتقت بها إلى معارج التعلّم والتحضّر، كما أنَّ أمية الرسالة تعني أنّها مؤهّلة للتنـزّل على الأميين، وتغيير واقعهم، وأنَّ الأميين بإمكانهم تلقّي هذه الشَّريعة، والتعامل معها، والالتزام بتكاليفها[4].

---

(١) الحشر، الآيتان ٨، ٩.

(٢) الأحزاب، آية ٢٣.

(٣) الجمعة، آية ٢.

(٤) انظر: منهج السياق في فهم النص، د. عبد الرحمن بودرع، كتاب الأمة، وزارة الأوقاف، قطر، ط ١، ١٤٢٧هـ ـ٢٠٠٦م، ص ٧ –١٠.

وانظر في مناقشة أمية الرسول ﷺ: دراسة تحليلية لشخصية الرسول، د. محمد رواس قلعه جي، دار النفائس، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ ـ١٩٨٨م، ص ٤٥– ٤٨.

وما أصدقَ قول الشَّاعر في مدح النبي ﷺ:

يـــا أيّهـــا الأمـــيُّ حســـبُك رتبـــةً   في العلـــم أنْ دانـــتْ بـــك العلـــماءُ[1]!

٥- توبة الله عليهم، ورأفته بهم، وعفوه عنهم:

- ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْاْ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُواْۖ وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾[2].

- ﴿ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾[3].

- ﴿ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾[4].

٦- ذكرُهم في القرآن تصريحاً وكناية: ومن الصَّحابة الذين خصَّهم القرآن بالذّكر:

- زيد بن حارثة: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِيٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْاْ مِنْهُنَّ وَطَرًاۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴾[5].

---

(١) الشوقيات، أحمد شوقي، ج١، ص ٢٥.

(٢) آل عمران، آية ١٥٥.

(٣) التوبة، آية ٢٦.

(٤) التوبة، آية ١١٧.

(٥) الأحزاب، آية ٣٧.

- أبو بكر الصدّيق: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ﴾[1].

- علي بن أبي طالب[2]: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾[3].

- صهيب الروميّ[4]: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾[5].

- عدد من الصَّحابة: نزلَ فيهم قوله تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ﴾[6].

وهم: أبو عبيدة عامر بن الجراح قتل أباه يوم أحد، وأبو بكر الصديق دعا ابنه يوم بدر إلى البراز، ومصعب بن عمير قتل أخاه عبيد بن عمير يوم أحد، وعمر بن الخطاب قتل خاله العاص بن هشام يوم بدر، وعلي وحمزة قتلا عتبة وشيبة

(١) التوبة، آية ٤٠.

(٢) انظر: أسباب النزول، الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد (٤٦٨هـ)، دار الفكر، بيروت، د.ط، د.ت. ص ٢٩٦.

(٣) الإنسان، آية ٨.

(٤) انظر: أسباب النزول، الواحدي، ص ٣٩.

(٥) البقرة، آية ٢٠٧.

(٦) المجادلة، آية ٢٢.

ابني ربيعة والوليد بن عتبة يوم بدر[1].

٧- مرضاة الله ﷻ عنهم، وتبشيرهم بجنّات النعيم:

- ﴿ ۞ لَقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾[2].

- ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾[3].

٨- تزكية حياتهم وجهادهم وعبادتهم، والإشادة بصحبتهم للنبيّ ﷺ:

﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴾[4].

---

(١) انظر: أسباب النزول، الواحدي، ص ٢٧٨.

(٢) الفتح، آية ١٨.

(٣) التوبة، آية ١٠٠.

(٤) الفتح، آية ٢٩. أَخْرَجَ شَطْأَهُ: المراد: السُّنبل، وهو فراخ الزّرع، وأشطأ الزرع: إذا أفرخ. انظر: المصباح المنير في غريب الشّرح الكبير، أبو العباس أحمد بن محمّد المقرئ الفيّوميّ (٧٧٠هـ)، اعتنى به عادل مرشد، د.ط، د.ت. مادة (شطأ)، ص ٢٥٧.

وقد بيّن الله ﷻ أنَّ صفات الصَّحابة الكرام متطابقة مع صفات النبيّ ﷺ، فهم غلاظ على الكفار كالأسد على فريسته، متعاطفون متوادّون، كثيرو الصَّلاة، يطلبون الجنة ورضا الله، وفي وجوههم نور من الخشوع، وقد ضرب الله تعالى مثلاً لأصحاب النبيّ ﷺ، أنهم يكونون قليلاً، ثمَّ يزدادون ويكثرون، فكان النبيّ ﷺ حين بدأ بالدعوة إلى دينه ضعيفاً، فأجابه الواحد بعد الواحد، حتى قويَ أمره؛ كالزَّرع يبدو بعد البذر ضعيفاً، فيقوى حالاً بعد حال، حتى يغلظ نباتُه وأفراخه، فكان هذا من أصحّ مثل، وأقوى بيان، وقد خُصّص أصحاب محمّد ﷺ بوعد المغفرة تفضيلاً لهم، وإنْ وَعدَ الله جميع المؤمنين بالمغفرة[1].

ويتبين للباحث من خلال مدارسة هذه الآية الكريمة الحكيمة ما يلي:

- أنَّ حياة الصَّحابة ﵃ قد امتزجت بحياة النبيّ ﷺ فكانتا سيرةً واحدة، وعروة وثقى لا انفصام لها، ولذلك جاء التعبير القرآنيّ بإشراك الصَّحابة في الحكم بواو العطف: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ﴾.
- أنَّ الصَّحابة ﵃ يتَّسمون بالشَّجاعة والبسالة، والشَّدة على ملّة الكفر، وتلك خِصال يحبّها الله ﷻ: ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ﴾.
- أنَّ مجتمع النبي ﷺ وأصحابه الكرام كان مجتمعاً متراحماً، يعمُّ أعضادَه حُنوٌّ بالغ، وعطفٌ سابغ: ﴿رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ﴾.
- أنَّ الصَّحابة ﵃ تعلّموا مناسكهم وشعائرهم من نبيهم محمّد ﷺ، والتزموا بذلك

---

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبيّ، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاريّ القرطبيّ(٦٧١هـ)، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، د.ط، د.ت، ج ١٥، ص ١٨٨-١٩٠.

تعبّداً وإخباتاً، ومنافسةً في الطاعة: ﴿تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا﴾ .

- أنَّ هؤلاء الصَّحابة ﷺ لا يبتغون بسعيهم وتعبّدهم وجهادهم شيئاً من حطام الدنيا، وإنّما يبتغون فضل الله ﷻ ورضوانه، فاجتهدوا حتى بدا نورُ الخشوع على وجوههم من أثر السُّجود: ﴿يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ﴾ .

- أنَّ الصَّحابة ﷺ هم أساتذة العالم بعد نبيهم محمّد ﷺ، وهم امتدادٌ لرسالته الخاتمة الخالدة، فقد تلا عليهم آيات الله، وعلَّمهم الكتاب والحكمة، وزكَّاهم، وتعهَّدهم بأدب السَّماء من غَبش الفجر إلى غَسَق الليل؛ فكانوا خير أمّة أخرجتْ للناس.

- أنَّ جهود الصَّحابة ﷺ ستؤتي أُكُلَها في العالم كلّه، وستكون لهم قوة بعد ضعف، ونضارة بعد شحوب، كالزَّرع الذي يخرج فراخه وفروعه: ﴿ذَٰلِكَ مَثَلُهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمۡ فِي ٱلۡإِنجِيلِ كَزَرۡعٍ أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسۡتَغۡلَظَ فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَۗ﴾ .

- أنَّ جزاء هؤلاء الصَّحابة هو المغفرة التامة، والثواب الكبير، والخلود في جنّات النعيم، مكافأةً لصدق إيمانهم، وقوامة مَسْلكهم، وإخلاص تعبّدهم: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنۡهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا﴾ .

مكانة الصّحابة في السّنة:

نال الصَّحابة الكرام أسمى مكانة في السُّنة النبويّة، وحازوا أرفع درجات التجلّة والتقدير؛ إذ أفاضتْ عليهم صحبةُ النبيّ ﷺ مِن أنوار النّبوّة وبركاتها ما لم يكنْ لأحبار

نبيّ من الأنبياء، حتى صاروا بذلك أفضل البشر بعد الرّسل، وغرفوا من معينه الغزير المتجدّد أخلاقاً كريمة من أخلاقه العظيمة، وجمالاً بهيّاً من جماله الباهر، فقد وصفه مَنْ رآه: "ما رأيتُ شيئاً أحسنَ مِنْ رسول الله ﷺ، كأنَّ الشمسَ تجري في وجهه، وإذا ضحكَ يتلألأ في الجُدُر"(١).

وغرفوا بياناً يقري العين والأذن من فصاحته وبلاغته، إذ تبوّأ المحلّ الأفضل، والموضع الذي لا يُجهل، في سلامة طبع، وبراعة مَنْزَع، وإيجاز مقطع، قد أوتي جوامع الكلم، وخُصَّ ببدائع الحكم(٢).

وقد تجلّت مكانتهم على النحو الآتي:

١ - إخبار النبيّ ﷺ باصطفائهم، واختيارهم لصحبته الشّريفة:

عن عويم بن ساعدة رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال: "إنَّ الله تبارك تعالى اختارني، واختار لي أصحاباً، فجعل لي منهم وزراء، وأنصاراً، وأصهاراً. فمَنْ سبَّهم فعليه لعنةُ الله والملائكة والنَّاس أجمعين، لا يُقبلُ منه يومَ القيامة صَرْفٌ ولا عَدْلٌ"(٣).

٢ - ثناء النبيّ ﷺ عليهم وخصّهم بمحبته ودعائه:

وردتْ أحاديث كثيرة في ثناء النبيّ ﷺ على الصَّحابة الكرام، والإشادة

---

(١) الشِّفا بتعريف حقوق المصطفى، القاضي عياض، أبو الفضل عياض بن موس اليَحْصُبيّ، (٥٤٤هـ)، تحقيق: حسين عبد الحميد نيل، دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، د.ط، د.ت، ج١، ص ٦٤.

(٢) المصدر السابق نفسه، ج١، ص ٧١.

(٣) المستدرك على الصحيحين، الحاكم، أبو عبد الله محمد بن عبد الله النيسابوريّ (٤٠٥هـ)، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١١هـ ١٩٩٠م، ج٣، ص ٦٣٢. وقال: حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

بفضائلهم[1]، منها: عن أنسٍ ﷺ قال: خرجَ رسولُ الله ﷺ إلى الخندق، فإذا المهاجرون والأنصارُ يَحْفِرون في غَداةٍ باردة، فلم يكنْ لهم عبيدٌ يعملون ذلك لهم. فلمّا رأى ما بهم من النّصَب والجوع قال: "اللَّهم إنَّ العيشَ عيشُ الآخرهْ، فاغفر للأنصارِ والمهاجرهْ، فقالوا مُجيبين لهُ:

نحــــن الـــذين بايعـــوا محمّــدا   عـــلى الجهـــادِ مـــا بقينـــا أبـــدا"[2]

- عن عمرو بن العاص ﷺ "أنَّ النبيّ ﷺ بعثه على جيش ذات السَّلاسل، قال: فأتيتُه فقلت: أيُّ الناس أحبُّ إليك؟ قال: عائشة. فقلتُ: من الرّجال؟ فقال: أبوها. فقلتُ: ثمَّ مَنْ؟ قال: ثمَّ عمر بن الخطّاب، فعدَّ رجالاً"[3].
- عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: "سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: استقرِئوا القرآنَ من أربعة: من عبد الله بن مسعود، فبدأ به، وسالم مولى أبي حُذيفة، وأُبَيِّ بنِ كعب، ومُعاذ بنِ جَبل"[4].
- عن عليّ ﷺ قال: "ما جمعَ رسول الله ﷺ أَبَويْهِ لأحد غيرَ سعدِ بنِ مالك، فإنَّه جعل يقولُ له يومَ أُحُدٍ: ارمِ فداكَ أبي وأمّي"[5].

---

(١) انظر: صحيح البخاري، كتاب مناقب قريش، باب فضائل أصحاب النبيّ ﷺ، ج٥، ص ٢. وصحيح مسلم بشرح النووي، تحقيق: الشيخ خليل شيحا، كتاب فضائل الصحابة، ج١٥، ص ١٤٤ - ٣١٧.

(٢) رواه البخاريّ، باب غزوة الخندق، ج ٥، ص ١٢٧-١٢٨.

(٣) رواه البخاريّ، كتاب مناقب قريش، باب فضائل أصحاب النبيّ ﷺ، ج٥، ص ٦.

(٤) رواه البخاريّ، كتاب مناقب قريش، باب مناقب معاذ بن جبل ﷺ، ج٥، ص ٤٥.

(٥) رواه مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضل سعد بن أبي وقاص، حديث رقم ٦١٨٣، ج ١٥، ص ١٧٨.

٣- إخبار النبيّ ﷺ بمنازلهم وحسن خاتمتهم:

- عن جابر ﷺ قال: سمعتُ النبيَّ ﷺ يقول: "اهتَزَّ العرشُ لموتِ سعدِ بنِ مُعاذ"(١).

- عن عامر بن سَعْد قال: سمعتُ أبي يقول: "ما سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول لحيٍّ يمشي إنّه في الجنّة إلا لعبدِ الله بنِ سَلام"(٢).

- عن أبي هُريرة ﷺ أنّ رسولَ الله ﷺ كان على حِراءٍ هو وأبو بكر وعمرُ وعثمان وعليّ وطلحةُ والزُّبيرُ، فتحرّكت الصخرةُ، فقال رسولُ الله ﷺ:" اِهدأْ فما عليك إلا نبيٌّ أو صِدّيقٌ أو شَهيد"(٣).

٤- فوزهم بالسّبق والفضل على الأمّة، وذلك من وجوه هي:

- السّبق إلى الإسلام، وتحمّل الأذى الشَّديد في نصرته ونشره.
- شرف صحبة النبيّ ﷺ ولقائه ورؤيته والسَّماع منه.
- أخذهم العلم من معين النبيّ ﷺ، والتفقّه في الدين.
- الهجرة مع النبيّ ﷺ، أو الهجرة إليه، أو نصرته، والذّبّ عنه.
- ضبط الشَّريعة، وتبليغها مَنْ بعدهم، وإرساء قواعد الدين.
- الإمامة في العلم والعمل.

---

(١) رواه البخاريّ، كتاب مناقب قريش، باب مناقب سعد بن معاذ ، ﷺ، ج٥، ص ٤٤.

(٢) رواه مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل عبد الله بن سلام، حديث ٦٣٣٠، ج ١٦، ص ٢٥٩.

(٣) رواه مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل طلحة والزبير، حديث رقم ٦١٩٧، ج١٥، ص١٨٥.

- سنّهم سنن الهدى، وفتحهم أبواب الخير(1).

قال ابن حَجَر(٨٥٢هـ): "والذي ذهب إليه الجمهور أنَّ فضيلة الصُّحبة لا يعدلها عمل؛ لمشاهدة رسول الله ﷺ، وأمَّا مَن اتفق له الذّبّ عنه، والسَّبق إليه بالهجرة أو النصرة، وضبط الشَّرع المتلقّى عنه، وتبليغه لمن بعده، فإنّه لا يعدله أحد ممّن يأتي بعده؛ لأنّه ما من خَصْلة من الخصال المذكورة إلا وللذي سَبق بها مثل أجر من عمل بها من بعده، فظهر فضلُهم"(2).

٥- إشادة كبار الصَّحابة بأصحاب النبيّ ﷺ:

ومنهم ابن مسعود، وابن عُمر، والإمام عليّ ﷺ:

أ- قول عبد الله بن مسعود ﷺ: "إنَّ الله نظرَ في قلوبِ العباد، فوجدَ قلبَ محمّدٍ ﷺ خيرَ قلوب العباد، فاصطفاهُ لنفسه، فابتعثَهُ برسالته، ثم نظرَ في قلوب العباد بعدَ قلب محمّد، فوجدَ قلوبَ أصحابه خيرَ قلوب العباد، فجعلهم وزراءَ نبيه، يقاتلون على دينه فما رأى المسلمون حسناً فهو عندَ الله حسَن، وما رأوا سيئاً فهو عند الله سيئ"(3).

---

(١) انظر: الصُّحبة والصَّحابة، د. أحمد علي الإمام سلسلة دعوة الحق، رابطة العالم الإسلاميّ، مكة المكرّمة، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م، ص ٢٩-٣٠ وانظر: محبة النبيّ ﷺ وتعظيمه، عبد الله الخضيري، وعبد اللطيف الحسن، كتاب مجلة البيان، لندن، ط١، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م، ص ٤٢- ٤٣.

(٢) فضائل الصَّحابة من فتح الباري بشرح صحيح البخاريّ، تحقيق: خالد عبد الفتاح شبل، الشركة العالمية للكتاب، بيروت، ط١، ١٩٩٠م. ص ١٢.

(٣) مسند الإمام أحمد، أحمد بن حنبل (٢٤١هـ)، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤١٨ هـ، حديث رقم ٣٦٠٠، ج ٦، ص٨٤.

ب - قول عبد الله بن عُمر رضي الله عنهما: "مَنْ كان مُستناً فليستن بمَنْ قد مات، أولئك أصحابُ محمَّد ﷺ كانوا خيرَ هذه الأمة، أبرَّها قلوباً، وأعمقَها علماً، وأقلَّها تكلّفاً، قومٌ اختارهم الله لصحبة نبيه ﷺ ونَقْلِ دينه، فتشبّهوا بأخلاقهم وطرائقهم، فهم أصحابُ محمّد ﷺ، كانوا على الهدي المستقيم، والله ربِّ الكعبة"[1].

ومن كلام ابن عمر رضي الله عنه: "لا تسبّوا أصحابَ محمّد ﷺ، فلمقامُ أحدِهم ساعة خيرٌ من عبادة أحدِكم أربعين سنة"[2].

ج- قول الإمام عليّ كرّم الله وجهه: "ألا أخبركم بخير هذه الأمّة بعد نبيّها أبو بكر وعُمر"[3].

ولا ريب أنَّ الصَّحابة الكرام قد استمدّوا مكانتهم المرموقة من مكانة النبيّ ﷺ؛ إذ إنّه سيّد الخلق، وخاتم المرسلين، قد اجتمعت فيه كمالات النبوّة والخُلق، وجلائل الأعمال، ولو أنَّ عملاً واحداً منها تحقّق على يد رجل واحد لاستحقَّ أعظم لقب، ولأصبح من عباقرة العالم، "فما ظنّك بعظيم قَدْر مَن اجتمعتْ فيه خصالُ الخير كلُّها ممّا لا يحصيه عدّ، ولا يُعبّرُ عنه مقال، ولا ينالُ بكسبٍ ولا حيلة إلا بتخصيص الكبير المتعال من فضيلة النبوّة والرّسالة، والخُلّة والمحبة، والاصطفاء والإسراء.. إلى ما أعدَّ

(١) حلية الأولياء، أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني (٤٣٠هـ)، المكتبة السلفية، د.ط، د.ت، ج ١، ص ٣٠٥.

(٢) كتاب فضائل الصَّحابة، الإمام أحمد بن حنبل، (٢٤١هـ) حقّقه وخرّج أحاديثه: وصيّ الله بن محمّد عبّاس، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م. ج ٢، ص ٩٠٧.

(٣) المصدر السابق نفسه، ج ١، ص ٧٦- ٧٧.

الله له في الدَّار الآخرة من منازل الكرامة، ودرجات القُدْس، ومراتب السَّعادة والحسنى التي تقفُ دونها العقول"[1].

وقد حاز النبيّ ﷺ إعجابَ العلماء والمفكرين والأدباء في الغرب، ومنهم: "ول ديورانت" صاحب كتاب "قصّة الحضارة"، والأديب الفرنسيّ "لامارتين"، و"برنارد شو"، و"مايكل هارت" الذي ألّف كتاباً سمّاه "الخالدون المائة"، وجعل النبيّ ﷺ أولهم.

(١) الشِّفا بتعريف حقوق المصطفى، القاضي عياض، ج١، ص ٦١- ٦٢.

المبحث الثالث

حقوق الصَّحابة الكرام

لقد تبوَّأ الصَّحابةُ ﷺ – كما اتّضح – أرفعَ منـزلة، وأجلّ مكانة، حتى غدوا قلادةَ جُمان في جِيْد الزَّمان، وبلغوا سماءً ما طاولتها سماء، فتعذّر على المباري مباراتهم، واستحال على المجاري مجاراتهم.

ومن أجل ذلك وجبتْ لهم حقوق تليق بشرف صحبتهم للنبيّ ﷺ، وتكافئ عُشيراً من عُشر معشار صنيعهم، وتشكر أوابدَ فضلهم، وهي حقوق لا يزكو إيمانُ المسلم إلا بأدائها وافيةَ الكيل لا تطفيفَ فيها، ناصعةَ البياضِ لا شيةَ فيها. وهي سبعة حقوق رئيسة جامعة تندرج تحتها حقوق تفصيلية، ومن أوجب هذه الحقوق ما يلي:

أولاً– محبتهم وموالاتهم:

فالصَّحابة ﷺ أهل للحبّ والموالاة، وأجدر الناس بالثناء والمديح، وأحقّهم بالودّ والشعور الرقيق، وإنشاد الشِّعر العذب والقَصيد، والترضّي عنهم، والتّرحّم عليهم، والاستغفار لهم، والسُّرور بذكرهم. وتنبجس بواعثُ محبتهم ممّا يلي:

١ – حبّهم للنبيّ ﷺ ومحبته لهم، وثناؤه العاطر عليهم: وقد جعل حبَّهم علامةَ إيمان، وبُغضَهم علامةَ نفاق: عن البراء بن عازب ﷺ عن النبيّ ﷺ أنَّه قال في الأنصار: " الأنصارُ لا يُحبّهم إلا مُؤمن، ولا يُبْغضُهم إلا منافق، مَنْ أحبّهم أحبّه الله، ومَنْ أبغضهم أبغضه الله"[١].

---

(١) رواه البخاريّ، باب مناقب الأنصار، ج٥، ص ٣٩-٤٠. ورواه مسلم، كتاب الإيمان، باب الدليل على أنَّ حبّ الأنصار وعلي ﷺ من الإيمان، حديث ٢٣٤، ج ٢، ص ٢٥١-٢٥٢.

والأنصار هم مسلمو المدينة المنوّرة من الأوس والخَزْرَج الذين نصروا الرّسول ﷺ، واستقبلوا أصحابه، في حادثة تعدّ أروع مثال على المؤاخاة والتكافل، وقد وجَدَ فيهم المهاجرون خيرَ إخوان، وأفضل خلاّن؛ إذ كانوا يؤثرونهم على أنفسهم بعدما ألّف الله بين قلوبهم جميعاً، فكانوا قلباً واحداً، وجسداً واحداً[1].

٢- حبّهم لله ﷻ، وثناء الله على هذا الحبّ: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [2].

وباعثُ هذه الجذوة ومُوقظُها في قلوب الصحابة هو رسول الله ﷺ، فكان أن أحبّوا الله ﷻ أكثر من أنفسهم وآبائهم وأمهاتهم ومن الماء البارد على الظمأ، ورضوا أن يبذلوا نفوسهم ومُهجهم، وهم فرحون مستبشرون. ومحبةُ الله ﷻ هي التي حملت "مُصعب بن عمير" على ترك لذائذ العيش إلى الشَّظف والحرمان، وما "مُصعب" إلا مثال واحد في سجلهم الحافل بآلاف الأمثلة[3].

٣- حبّهم دين وإيمان وإحسان: قال العلامة ابن أبي العزّ الحنفي: "ونحبّ أصحابَ رسول الله ﷺ، ولا نفرط في حبّ أحدٍ منهم، ولا نتبرّأ من أحد منهم، ونبغض مَنْ يبغضهم، ولا نذكرهم إلا بخير. وحبّهم دين وإيمان وإحسان، وبغضهم كفر ونفاق وطغيان"[4].

---

(١) انظر: الصّحابة على لسان رسول الله ﷺ، أسامة عمّورة، مكتبة دار المحبّة، دمشق، د.ط، د.ت، ص ٢٧ -٣٠.

(٢) البقرة، آية ١٦٥.

(٣) انظر: إسلامنا، السيد سابق، دار الفكر، بيروت، د.ط، ١٣٩٨هـ ١٩٧٨م. ص ٥٦-٦١.

(٤) شرح العقيدة الطَّحاويّة، ابن أبي العزّ الحنفي، تحقيق: الشيخ محمد ناصر الدين الألبانيّ، الدار الإسلامي، عمان، ط١، ١٤١٩هـ ١٩٩٨م. ص ٤٦٧.

٤- حبّهم ذُخْرٌ ونجاةٌ يوم القيامة، فالمحبّ لهم يكون معهم، وهم القوم لا يشقى بهم جليسُهم ومحبّهم: عن عبد الله ﷺ قال: جاء رجلٌ إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، كيف ترى في رجلٍ أحبّ قوماً قال: ولمّا يلْحَقْ بهم؟ قال رسول الله ﷺ: " المرءُ مَعَ منْ أحبَّ "(١).

والمعنى "أنَّ الشَّخص يجتمع مع مَنْ أحبَّ، ولكن ذلك لا يستلزم مساواته له في منزلته، وعلوّ رتبته؛ لأنَّ ذلك متفاوت بتفاوت الأعمال الصالحة"(٢).

وعن أنسٍ ﷺ أنَّ أعرابيّاً قال لرسول الله ﷺ: متى السَّاعة؟ قال رسولُ الله ﷺ : "ما أعددتَ لها؟ قال: حُبَّ الله ورسوله. قال: أنت مَع مَنْ أحببتَ"(٣).

٥- حبّهم سعادة للقلب، وراحة للنفس، فأهل الهوى العُذريّ مثلاً يستشعرون في هواهم لذةً طاغية، وتعروهم لذكرى المحبوب هِزّة عارمة كما وصف أبو صخر الهذليّ:

وإنّي لتعروني لذكراكِ هِزَّةٌ كما انتفض العصفورُ بلَّله القطرُ(٤)!

ومنهم مَنْ يتعافى من مرضه إذا رأى محبوبه:

مَرِضَ الحبيبُ فَعُدتُه فمرضتُ من حَذَري عليهِ

---

(١) رواه مسلم، كتاب البر والصلة، باب المرء مع من أحبّ ، حديث رقم ٦٦٦٠، ج١٦، ص ٤٠٤.

(٢) نزهة المتقين شرح رياض الصالحين، د. مصطفى الخن ورفاقه، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١٥، ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م. ج ١، ص ٣٤٢.

(٣) رواه البخاري، كتاب العلم، باب من سُئل علماً وهو مشتغل في حديثه، ج١، ص ٢٣. ورواه مسلم، كتاب البر والصلة، باب المرء مع من أحبّ ، حديث رقم ٦٦٥٢، ج١٦، ص ٤٠١-٤٠٢.

(٤) عراه يعروه عَرْواً: قصده لطلب رِفْده. وعراه أمر: أصابه. انظر: المصباح المنير، الفيّوميّ(٧٧٠هـ)، مادة (عرا)، ص ٣٣١.

وأتـــــى الحبيـــــبُ يعـــودني فبرئــــتُ مــــن نظـــــري إليـــه!

وأنت إذا تأمّلت الوجود لا تكاد تجد اثنين يتحابّان إلا وبينهما مشاكلة، أو اتفاق في فعل أو حال أو مَقْصد، فإذا تباينت المقاصد لم يكن هناك إلا النَّفْرة، والبعدُ بين القلوب[1].فإذا كان هذا حال أهل الهوى[2]، فما البال بمَنْ يحبّ هؤلاء الصّحابة ﷺ؟ إنّه ليستشعر متعة في حبّهم لا تعدلها متعة، وراحةً في ذكرهم، لا تدانيها راحة، وينال من مِسْكهم أوفرَ حظّ، وأكمل نصيب.

ثانياً- إجلال أهل البيت وإكرامهم:

وآلُ البيت رضوان الله عليهم هم الصَّفوة المؤمنة الطَّاهرة، والعترة العطرة الطيبة من بيت رسول الله ﷺ الذين حُرموا الصَّدقة، وهم: أزواجه وأولاده وذرياتهم، والمؤمنون من أقربائه من بني هاشم وبني عبد المطلب وهم آل عليّ، وآلُ عَقيل، وآلُ جعفر، وآلُ عبَّاس، ففي الحديث الذي رواه يزيد بن حيَّان ذكرَ أنَّ النبيّ ﷺ: "حثَّ على كتاب الله ورغَّبَ فيه، ثمَّ قال:"وأهلُ بيتي، أُذكِّرُكُم اللهَ في أهلِ بيتي، أُذكِّرُكُم اللهَ في أهلِ بيتي".فقيل لزيد: مَنْ أهلُ بيته، أليس نساؤه من أهل بيته؟ فقال: بلى، إنَّ نساءه من أهل بيته، ولكن أهل بيته مَنْ حرم عليه الصدقة بعده، قال: ومن هم؟ قال: هم

(١) انظر: روضة المحبين، ابن قيّم الجوزية، خرّج أحاديثه، وعلّق عليه: طه عبد الرَّؤوف سعيد، وياسر صلاح عزب، المكتبة التوفيقية، القاهرة، د.ت. ص ٧١-٧٢.

(٢) يقول الشيخ علي الطنطاوي: على أنَّ ما يصفونه بالحبّ العذريّ هو كذبة حمراء، وفرية ليس لها أصل، فهل تصدّق الجائع إذا حلفَ لك أنّه لا يريدُ من المائدة الشَّهية إلا أنْ ينظر إليها، ويشمّ على البعد ريحها؟! كلا. كلُّ حُبٍّ مصيره إلى النّكاح أو السِّفاح! انظر كتابه: صور وخواطر، ، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٤، ١٣٩٨هـ، ص ٢٣٤، (بتصرف).

آلُ عليّ، وآلُ عَقيل، وآلُ جعفر، وآلُ عبَّاس"[1].

ويدخل في آل البيت أزواجُ النبيّ ﷺ لقول الله تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ ۖ وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[2].

قال ابن كثير: "والآية نصّ في دخول أزواج النبيّ ﷺ في أهل البيت هاهنا؛ لأنّهنَّ سببُ نزول هذه الآية، وسببُ النزول داخلٌ فيه قولاً واحداً"[3]. ومن خصائص آل البيت: أنَّ ذِكْرَهم قد قُرن بذكر النبيّ ﷺ في الصلاة الإبراهيميّة، وأنّهم منـزّهون عن أخذ الصدقة تكريماً لهم وتأكيداً على ترفّعهم عمّا في أيدي الناس، وأنَّ لهم نصيباً خاصّاً من الغنائم، وهو الخُمس. ومن أوفى حقوقهم أنْ يُجلّوا إجلالاً يليق بهم، ويكرموا إكراماً مُميّزاً، ومن ذلك[4]:

١ - حبّهم وتوقيرهم: عن ابن عمر رضي الله عنهما عن أبي بكر الصدّيق ﷺ موقوفاً عليه أنّه قال: ارْقُبوا محمّداً ﷺ في أهل بيته[5].

٢- معرفة مكانتهم وأقدارهم: وأنَّ لهم شرف النسب، وشرف الفضل والسّبق، فقد

---

(١) رواه مسلم في كتاب فضائل الصَّحابة، باب فضائل عليّ ﷺ، حديث ٦١٧٥، ج ١٥، ص ١٧٥.

(٢) الأحزاب، آية ٣٣.

(٣) مختصر ابن كثير، محمد علي الصابوني، دار الفكر بيروت، د.ط، د.ت. ج ٣، ص ٩٤.

(٤) انظر: ذخائر العُقْبى في مناقب ذوي القربى، محبّ الدين أحمد بن عبد الله الطبريّ (٦٩٤هـ). ص ٢٥وما بعدها.

(٥) رواه البخاريّ، كتاب مناقب قريش، باب مناقب الحسن والحسين، ج٥، ص ٣٣. ومعنى "ارْقُبوا": أي احفظوه فيهم، وراعوه وأكرموه. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير (٦٠٦هـ)، تحقيق: الطاهر أحمد الزاوي، ومحمود محمد الطناحي، دار الفكر، بيروت، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م، باب الراء مع القاف ج ٢، ص ٢٤٨.

طهّرهم الله تطهيراً، وأنزل فيهم قرآناً يُتلى:

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾[1].

٣- تنفيذ وصية النبيّ ﷺ فيهم: ففي الحديث الذي رواه يزيد بن حيَّان ذكرَ أنَّ النبيّ ﷺ: "حثَّ على كتاب الله ورغَّبَ فيه، ثمَّ قال:"وأهلُ بيتي، أُذكِّرُكُم اللهَ في أهلِ بيتي، أُذكِّرُكُم اللهَ في أهلِ بيتي"[2]. ومن تنفيذ وصية النبيّ ﷺ برّ أهل بيته، وذكر محاسنهم، ونصرتهم والذود عنهم، والدعاء لهم.

٤- الاقتداء بأصحاب النبيّ ﷺ في إجلال آل البيت: كان الصَّحابة الكرام يبجّلون أقارب النبيّ ﷺ، ويعرفون حقّهم، ويحبّونهم أكثر من أقارب أنفسهم، ومن ذلك "أنَّ عمر بن الخطاب ﵁ أمر العبّاس بن عبد المطلب ﵁ عام الرَّمادة أنْ يستسقي بالناس فسقوا. وكان عمر ﵁ يقول:"اللَّهم إنّا كنّا نتوسَّل إليك بنبيّك فتسقينا، وإنَّا نتوسَّل إليك بعمِّ نبيّنا فأسقنا، قال: فَيُسْقَون"[3].

ورويَ أنَّ زيد بن ثابت ﵁ صلَّى على جنازة أمّه، ثمَّ قُرّبت له بغلته ليركبها، فجاء ابنُ عبَّاس ﵁ فأخذ بركابه، فقال زيد: خلِّ عنه يا بن عمِّ رسول الله، فقال : هكذا نفعل بالعلماء. فقبَّل زيدٌ يدَ ابن عبَّاس، وقال: هكذا أُمرنا أنْ نفعلَ بأهلِ بيتِ نبيّنا[4] ﷺ.

وهكذا يتضح أنَّ من أصول أهل السّنة والجماعة أنَّهم يحبّون أهل بيت رسول الله

---

(١) الأحزاب، آية ٣٣.

(٢) رواه مسلم، كتاب فضائل الصَّحابة، باب فضائل عليّ ﵁، حديث ٦١٧٥، ج ١٥، ص ١٧٥.

(٣) رواه البخاري، ذِكْر العبّاس بن عبد المطلب، ج٥، ص ٢٥.

(٤) انظر: الشفا في حقوق المصطفى، القاضي عياض، ج٢، ص ٦٠٨.

ﷺ، ويتولّونهم، ويحفظون فيهم وصية رسول الله ﷺ، ويتولّون أزواج رسول الله ﷺ أمهات المؤمنين، ويؤمنون بأنّهنَّ أزواجه في الآخرة، خصوصاً خديجة رضي الله عنها، أمّ أكثر أولاده، وأول مَنْ آمن به، وعاضده على أمره، وكان لها منه المنزلة العالية، والصدّيقة عائشة بنت الصدّيق رضي الله عنهما، التي قال فيها النبيّ: "فضلُ عائشة على النساء كفضل الثَّريد على سائر الطعام"[1].

وحبّ آل البيت رضوان الله عليهم يوجبُ حبَّ الصّحابة كلّهم، ولا يُفرّق بين أحدٍ منهم، ولا يستثني معاوية بن أبي سفيان، ولا عمرو بن العاص رضي الله عنهما[2]، ولا غيرهما؛ إذ إنَّ الصَّحابة ﷺ كتابُ طهارة واحد،كلُّ صفحاته نقية ناصعة، فلا ينبغي الإيمانُ ببعض الكتاب، والكفرُ ببعضه، أو حبُّ بعضه، وبُغضُ بعضه؛ فإنَّ ذلك مَسْلك مَن اتّبع هواه:

﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[3].

ولا ينبغي أنْ تتحوّل محبةُ آل البيت رضوان الله عليهم إلى المفاخرة بتشييد الأبنية

---

(١) رواه البخاري، فضائل أصحاب النبيّ ﷺ باب فضل عائشة رضي الله عنها، ج٥، ص ٣٦. ورواه مسلم، في فضائل الصحابة، باب في فضل عائشة، حديث رقم ٦٢٤٩، ج ١٥، ص ٢٠٦.

وانظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، إدارة البحوث العلميّة الرياض، ط٢، ١٣٩٨هـ. م٣، ص ١٥٤.

(٢) انظر: كتاب فضائل الصَّحابة، الإمام أحمد بن حنبل، فضائل عمرو بن العاص ﷺ، ج ٢، ص ٩١١، وفضائل معاوية ﷺ ج٢، ص ٩١٣.

(٣) القصص، آية ٥٠.

على أضرحتهم، أو الدَّوران حولها، أو النَّواح عندها، أو طلب الشَّفاعة منها.

ثالثاً- الشَّهادة لهم بالفضل والسّبق:

ومن ألزم حقوق الصَّحابة ﷺ الاعتراف بفضلهم، وعلوّ شأنهم جميعهم، والشَّهادة الكاملة لهم بأنَّهم أفضل الأمّة إيماناً وجهاداً وصلاحاً، ويقتضي ذلك: تزكيتهم والثناء عليهم بالخير، كما أثنى عليهم القرآن، وأثنى عليهم النبيّ ﷺ، والإعجاب ببطولاتهم وتضحياتهم، وإثبات الفضل لهم جميعاً، وإنْ تفاوتت درجاتهم، فلا يلزم من هذا التفاوت انتقاص أحدهم أو تجريحه.

ومن مراتبهم العليا في الفضل والسّبق[1]:

١- السَّابقون الأولون من المهاجرين والأنصار: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾[2].

٢- مَنْ أنفقَ وقاتلَ من قبلِ الفتح: ﴿لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾[3].

---

(١) انظر: مقدّمة ابن الصلاح في علوم الحديث، ص ٣٠٦، والباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث، ابن كثير، ص ١٧٢-١٧٤، وفتح المغيث، السخاوي، ج ٣، ص ١١٠ وما بعدها.

(٢) التوبة، آية ١٠٠.

(٣) الحديد، آية ١٠.

٣- أهل بدر: ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (١).

وجاء في الحديث:" لعلَّ الله اطّلع على أهل بَدْرٍ فقالَ: اعملوا ما شئتم فقد وجَبتْ لكم الجنة، أو فقد غفرتُ لكم". وكانوا ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً(٢).

٤- أهل بيعة الرّضوان: ﴿ ۞ لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾ (٣).

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: "قال لنا رسولُ الله ﷺ يومَ الحديبية: "أنتم خيرُ أهل الأرضِ، وكنَّا ألفاً وأربَعمائة"(٤).

٥- المبشّرون بالجنة: وهم العشرة، وأمهات المؤمنين، وأعيان من الصَّحابة الكرام مثل: ثابت بن قيس بن شماس، وعُكاشة بن محصن، وعبد الله بن سلام، والحسن والحسين، رضوان الله عليهم جميعاً.

٦- مَنْ شهد المشاهد مع النبيّ ﷺ مثل: أهل أحد، والخندق، وفتح مكة، ويوم حُنين، وغزوة تبوك وغيرها.

وأهل السّنة والجماعة "يَقْبلون ما جاء به الكتاب والسّنة والإجماع من فضائلهم

---

(١) آل عمران، آية ١٢٣.

(٢) رواه البخاري، باب غزوة الفتح، ج٥، ص ١٨٥. وانظر: أسماء من شهد بدراً في البخاريّ، باب تسمية من سمّي من أهل بدر، ج٥، ص ١١١-١١٢. ورواه مسلم في كتاب فضائل الصَّحابة، باب فضائل أهل بدر، حديث رقم ٦٣٥١، ج ١٦، ص ٢٧٣.

(٣) الفتح، آية ١٨.

(٤) رواه مسلم في كتاب الإمارة، باب استحباب مبايعة الإمام الجيش عند إرادة القتال، حديث ٤٧٨٨، ج ١٢، ص ٦.

ومراتبهم.. ويقرّون بما تواتر به النقل عن أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب ﷺ وعن غيره، من أنَّ خير هذه الأمة بعد نبيّها أبو بكر، ثمَّ عمر، ويثلّثون بعثمان، ويربّعون بعليّ، كما دلتْ عليه الآثار، وكما أجمع الصَّحابة ﷺ على تقديم عثمان في البيعة"[(١)].

ويأتي بعد الخلفاء الرَّاشدين في الفضل بقيةُ العشرة المشهود لهم بالجنة، ثمَّ أهل بدر، ثمَّ أهل أحد، ثمَّ أهل بيعة الرّضوان، ثمَّ بقية الصَّحابة ممّن أسلم قبل الفتح، ثمَّ مَنْ أسلم من بعد الفتح وقاتل[(٢)].

وقد جعلهم "الحاكم النيسابوريّ" اثنتي عشرة طبقة، والطبقة هي المرحلة الزمنية التي شهدت دخول الصَّحابة في الإسلام، بدأ الطبقة الأولى بأوائل مَنْ أسلموا بمكة كأبي بكر، وعمر، وعثمان، وعليّ ﷺ وختم الطبقة الثانية عشرة بالصبيان والأطفال الذين رأوا الرسول ﷺ كالسَّائب بن زيد، وأبي الطُّفَيل عامر بن واثلة [(٣)] ﷺ.

والصَّحابة الكرام كلّهم أصحاب فضل، وهم محسنون، وموعودون بالحسنى، وأقلّهم رتبة في الفضل والسّبق هو أعلى رتبةً بشرف الصُّحبة من كلّ ذي رُتبة، وتلك ميزة اختصَّ الله بها الصَّحابة الكرام دون غيرهم، فطوبى لهم، وطوبى لِمَنْ يعرف فضلهم وسَبْقَهم: ﴿وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾[(٤)].

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، م ٣، ص ١٥٢ – ١٥٣.

(٢) انظر: الكافي في علوم الحديث، أبو الحسن علي بن أبي محمّد التبريزي (٧٤٦هـ)، شرحه وخرّج أحاديثه: مشهور بن حسن آل سلمان، ص ٧٠٥ – ٧٠٩.

(٣) انظر: معرفة علوم الحديث، الحاكم النيسابوريّ، ص ٢٢ – ٢٤.

(٤) الحديد، ١٠.

رابعاً– الإقرار بعدالتهم كلّهم:

والمقصود بعدالة الصَّحابة أنَّهم كانوا جميعاً من الوَرَع والتقوى بحيث لا يمكن أنْ يكذبوا على رسول الله ﷺ، أو ينسبوا له شيئاً لا يصحُّ عنه؛ لأنّهم يعتقدون أنَّ الكذب على رسول الله ﷺ أشدّ الذنوب، ويحترزون منه غاية الاحتراز، فلذلك تُقبل روايتهم، وهم خير مَنْ سَلِمَ من أسباب الفسق، وخَوارم المروءة(1). ومن حقوقهم الإقرار بأنّهم متّصفون بالعدالة والطَّهارة والنَّزاهة، وأنَّهم ثقاتٌ أمناء في كلّ ما نقلوا عن النبيّ ﷺ(2). والآيات الكريمة والأحاديث الشريفة التي وردتْ آنفاً في مكانتهم دالةٌ دلالةً قطعيّة على عدالتهم. ومن شواهد عدالتهم:

١ – أنَّهم أَمَنة للأمّة:

عن أبي موسى الأشعريّ رضي الله عنه عن النبيّ ﷺ قال: "النجومُ أَمَنةٌ للسماء، فإذا ذهب النجوم أتى السَّماء ما تُوعد، وأنا أَمَنةٌ لأصحابي، فإذا ذهبتُ أتى أصحابي ما يُوعدون، وأصحابي أَمَنةٌ لأمّتي، فإذا ذهبَ أصحابي أتى أمّتي ما يُوعدون"(3).

٢– أنَّهم بلّغوا الدِّين بأمر النبيّ ﷺ:

فهم موضع ثقته ﷺ، وأهل لتبليغ دينه، وسفراؤه إلى الناس، والنبيّ ﷺ لا يختار

---

(١) انظر: تنبيه ذوي النجابة إلى عدالة الصَّحابة، قرشي بن عمر بن أحمد، علّق عليه وخرّج أحاديثه: نبيل بن منصور البصَارة، دار الدعوة، الكويت، ط١، ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م، ص ١٤. خرَمَ: خرمتُ الشيء خرماً: إذا ثقبته. وخرمته: قطعته فانخرم. انظر: المصباح المنير، الفيّوميّ، مادة (خرمَ)، ص ١٤٣.

(٢) المصدر السابق نفسه، ص ١٤وما بعدها.

(٣) رواه مسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب بيان أنَّ بقاء النبيّ ﷺ أمان لأصحابه، ج ٤، ص ١٩٦١، جديث رقم ٦٤١٣، ج ١٦، ص ٣٠٠.

لهذه المهمّة ضعافاً أو جَهلة، أو مجرّحين، وآية ذلك قوله: "وليُبلِّغ الشَّاهدُ الغائب"[1].

٣- إجماع أهل السُّنة والجماعة على عدالتهم:

وأهل السُّنة والجماعة ليسوا فئة قليلة، إنّما هم اليوم ربع العالم؛ إذ يزيد عددهم عن مليار ونصف مسلم، وهم امتداد للسَّلف الصالح القائلين بأنَّ الصَّحابة كلَّهم عدول، لا يجوز تجريحهم، ولا تعديل بعضهم دون بعض؛ لأنّهم معدّلون بتعديل الله لهم.

والذين يطعنون في عدالة الصَّحابة ﷺ إنّما هم مجروحون لا تُقبل شهادتهم، ومُقدوح فيهم، قد أعماهم الحقد والكيد، وتلبَّسهم الجهل والنفاق.

ومن أقوال العلماء في عدالة الصَّحابة ﷺ:

- ابن حزم (٤٥٦هـ): "وكلّهم عدلٌ إمامٌ فاضلٌ رضي، فُرِضَ علينا توقيرهم وتعظيمهم، وأنْ نستغفر لهم ونحبّهم"[2].
- الخطيب البغداديّ (٤٦٣هـ): "إنَّ عدالةَ الصّحابة ثابتةٌ معلومةٌ بتعديل الله لهم، وإخباره عن طهارتهم، واختياره لهم في نصّ القرآن"[3].
- ابن عبد البرّ (٤٦٣هـ): "ثبتتْ عدالةُ جميعهم بثناء الله عزَّ وجلّ وثناءِ رسول الله ﷺ، ولا أعدلَ ممّن ارتضاه الله لصحبة نبيّه ﷺ ونصرته، ولا تزكيةَ أفضل من ذلك، ولا تعديلَ أكمل منها"[4].

---

(١) رواه مسلم في كتاب الحج، باب تحريم مكة وصيدها، حديث ٣٢٩١، ج ٩، ص ١٣٢.

(٢) الإحكام في أصول الأحكام، ابن حزم، علي بن أحمد(٤٥٦هـ)، الخانجي، القاهرة، ط ١، ١٣٤٥هـ. ج ٥، ص ٦٦٣.

(٣) الكفاية في علم الرواية، الخطيب البغداديّ، ص ٩٣.

(٤) الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله بن محمّد (٤٦٣هـ)، تحقيق علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ. ج١، ص ٢.

- إمام الحرمين الجوينيّ (٤٧٨هـ): "ولعلَّ السبب الذي أتاح الله الإجماع لأجله (يعني الإجماع على عدالتهم)، أنَّ الصحابة هم نقلة الشريعة، ولو ثبت توقّف في رواياتهم لانحصرت الشريعة على عصره، ولما استرسلت سائر الأعصار"(١).
- ابن الصَّلاح (ت ٦٤٢هـ): "للصَّحابة بأسرهم خصيصة، وهي أنَّه لا يُسأل عن عدالة أحدٍ منهم، ثمَّ إنَّ الأمّة مجمعة على تعديل جميع الصحابة، ومَنْ لابسَ الفتنة منهم، فكذلك بإجماع العلماء الذين يُعتدّ بهم في الإجماع، إحساناً للظنّ بهم، ونظراً إلى ما تمهّد لهم من المآثر، وكأنَّ الله سبحانه وتعالى أتاح الإجماع على ذلك لكونهم نَقَلة الشَّريعة"(٢).
- النوويّ (٦٧٦هـ): "الصَّحابة كلّهم عدول، مَنْ لابس الفتن وغيرُهم بإجماع مَنْ يُعتدُّ به"(٣).
- التبريزيّ (٧٤٦هـ): "للصَّحابة بأسرهم خصيصة، وهي أنَّه لا يُسأل عن عدالةِ أحدٍ منهم، لكونهم مُعدّلين على الإطلاق بإجماع مَنْ بعدهم، سواء قبل الفتن، أو بعدها، دخل فيها أم لا، وبالكتاب والسنة، والمعقول"(٤).
- ابن كثير (٧٧٤هـ):"الصَّحابة كلّهم عدول عند أهل السُّنة والجماعة، لما أثنى

(١) البرهان في أصول الفقه، الجويني، أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف (٤٧٨هـ)، تحقيق د. عبد العظيم محمود الديب، دار الوفاء، مصر، ط ٤، د.ت. ج ١، ص ٦٣.

(٢) مقدّمة ابن الصَّلاح في علوم الحديث، ابن الصلاح، ص ٢٠٢ - ٢٠٣.

(٣) انظر: تدريب الراوي في شرح تقريب النَّواويّ، أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (٩١١هـ)، تحقيق: عبد الوهاب عبد اللطيف، دار إحياء السنة النبوية، بيروت، ط٢، د.ت. ص ٢٩١.

(٤) انظر: الكافي في علوم الحديث، أبو الحسن علي بن أبي محمّد التبريزي (٧٤٦هـ)، ص ٦٩٢.

الله عليهم في كتابه العزيز، وبما نطَقَتْ به السنةُ النبويّة في المدح لهم في جميع أخلاقهم وأفعالهم، وما بذلوه من الأموال والأرواح بين يدي رسول الله ﷺ رغبةً فيما عند الله من الثواب الجزيل، والجزاء الجميل"[1].

- ابن حَجَر (٨٥٢هـ): "اتفق أهلُ السُّنة على أنَّ الجميعَ عدول، ولم يخالف في ذلك إلا شذوذٌ من المبتدعة"[2].

وقد جعل "ابنُ حجر" الصّحابةَ من أهل المرتبة الأولى، وهو مذهبه فقط، وأمَّا غيره من المصنّفين فلم يذكروا الصَّحابة في مراتب؛ لأنَّ عدالتهم من البديهيات، وأنّها ليست موضع بحث؛ لأجل تعديل الله ﷻ لهم في أكثر من آية في القرآن الكريم[3].

خامساً- التصديق بما وقع لهم من كرامات:

كان الصَّحابة الكرام أرقَّ الناس قلوباً، وأخشاهم لله ﷻ، وأرغبهم في لقائه، فدخلوا في زمرة أوليائه:﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ٦٣ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ لَا تَبۡدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾[4].

وقد وقع لهؤلاء الأولياء كرامات تأييداً لهم وتبشيراً وتثبيتاً، فوجب لهم من

---

(١) الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ص ١٧٢.

(٢) الإصابة في تمييز الصحابة، ج١ ، ص ٦.

(٣) انظر: علم أصول الجرح والتعديل، د. أمين أبو لاوي، دار ابن عفّان، الخُبَر، ط١، ١٤١٨هـ ١٩٩٧م. ص ٢٣٩، ٢٤٠.

(٤) يونس، الآيات ٦٢-٦٤.

الحقوق التصديق بهذه الكرامات التي صحّت رواياتها، ومن تلك الكرامات(١):

١- كرامة أبي بكر الصدّيق ﷺ في تكثير الطعام:

فقد روى أبو محمّد عبد الرحمن بن أبي بكر الصدّيق رضي الله عنهما من حديث طويل: "وأنَّ أبا بكر ﷺ جاء بثلاثة (من أهل الصُّفّة).. قال: وايمُ الله ما كنَّا نأخذ من لقمةٍ إلا رَبَا من أسفلها أكثرُ منها حتى شَبِعوا، وصارت أكثرَ ممّا كانت قبل ذلك"(٢).

٢- كرامة عُمر بن الخطّاب ﷺ بالتحديث والإلهام، وفضل الله ﷻ عليه بالحدس، وقوة الذكاء:

عن ابن عمر ﷺ قال:"ما سمعتُ عمرَ ﷺ يقولُ لشيءٍ قطُّ: إنّي لأظنُّه كذا، إلا كان كما يظنّ"(٣).

٣- كرامة سعد بن أبي وقاص ﷺ باستجابة دعوته:

ومن ذلك دعوته على رجلٍ افترى عليه أمام عمر ﷺ بقوله: "فإنَّ سعداً كان لا يسير بالسَّريَّة، ولا يقسمُ بالسَّويَّة، ولا يعدلُ في القضية. قال سعد: أما والله لأدعونَّ بثلاث: اللهمَّ إنْ كان عبدُك هذا كاذباً، قام رياءً وسُمْعَة، فأطلْ عُمُرَه، وأطِلْ فقرَه،

---

(١) انظر: نزهة المتقين شرح رياض الصالحين، د. مصطفى الخن ورفاقه، ج ٢، ص ١٠٢٢ – ١٠٣٣. صفة الصفوة، ابن الجوزيّ، (٥٩٧هـ) حقّقه: محمود فاخوري، دار المعرفة، بيروت، ط٣، ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م.ج١، ص ٣٩– ٤٥. وحياة الصحابة، محمد يوسف الكاندهلوي، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ١٩٨٧م. ج٣، ص ٥٠٧– ٥٧٠.

(٢) رواه البخاري، كتاب مواقيت الصلاة، باب السمر مع الضيف والأهل، ج١، ص ١٥٦–١٥٧. ورواه مسلم في كتاب الأشربة، باب إكرام الضيف وفضل إيثاره، حديث ٥٣٣٣، ج ١٤، ٢٤٤–٢٤٧.

(٣) رواه البخاريّ، باب إسلام عمر بن الخطاب ﷺ، ج٥، ص ٦١.

وعرِّضْه للفتن . وكان بعد ذلك إذا سُئل يقول: شيخ كبيرٌ مفتون، أصابتني دعوةُ سَعد. قال عبدُ الملك بن عُمير الرَّاوي عن جابر بن سَمُرَة: فأنا رأيتُه بعدُ قد سقطَ حاجباه على عينيه من الكِبَر، وإنَّه ليتعرَّضُ للجواري في الطرق فيغْمِزُهُنَّ"[1].

٤- كرامة عبد الله أبي جابر بطلبه للشهادة واستشهاده، وعدم تفسّخ جَسده:

فقد روى جابر بن عبد الله أنَّ أباه أخبره بأنّه سيكون أول قتيل في أحد، قال:"فأصبحنا فكان أولَ قتيل، ودفنتُ معه آخرَ في قبره، ثمَّ لم تَطبْ نفسي أنْ أتركَه مع آخرَ، فاستخرجتُه بعد ستةِ أشهر، فإذا هو كيومَ وضعتُهُ غيرَ أُذنه، فجعلتُه في قبرٍ على حِدَةٍ"[2].

٥- كرامة عاصم بن ثابت ﷺ بحماية جسده:

فبعد أن رماه المشركون بالنبل فقتلوه حاولوا أخذ جسده، "فبعث اللهُ لعاصم مثلَ الظُّلَةِ من الدَّبْر، فحمتْهُ من رُسُلهم، فلم يقدروا أنْ يقطعوا منه شيئاً"[3].

٦- كرامة خُبيب بن عَدي ﷺ بالفاكهة:

فقد أسرَ خُبيب ﷺ في الموقعة التي قُتل فيها عاصم بن ثابت ﷺ، وسُجن في مكة، وروت مَنْ كان أسيراً في بيتها:"قالت: ما رأيتُ أسيراً خيراً من خُبيب، فوالله لقد وجدتُه يوماً يأكلُ قُطْفاً من عنب في يده، وإنَّه لَمُوثَقٌ بالحديد، وما بمكَّةَ من ثمرة"[4].

(١) رواه البخاري، كتاب الأذان، باب وجوب القراءة للإمام والمأموم، ج ١، ص ١٩٢. ورواه مسلم في كتاب الصلاة، باب القراءة في الظهر والعصر، حديث رقم ١٠١٦، ج ٤، ص ٣٩٥-٣٩٦.

(٢) رواه البخاري، كتاب الجنائز، باب هل يُخرج الميت من القبر، ج ٢، ص ١١٦.

(٣) رواه البخاريّ، باب فضل مَنْ شهد بدراً، ج ٥، ص ١٠٢.

(٤) رواه البخاريّ، باب فضل مَنْ شهد بدراً، ج ٥، ص ١٠٢.

٧- كرامة رجلين من الصّحابة ﷺ بمصباحين بين أيديهما:

عن أنسٍ ﷺ أنَّ رجلين من أصحاب النبيّ ﷺ خرجا من عند النبيّ ﷺ في ليلةٍ مظلمة، ومعهما مثلُ المِصباحين بينَ أيديهما، فلمّا افترقا صارَ مع كلِّ واحدٍ منهما واحدٌ، حتَّى أتى أهلَه". رواه البخاريّ من طرق، وفي بعضها: أنّ الرَّجلين أُسيدُ بن حُضير، وعبَّادُ بنُ بِشْر رضي الله عنهما[1].

إنَّ تدبّر كرامات الصَّحابة ﷺ يملأ النفس بحبّهم، ويأخذها بالإعجاب بصدق إيمانهم، ومبلغ كرامتهم على الله ﷻ، ويجعل من الأصول"التصديق بكرامات الأولياء، وما يُجري الله على أيديهم من خوارق العادات في أنواع العلوم والمكاشفات، وأنواع القدرة والتأثيرات، كالمأثور عن سالف الأمم في سورة الكهف وغيرها، وعن صَدْر هذه الأمّة من الصَّحابة والتابعين وسائر قرون الأمّة، وهي موجودة فيها إلى يوم القيامة"[2].

سادساً- تعظيم حُرْماتهم، والكفّ عمَّا شجرَ بينهم، وتحريم الطَّعن فيهم:

ومن أخصّ حقوق الصَّحابة الكرام عدم الإساءة لهم، بأن يوصف بعضهم بالبخل، أو الجبن، أو قلّة العلم، أو الطمع ونحو ذلك، وعدم التعرّض لمن لابسَ الفتنة منهم، إذْ إنّهم بشر يُصيبون ويجتهدون، وما جعل الله ﷻ العصمة لبشر يدبّ على الأرض إلا الأنبياء.

ولا يجوز أنْ يُنسب إلى أحد من الصَّحابة خطأ مقطوع به؛ لأنّهم اجتهدوا فيما

---

(١) رواه البخاري، باب منقبة أُسيد بن حُضير، وعبَّاد بن بِشْر رضي الله عنهما، ج ٥، ص ٤٤-٤٥.

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، م ٣، ص ١٥٦.

فعلوه، وأرادوا به الله ﷻ، وهم كلّهم أئمة، وقد تعبّدنا الله تعالى بالكفّ عمّا شجرَ بينهم، وألا نذكرهم إلا بأحسن الذكر، وذلك تقديراً لحرمة الصّحبة، ولنهي النبيّ ﷺ عن سبّهم[1].

ولا ينبغي مجاراة مَنْ يذهبون إلى إثارة الإحن والفتن بين المسلمين بسبب ما وقع لبعض الصَّحابة الكرام كتلك الشّرذمة التي ذهبت إلى أنَّ حال الصحابة كحال غيرهم، فيلزم البحث عن عدالتهم.

وأنّهم كانوا على العدالة بُداءة الأمر، ثمَّ تغيّرت بهم الأحوال، وهذا مردود؛ فإنَّ خيار الصَّحابة وفضلاءهم ممن أثنى الله عليهم وزكّاهم ورضي عنهم وأرضاهم، وخاصة العشرة المقطوع لهم بالجنة - بإخبار الرسول - هم القدوة مع علمهم بكثير من الفتن والأمور الجارية عليهم بعد نبيّهم بإخباره لهم بذلك. وذلك غير مُسقطٍ من مرتبتهم وفضلهم؛ إذ كانت تلك الأمور مبنية على الاجتهاد، وكلّ مجتهدٍ مُصيب[2].

ويقتضي هذا الحقّ من حقوق الصَّحابة الكرام ما يلي:

١ - سلامة القلوب والألسنة والأقلام لأصحاب النبيّ ﷺ:

إذ ليس لأحد - وخاصة أشباه المتعلّمين في هذا الزَّمان - الحقّ في الحكم عليهم، أو القضاء بينهم؛ لأنّهم مجمع الطَّهارة والبراءة "فإذا صدر من أحدهم ذنب فيكون قد تاب منه، أو أتى بحسنات تمحوه، أو غُفر له بفضل سابقته، أو بشفاعة محمّد ﷺ الذي هم أحقّ الناس بشفاعته، أو ابتلي ببلاء في الدنيا كُفّرَ به عنه. فإذا كان هذا في الذنوب

(١) انظر: الصُّحبة والصَّحابة، أحمد علي الإمام، ص ٧٩-٨٠.

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبيّ، ١٥، ص ١٨٨-١٩٢.

المحقّقة، فكيف بالأمور التي كانوا فيها مجتهدين: إنْ أصابوا فلهم أجران، وإنْ أخطأوا فلهم أجر واحد، والخطأ مغفور لهم. ثمّ القدر الذي يُنكر من فعل بعضهم قليل نَزر مغمور في جنب فضائل القوم ومحاسنهم من الإيمان بالله ورسوله، والجهاد في سبيله، والهجرة والنصرة، والعلم النافع، والعمل الصَّالح"(١).

٢- معرفة أنَّ الصّحابة ﷺ هم زُبْدة الخَلْق، وصفوة الصَّفوة:

فليس فيهم مُحْتقر ولا مُبتذل، وأقلّهم رتبةً هو فوق علماء الأمة وعابديها وصالحيها إلى يوم القيامة، وفوق كلّ أحد جاء بعد الصّحابة كائناً مَنْ كان.

رُوي أنَّ عائذَ بنَ عَمْرٍو ﷺ، وكان من أصحاب رسول الله ﷺ، دخلَ على عُبيد الله بنِ زياد فقال: "أيْ بُنيَّ، إنّي سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: "إنَّ شرَّ الرِّعاء الحُطَمَة، فإيّاك أنْ تكونَ منهم". فقال له: اجلس فإنّما أنتَ من نُخَالةِ أصحاب محمّد ﷺ. فقال: وهل كانت لهم نُخَالة، إنَّما كانت النُّخَالةُ بعدَهم، وفي غيرهم"(٢).

قال الإمام النوويّ: "هذا من جَزل الكلام وفصيحِه وصدقه الذي ينقادُ له كلُّ مسلم؛ فإنَّ الصَّحابة ﷺ كلّهم هم صفوةُ الناس، وسادات الأمة، وأفضل ممّن بعدهم، وكلّهم عدول قدوة لا نُخالة فيهم، وإنّما جاء التخليطُ ممن بعدهم، وفيمَنْ بعدهم كانت النّخُالة"(٣).

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، م ٣، ص ١٥٥.

(٢) رواه الإمام مسلم في كتاب الإمارة، باب فضيلة الإمام العادل، حديث ٤٧١٠، ج ١٢، ص ٤٢٠.

النُّخَالة: نَخَلَ الدقيق: غربلَه، والنُّخالة ما يخرج منه. وما يبقى من الشيء بعد نخله. انظر: مختار الصحاح، الرازي، مادة (نخل). وانظر: المعجم الوسيط، إبراهيم أنيس ورفاقه، مادة (نخل).

(٣) انظر: صحيح مسلم بشرح النووي، تحقيق: الشيخ خليل شيحا، ج١٥، ص ٤٢٠.

٣- صيانة أعراض أمهات المؤمنين من الأذى:

فهنَّ أزواج النبيّ ﷺ الصَّحابيات الطاهرات القانتات اللائي تنـزلّت ببيوتهنّ سورُ الكتاب ورتّلت ترتيلاً، ويكفيهنَّ شرفاً وفخراً ومجداً أنّهنَّ أزواج رسول الله ﷺ، رأينه وسمعنَ منه، وعشن معه، وخاصة الصدّيقة عائشة رضي الله عنها وعن سائر أمهات المؤمنين. فلا بدَّ من صيانة أعراضهنّ، فسبُّهنَّ أو اتهامهنَّ هو إيذاء للنبيّ ﷺ، وإيذاء لأشرف نساء الأمّة، وإيذاء للمؤمنين، والله تعالى يقول:

﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴾[١].

وقد عدَّ ابنُ كثير أصحاب الغلوّ والعصبية في التشيّع من أكثر مَنْ يدخل في هذا الوعيد؛ لأنّهم يتنقَّصون الصَّحابة، ويعيبونهم بما قد برأهم الله منه، ويصفونهم بنقيض ما أخبر الله عنهم، فإنَّ الله عزَّ وجلَّ قد أخبر أنَّه قد رضي عن المهاجرين والأنصار ومدحهم، وهؤلاءِ الجهلة الأغبياء يسبّونهم ويتنقّصونهم، ويذكرون عنهم ما لم يكن ولا فعلوه أبداً، فهم في الحقيقة مُنكَّسو القلوب، يذمّون الممدوحين، ويمدحون المذمومين[٢].

٤- حَمْل ما كان بينهم من فتنة على حُسن الظَّن:

ومعرفة أنَّ مَنْ لابس الفتنة من الصَّحابة الكرام لا يزيدون على مائة، وهو عدد قليل جداً بالنظر إلى الآلاف من أصحاب النبيّ ﷺ الذين عاصروا هَياج الفتنة.

---

(١) الأحزاب، آية ٥٨.

(٢) انظر: مختصر ابن كثير، محمد علي الصابوني، ج ٣، ص ١١٤.

قال ابنُ كثير: "لم يكن من الفريقين مائة من الصَّحابة، والله أعلم، وجميعهم صَحابة، فهم عُدول كلّهم"(١). وقد ثبت بإسناد قال عنه ابن تيمية: "إنَّه أصحّ إسناد على وجه الأرض"، عن محمد بن سيرين قال: "هاجت الفتنة وأصحابُ رسول الله ﷺ عشرة آلاف، فما حضرها منهم مائة، بل لم يبلغوا ثلاثين"(٢).

"وأمّا ما شَجَرَ بينهم بعده عليه الصَّلاة والسَّلام فمنه ما وقع عن غير قصد، كيوم الجَمَل، ومنه ما كان عن اجتهاد، كيوم صفِّين، والاجتهاد يخطئ ويصيب، ولكنَّ صاحبه معذور وإنْ أخطأ، ومأجور أيضاً. وأمَّا المصيب فله أجران اثنان"(٣).

والمشهور من مجيء أصحاب الجَمَل إلى البصرة، إنّما كان لتأليف الكلمة، وللتوصل إلى إقامة الحدّ على قتلة عثمان ﷺ، فأمّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها كانت تطلبُ تطفئة الفتنة، ولكن خرج الأمر من الضبط، فأواخرُ الأمور لا تبقى على وفق طلب أوائلها.

والظنُّ بمعاوية ﷺ أنَّه كان على تأويلٍ وظنٍّ فيما كان يتعاطاه، وما يحكى سوى هذا من روايات الآحاد فالصَّحيحُ منه مختلط بالباطل، والاختلاقُ أكثره اختراعات أهل الأهواء والخائضين في الفتن.

وأنت في هذا المقام بين أن تسئ الظنَّ بمسلم وتطعن عليه، وتكون كاذباً، أو تحسن الظن به، والخطأُ في حسن الظنّ بالمسلم أسلمُ من الصَّواب بالطعن فيه، فلو سكتَ

---

(١) الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ص ١٧٣.

(٢) منهاج السنة النبويّة، ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، تحقيق: د. رشاد محمد سالم، مؤسسة قرطبة، ط١، ١٤٠٦هـ. ج ٦ ص ٢٣٦.

(٣) الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ص ١٧٢-١٧٣.

إنسان مثلاً عن لعن إبليس، أو مَنْ شئت من الأشرار طولَ عُمره لم يضره السُّكوت، ولو هفا هفوةً بالطعن في مسلم بما هو بريئ عند الله تعالى منه، فقد تعرّضَ للهلاك، بل أكثر ما يُعْلَم في الناس لا يَحِلُّ النطق به؛ لتعظيمِ الشَّرع الزَّجر عن الغيبة، مع أنَّه إخبارٌ عمَّا هو مُتحقّقٌ في المغتاب(١).

والفتنة لم تنشأ من تعمّد الصَّحابة الكرام، وإنّما الذي أشعلها بينهم ذلك اللَّعين "عبد الله بن سَبأ" اليهوديّ المعروف بابن السَّوداء ومَنْ شايعه من السَّبئيين والخوارج والمنافقين(٢).

وبحمد الله ﷻ انتهت الفتنة؛ إذ نزل الحسن ﷺ عن الأمر لمعاوية ﷺ، واجتمعت الكلمة على معاوية، وسمّي "عام الجماعة"، وذلك سنة أربعين من الهجرة.

وانقشعتْ سحابةُ الفتنة التي لم تمكث غير مدّة يسيرة، على حين تقع فتن بين الأمم تأكل الأخضر واليابس، وتسيل فيها أنهار من الدَّم، وتدوم سنين طويلة كحرب المائة سنة

---

(١) انظر: عبد المعز عبد الحميد الجزار، "فضل أصحاب رسول ﷺ" مجلة الأزهر، مجمع البحوث الإسلامية، القاهرة، ج ٦، س ٧٢، ١٤٢٠ هـ ١٩٩٩م. ص ٨٠٤ (نقلاً عن كتاب الاقتصاد في الاعتقاد للنبهاني ص ٤٦٠ ، ٤٦١). وانظر: العواصم من القواصم في تحقيق مواقف الصَّحابة بعد وفاة النبيّ ﷺ، أبو بكر بن العربيّ (٥٤٣هـ)، تحقيق: محبّ الدين الخطيب، دار الكتب السَّلفية، د.ط، د.ت. ص ١٥٥ - ١٥٦.

(٢) انظر من الدراسات المعاصرة التي ناقشت أحداث الفتنة مناقشة علميّة من وجهة شرعيّة: الخلفاء الراشدون بين الاستخلاف والاستشهاد، د. صلاح الخالدي، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، ط٤، ١٤٢٨هـ، ٢٠٠٧م، ص ١٢٤ وما بعدها. وانظر: السيف المسلول الذَّاب عن أصحاب الرسول ﷺ، جمال بن محمد بن محمود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٨هـ ٢٠٠٧م. ص ١٧٣ وما بعدها.

بين إنجلترا وفرنسا، وتقع حروب أهليّة طاحنة، وحروب عالميّة لا تُبقي ولا تذر، كالحربين العالميتين الأولى والثانية اللتين قُتل فيهما نحو ستين مليون إنسان، وجُرح نحو مائة مليون، وذلك في ثلاثين سنة فقط من (١٣٣٤هـ ١٣٦٥هـ)/ (١٩١٤م - ١٩٤٥م)!

والعجب أنّ المتورّطين في تلك الحروب يزعمون أنّهم دعاة السَّلام، وحُماة الديمقراطية، ويرمون غيرهم بالجهالة والتخلّف والإرهاب، ولمّا تجفّ أيديهم بعدُ من دماء ملايين الأبرياء، فويل للمطفّفين!

٥- الاقتداء بعلماء الأمة في عدم التعرّض للصَّحابة الكرام:

وعلماء الأمّة الربانيّون هم أكثر الناس حبّاً وإجلالاً وتبرئةً لأصحاب النبيّ ﷺ، لأنَّ هؤلاء العلماء ورثة الأنبياء، وورثة الصَّحابة ﷺ الذين قلَّ نظيرهم في التاريخ.

وهؤلاء العلماء يحذرون من المسائل المُحْدَثات من البدع، ولا يُصغون إلى أهلها، ولا يرضون بمجالستهم، ولا يمارونهم، ويجعلون أصلَ علمهم الكتاب والسّنة، وما كان عليه الصَّحابة الكرام، ومَنْ بعدهم من التابعين، ومَنْ بعدهم من أئمة المسلمين[1].

- فقد سُئل بعض هؤلاء العلماء[2] عن الدّماء التي أريقت في الفتنة فقرأ قوله تعالى: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[3].

---

(١) انظر: أخلاق العلماء، الآجُرّيّ، أبو بكر محمد بن الحسين،(٣٦٠هـ) حقّقه: الداني بن منير آل زهوي، دار الكتاب العربيّ، بيروت، ط١، ١٤٢٥هـ ٢٠٠٥م. ص ٤٠.

(٢) انظر: الصحبة والصحابة، أحمد علي الإمام، ص ٨١-٨٢ .(نقلاً عن القرطبي، الجامع لأحكـام القـرآن، ١٦/ ٣٢٢).

(٣) البقرة، ١٣٤.

- وسُئل بعضُهم أيضاً فقال: تلك دماء قد طهَّر الله منها يدي؛ فلا أخضبُ بها لساني.
- وعدّ بعضهم ما كان بين الصَّحابة ﷺ من المنازعات كما جرى بين إخوة يوسف عليه السلام معه، إذ لم يخرجوا بذلك عن حدّ الولاية والنبوّة.
- وسُئل الحسن البصري (١١٠هـ) عمّا جرى بينهم من قتال فقال: قتالٌ شَهِدَهُ أصحابُ محمّد ﷺ وغبنا، وعَلِموا وجهلنا، واجتمعوا فاتبعنا، واختلفوا فوقفنا.
- وقال المحاسبي (٢٣٤هـ): ونحن نقول كما قال الحسن؛ ونعلمُ أنَّ القوم كانوا أعلمَ بما دخلوا فيه منّا، ونتبع ما اجتمعوا عليه، ونقف عندَ ما اختلفوا فيه، ولا نبتدع رأياً منّا، ونعلم أنَّهم اجتهدوا وأرادوا الله عزَّ وجلَّ؛ إذ كانوا غير متّهمين في الدِّين.
- أمَّا أبو بكر بن العربيّ (٥٤٣هـ) فيقول ناصحاً للمسلمين من الدخول في دماء الصحابة: "فلا تكونوا ولم تشاهدوهم – وقد عصمكم الله من فتنتهم – ممّن دخل بلسانه في دمائهم، فيلغ فيها ولوغَ الكلب بقية الدَّم على الأرض بعد رفع الفريسة بلحمها، ولم يلحق الكلب منها إلا بقية دم سقط على الأرض"[1].

٦- رعاية وصية النبيّ ﷺ في أصحابه:

فلا بدَّ للتقي الوَرِع أن يحرص على رعاية حُرمة النبيّ ﷺ في أصحابه، بكفّ الألسنة عن غَمْطهم، أو الوقيعة بين مَنْ يحبّهم بلوم أو تعنيف، أو اتّهامهم وبخسهم

(١) العواصم من القواصم في تحقيق مواقف الصَّحابة بعد وفاة النبيّ ﷺ، أبو بكر بن العربيّ (٥٤٣هـ)، تحقيق: محبّ الدين الخطيب، ص ٢٣١.

حقّهم، فإنَّ فضيلة الصّحبة لا تعدلها فضيلة: عن جابر بن سَمُرة قال: "خطَبنا عمر بن الخطاب بالجَابيَة، فقال: إنَّ رسولَ الله ﷺ قام فينا مثلَ مُقامي فيكم فقال: احفظوني في أصحابي، ثمَّ الذين يَلُونَهم، ثمَّ الذين يَلُونَهم، ثمَّ يفشو الكذب،حتى يشهدَ الرجلُ وما يُسْتشهد، ويَحْلِفَ وما يُسْتَحْلَف"(١).

وليعلم مَنْ يتعرض بالسُّوء لأصحاب النبيّ ﷺ أنَّه ملعون من الله والملائكة والناس، وأنَّ عاقبته الحسرة والندامة يوم القيامة:عن عويم بن ساعدة ﷺ أنَّ رسول الله ﷺ قال: "إنَّ الله تبارك تعالى اختارني، واختار لي أصحاباً، فجعلَ لي منهم وزراء، وأنصاراً، وأصهاراً. فمن سبَّهم فعليه لعنةُ الله والملائكة والناس أجمعين، لا يُقبل منه يومَ القيامة صَرْفٌ ولا عَدل"(٢).

واللهُ ﷻ يدافع عن أوليائه، وينتقم ممّن يُعاديهم، فيفضح الطَّاعنين فيهم، ويخزيهم في الدُّنيا والآخرة، ومَنْ يقوى على حرب الله العزيز الجبّار؟! عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "إنَّ الله تعالى قال: مَنْ عادى لي وليّاً فقد آذنتُه بالحرب"(٣).

قال أبو زُرْعة: "إذا رأيت الرَّجل ينتقصُ أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ فأعلم أنَّه زِنْديق، وذلك أنَّ الرَّسول ﷺ عندنا حقّ، والقرآنَ حقّ، وإنَّما أدَّى إلينا هذا القرآن والسُّنن أصحابُ رسول الله ﷺ، وإنَّما يريدون أن يجرّحوا شهودنا؛ ليبطلوا الكتاب والسُّنة، والجرحُ بهم أولى، وهم زنادقة"(٤).

---

(١) سنن ابن ماجه، ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد القَزوينيّ، (٢٧٥هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت. د.ط، د.ت. كتاب الأحكام. باب كراهية الشهادة لمن لم يستشهد. حديث رقم ٢٣٥٤.

(٢) رواه الحاكم ، ج٣، ص٦٣٢. وقال: حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

(٣) رواه البخاري، كتاب الرقاق، باب التواضع، ج ٨، ص ١٣١.

(٤) الإصابة، ابن حجر، ج١، ص ٧.

وليحذر مَنْ يتعرض بالسُّوء لأصحاب النبيّ ﷺ من الهلاك يوم القيامة، وليستجب لنصيحة هذا العالم الربّاني القاضي أبي بكر بن العربيّ: "وإياكم أن تكونوا يوم القيامة من الهالكين بخصومة أصحاب رسول الله ﷺ، فقد هلك مَنْ كان أصحابُ النبيّ ﷺ خصمَه. دعوا ما مضى، فقد قضى الله فيه ما قضى، وخذوا لأنفسكم الجدّ فيما يلزمكم اعتقاداً وعملاً"(١).

سابعاً- الاهتداء بهديهم، والسَّير على نهجهم:

وليس ذلك إلا لأنَّهم خاصّة النبيّ ﷺ وبطانته، قد استمدّوا نورهم من مشكاة النبوّة، فتلقّوا التنزيل، ولزموا نبيّهم الموصوف في القرآن بالسّراج المنير، وتتلمذوا له، ولأنهم الطليعة المؤمنة التي حملت عبء الرسالة، وقامت على كواهلهم الدعوة، وأعلى الله ﷻ بهم كلمة الحقّ، فقد وجب من حقوقهم الاهتداء بهديهم، واتباع السيرة التي سلكوها، والنهج الإيماني الذي ساروا عليه، وأثّر فيهم وذلك باتباعهم للنبي ﷺ واقتدائهم به، واقتداء غيرهم بهم ﷺ(٢).

ويقتضي حقّ الاهتداء بهم ما يلي:

١- لزوم هَدْيهم، وعضّ النواجذ عليه:

وسرُّ اللزوم أنَّ علمَهم وثيقٌ بالسنة، وأنَّ ورعَهم مكين في الدين: عن العِرْباض

---

(١) العواصم من القواصم في تحقيق مواقف الصَّحابة بعد وفاة النبيّ ﷺ، أبو بكر بن العربيّ (٥٤٣هـ)، ص ١٨٢.

(٢) انظر: هدي الصَّحابة، د. رضا محمد صفي الدين السنوسي، مجلة علوم الشريعة واللغة العربية والآداب، كلية الآداب- جامعة الملك عبد العزيز، ع٢٣.

(شبكة المعلومات الإنترنت: http://www.ashraf-online.com).

بن سارية ﷺ: وعظنا رسولُ اللهﷺ يوماً بعد صلاة الغداة موعظةً بليغةً، ذرفتْ منها العيون، وَوَجلتْ منها القلوب، فقال رجلٌ: إنَّ هذه موعظةُ مُودِّع، فماذا تعهدُ إلينا يا رسول الله؟ قال: أوصيكم بتقوى الله والسّمع والطاعة، وإنْ عبدٌ حبشيٌّ، فإنّ مَنْ يعشْ منكم يرى اختلافاً كثيراً، وإيّاكم ومحدثاتِ الأمور؛ فإنّها ضلالة، فمن أدرك ذلك منكم فعليكم بسنّتي وسُنّة الخلفاء الرّاشدين المهديّين عَضُّوا عليها بالنواجذ"[1].

٢- ردّ كلّ بدعة تخالف الدّين:

وذلك لأنّهم بلّغوا الدين خالصاً من الشوائب والشبهات والبدع والأهواء: عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسولُ الله ﷺ: "مَنْ أحدثَ في أمرنا هذا ما ليس فيه فهو رَدّ"[2].

٣- نفي ما يُلصق بهم من مذاهب فاسدة، ومسالك مذمومة:

ومن ذلك إضافة التصوّف المبني على الكسل والشَّطحات إلى كبار سادات الصّحابة كأبي بكر وعمر رضي الله عنهما وغيرهما، وليس عند القوم خبر من التصوّف، وقد رُوي عن الإمام الشَّافعيّ أنَّه قال:" التصوّف مبني على الكسل، ولو تصوّف رجلٌ أول النهار لم يأتِ الظهر إلا وهو أحمق"[3]!

(١) رواه الترمذي في كتاب العلم، باب ما جاء في الأخذ في السنة، واجتناب البدع، حديث رقم ٢٦٧٦، ج ٥، ص ٤٣. وقال: حديث حسن صحيح.

(٢) رواه البخاريّ، كتاب الصلح، باب إذا اصطلحوا على صلح جَوْر، ج ٣، ص ٢٤١. ورواه مسلم في كتاب الأقضية، باب نقض الأحكام الباطلة، حديث ٤٤٦٨، ج ١٢، ص ٢٤٢.

(٣) انظر: صفة الصفوة، ابن الجوزيّ، (٥٩٧هـ) حقّقه: محمود فاخوري، وخرّج أحاديث: د.محمد رواس قلعه جي، ج ١، ص ٢٥.

٤- الحفاظ على نهجهم في الاعتدال والتوازن:

وهو نهج لا إفراط فيه ولا تفريط، ولا غلوّ ولا شَطط، وهو نهج الجادة السَّليمة، والطريق القويمة، والاقتداء بصاحب الشَّرع، والاستنان به؛ لأنّه الكامل الذي لا نقص فيه.

والعجب أنَّ خلقاً انحرفوا عن منهج الاعتدال إلى جادة الزُّهد، وحملوا أنفسهم فوق الجهد، فأفاقوا في أواخر العمر، والبدن قد نهك، وفاتت أمور مهمة من العلم وغيره.

ومن تأمّل حالة الرسول ﷺ رأى كاملاً من الخلق يعطي كلَّ ذي حقّ حقَّه، ولم يُسمع عنه ما حدث بعده من جهّال المتصوّفة والمتزهّدين من منع النفس شهواتها على الإطلاق.

وما كانت الصَّحابة ﷺ تفعل شيئاً من حماقات أوجبتها قلةُ العلم، فقد كانوا يؤثرون ويأكلون دون الشَّبع، ويصبرون إذا لم يجدوا، فمن أراد الاقتداء فعليه برسول الله ﷺ وأصحابه ﷺ، ففي ذلك الشّفاء[1].

٥- الإبقاء على نقاء سيرتهم، وصفاء صورتهم:

وهي سيرةٌ مطهّرة طهارةَ ماء المُزن، وصورةٌ صافية صفاءَ السماء في رابعة النهار، "ومَنْ نظر في سيرة القوم بعلم وبصيرة، وما مَنَّ الله به عليهم من الفضائل عَلِمَ يقيناً أنَّهم خيرُ الخلق بعد الأنبياء، لا كان ولا يكون مثلهم، وأنَّهم هم الصَّفوة من قرون هذه الأمّة التي هي خيرُ الأمم، وأكرمُها على الله تعالى"[2].

وتأييداً لكلام شيخ الإسلام أنَّه "لا كان ولا يكون مثلهم"، فقد "قال بعضُهم في

(١) انظر: صيد الخاطر، ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزيّ (٥٩٧هـ)، تحقيق: د. السيد محمد سيد، وسيد إبراهيم، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٦هـ ٢٠٠٥م، ص ١٩٥-١٩٨.

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، م ٣، ص ١٥٦.

معاوية ﷺ وعمر بن عبد العزيز رحمه الله: لَيومٌ شَهِده معاوية مع رسول الله ﷺ خيرٌ من عُمـر بن عبد العزيز وأهـل بيته"[1].

فلا يجوز تفضيل التابعيّ على الصَّحابي مهما بلغ ورعُ التابعيّ وعدلُه وزهدُه، ومن التفضيل غير الجائز إطلاق لقب "خامس الخلفاء الرَّاشدين" على عمر بن عبد العزيز رحمه الله؛ لأنَّ فيه تفضيلاً له على معاوية ﷺ، واتّهاماً لخلافة معاوية بالجور ومخالفة الشَّرع، وهي خلافة شرعيّة تمّت ببيعة المسلمين، وسمّي عامها عام الجماعة، وكانت سيرته ﷺ في الحكم من خير السِّير:

عن ابن أبي مليكة قال: "أوترَ معاويةُ بعد العشاء بركعة، وعنده مولىً لابن عبّاس، فأتى ابنَ عبَّاس فقال: دعه فإنّه صَحِبَ رسولَ الله ﷺ"[2].

وخلاصةُ القول في حقوق الصَّحابة الكرام:

أنَّ "من توقيره ﷺ وبِرّه توقيرَ أصحابه وبِرّهم، ومعرفة حقّهم، والاقتداء بهم، وحُسن الثَّناء عليهم، والاستغفار لهم، والإمساك عما شَجَر بينهم، ومعاداة من عاداهم، والإضراب عن أخبار المؤرّخين وجَهلة الرُّواة"[3].

---

(١) ابن كثير، الباعث الحثيث، ص ١٧٢.

(٢) رواه البخاريّ، باب ذكر معاوية ﷺ، ج٥، ص ٣٥. وانظر: فتح الباري بشرح صحيح البخاريّ، ابن حجَـر العسقلانيّ(٨٥٢هـ)، باب ذكر معاوية بن أبي سفيان ﷺ، ج ٧، ص ٤٧٤-٤٧٦.

(٣) الشفا في حقوق المصطفى، القاضي عياض، ج٢، ص ٥٤ - ٥٥ .

وانظر: مجلة الأزهر، مجمع البحوث الإسلامية، ج ٦، س ٧٢، "فضل أصحاب رسول ﷺ "عبد المعز عبد الحميد الجزار، ١٤٢٠ ١٩٩٩م. ص ٨٠١- ٨٠٩. وانظر: الإصابة في فضائل وحقوق الصَّحابة، عبد الله بن صالح القصير، وزارة الأوقاف والدعوة والإرشاد، السعودية، ط١، ١٤٢٧هـ ٢٠٠٦م. ص ٢٠- ٣٢.

ونحن إذ نحبُّ أصحابَ رسول الله ﷺ حبّاً جمّاً، ونكتبُ عنهم ونجلّهم، ونحرص على نقاء سيرتهم، وصفاء صُورتهم، فلا يعني أنّنا نقدّسهم تقديسَ عابد الصَّنم، أو نرفعهم إلى منازل الأنبياء والرّسل وأولي العزم، أو نقول بعِصْمتِهم، أو نسألهم من دون الله، أو نُقسم بهم، بل نضعُهم من التّجلّة والتقدير، والفضل والمكانة حيث وضعهم الله ﷻ في كتابه الحكيم، وحيث وضعهم النبيّ ﷺ في سنّته المشرّفة، وأكرمْ بها من تجلّة، وأعظمْ بها من مكانة.

ولله درّ "شوقي" إذ يفاخرُ بالصّحابة الكرام الذين لبّوا نداء حبيبهم المصطفى ﷺ:

فدعا فلبّى في القبائل عُصبةٌ ... مُسْتضعفون قلائل أنضاءُ[1]
ردّوا ببأس العزم عنه من الأذى ... ما لا تَرُدُّ الصّخرةُ الصّماءُ
نسفوا بناءَ الشّركِ فهو خرائب ... واستأصلوا الأصنامَ فهي هَباءُ
يمشون تُغضي الأرضُ منهم هيبةً ... وبهم حِيالَ نعيمِها إغضاءُ
حتى إذا فُتحتْ لهم أطرافُها ... لم يُطْغِهم تَرفٌ ولا نَعْماءُ[2]!

---

(١) أنضاء: مفردها نِضْو: أي مهزول. انظر: المصباح المنير، الفيّوميّ (٧٧٠هـ)، مادة (نضو)، ص ٤٩٩.

(٢) الشوقيات، ج١، ص ٢٨.

الفصل الثاني

جهود الصَّحابة في حفظ السُّنة

المبحث الأوّل

تلقّي السّنة وتحمّلها

لقد أوتي الصَّحابة الكرام من جَسامة الرّسالة ما إنَّ حَمْلَها لَتنوءُ به الجبالُ الصِّلاد، ويعجزُ عنه عباقرةُ البشر، ولو اجتمعوا له، ولذلك عُدَّ الصَّحابة الكرام أعظمَ جيل حُمِّل أمانتين عظيمتين، فاصطبروا لها، وأدّوهما خير أداء: أمانة كتاب الله، وأمانة السُّنة المشرّفة.

أمّا الأمانة الأولى فكانوا شهودَ تنـزّل الوحي، فوعوا كتاب الله، وحفظوه، ونقلوه متواتراً، وأعانهم على الأداء حفظُ الله ﷻ لكتابه الحكيم: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ (١).

وأعانهم على أداء ذلك جهدُ النبيّ ﷺ في قيامه بتعليمهم القرآن على أوسع نطاق، إذ كان يقرئ مَن استطاع من أصحابه بنفسه، وذلك دأْبه ودَيْدَنُه في نهاره وليله، وكان القرّاء والمقرئون أحبَّ الناس إلى إليه(٢). وقد قام الصَّحابة الكرام "بتعليم القرآن الكريم بأوفى ما بلغت إليه الطاقةُ البشرية في حياتهم ومجتمعهم على بصيرة من أمرهم، وهُدىً من ربهم، فهداهم الله وهَدَى بهم، وكانوا هم الأصل الَّذِي يُرجع إليه في مختلف

---

(١) الحجر، آية ٩.

(٢) انظر: المنهج النبويّ في التعليم القرآنيّ، د. عبد السلام مقبل المجيدي، جمعية المحافظة على القرآن الكريم، عمّان، ط١، ١٤٢٦هـ ٢٠٠٥م، ص ٥٦-٥٧.

البلدان بعد وفاة الرسول ﷺ، والنبع الّذي تتفجَّر منه عيون الإيمان واليقين"[1].

وأمَّا الأمانة الثانية فكانوا شهود انبجاسها من سراجها المنير محمّد ﷺ، فحملوها نوراً بين جوانحهم، وبذلوا في حفظها جهوداً ضخمة، واجتازوا بها فجاج الأرض وآفاقها، حتى وصلتنا نحن أبناء القرن الخامس عشر الهجريّ نقية صافية كما نقلوها عن النبيّ ﷺ.

مكانة السُنة وبواعث حفظها:

والسُّنة تعني في اصطلاح المحدّثين: "ما أُثر عن النبيّ ﷺ من قول، أو فعل، أو تقرير، أو صفة خَلْقيّة أو خُلُقيّة، أو سيرة، سواء كان قبل البعثة، أو بعدها"، والسّنة والحديث عند أكثر المحدّثين مترادفان[2]. والسّنة هي مفتاح الفهم الصَّحيح، والتطبيق العمليّ الكامل، وتفصيل الأحكام المجملة، والقواعد الكلية في كتاب الله ﷻ: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[3].

وللسنة مكانة رفيعة في الإسلام؛ إذ هي المصدر الأوّل المبيّن لأحكام القرآن، والمصدر الثاني في التشريع، والبلاغة والبيان، وتستمدُّ حجّيتها من القرآن الكريم،

---

(١) صحابة رسول الله وجهودهم في تعليم القرآن الكريم، د. أنس أحمد كرزون، دار نور المكتبات، جدة، دار ابن حزم، بيروت، ط١، ١٤٢٤هـ ٢٠٠٣م، ص ٧١. وانظر: جهودهم في تعليم القرآن، ص ٧٩ - ١١١.

(٢) السنة ومكانتها في التشريع الإسلاميّ، د. مصطفى السباعي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٤، ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م، ص ٤٧وانظر: علوم الحديث ومصطلحه، د. صبحي الصّالح، دار العلم للملايين، بيروت، ط١٦، ١٩٨٦م، ص ٣-١٠.

(٣) النحل، آية ٤٤.

والحديث الشَّريف، وإجماع الأمة، ولو كره المشكّكون الحاقدون الذين أثاروا شبهات حولها ببعض الحجج الواهية، فانبرى لهم مَنْ فنّدَّ آراءهم، وأبطل حججهم، وكشف عن جهلهم وتزويرهم(١).

والسنّة المطهّرة ميراثٌ عظيم من أرقى ما عرفته الإنسانية، ومن ذلك ميراث الأخلاق الذي إذا درسناه "وذاكرنا أحاديثه التي تربو على الألوف في شتّى الفضائل خُيّل إلينا: لو أنَّ جيشاً من علماء النفس والتربية اجتمع ليسوق للعالم مثل هذا الأدب لعجز! والأخلاق شعبة واحدة من رسالة محمّد ﷺ الضخمة"(٢)!

وثمَّة بواعث أدت إلى حرص الصَّحابة الكرام على تلقّي السُّنة وحفظها، وعضّ النواجذ عليها، ومن أهمّ تلك البواعث:

١- الاعتقاد الجازم أنَّ السُّنة دين يُطاع، وحقّ يُتّبع: فالسُّنة وَحْي مرويّ من النبيّ ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى، وقد نصَّ القرآن على ذلك: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ۝٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ﴾(٣).

٢- الأمر الإلهيّ بالعناية بالسّنة: فقد أمرَ القرآن بالعمل بها، والاحتكام إليها؛ لأنَّ في ذلك طاعةً لله ورسوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ

(١) انظر: السنة ومكانتها في التشريع الإسلاميّ، د. مصطفى السباعي، ص ١٥٣ وما بعدها.

(٢) فقه السيرة، محمد الغزالي،خرّج أحاديث الكتاب: محمد ناصر الألبانيّ، دار الكتب الحديثة، القاهرة، ط ٧، ١٩٧٦م، ص ٣٨.

(٣) النجم، الآيتان ٣ ، ٤.

﴿خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾[1].

والتخلّي عن السُّنة الصّحيحة الشَّريفة تخلٍّ عن ركنٍ أساسيّ من الدين، وتخلٍّ عن الفهم السَّليم لمراد الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾[2]. وفي الآية وعيدٌ بالعقاب لمَنْ خالف نهج النبيّ ﷺ، وأعرضَ عن سنّته.

فلذلك اعتقد الصَّحابة الكرام اعتقاداً لا ريب فيه أنَّ السُّنة دين يجب أن يحفظ ويُبلّغ، وحقّ يجب أن يُتّبع.

٣- الإعجاب بشخصيّة النبيّ ﷺ، والاقتداء به: فقد اجتمعت في شخصيّة النبيّ ﷺ صفات جليلة بلغت ذروة السّمو، فكان المثل الكامل، والإنسان الفاضل، أعدّه الله تعالى إعداداً خاصّاً يليق بجلال الرّسالة التي يحملها، وأثنى على خلُقه العظيم.

وكانت عظمة رسول الله ﷺ تقوم على جوامع باهرة من الخصال الحميدة، والفِعال المجيدة:

أ- الخصال النفسية: كان رسول الله أعظمَ مثال، وأنبلَ صورة عرفها التاريخ البشريّ؛ إذ جمع جمعاً فريداً بين أعلى درجات التنقيّة الروحيّة بالاجتهاد في عبادة الله، وأعلى درجات النشاط والعمل جهاداً وبناءً مع تواضعه وحيائه وإيثاره وإذعانه للحقّ على نفسه، والتزامه الشّديد بتطبيق الأخلاق في السّياسة التزاماً لا استثناء فيه.

---

(١) النساء، آية ٥٩.

(٢) الحشر، آية ٧.

ب- **الإبداع والسّمو في مبادئه وأعماله**: فقد أتى بالنظام الّذي يجمع بين الواقع والمثل الأعلى، وتجلّى ذلك في مظاهر: في أمره بالرحمة وتعميمها على الحيوان، وأمره بالسّلم والمودّة بين الأفراد والشعوب، وأمره بالتواضع للإخوان والرّفق بهم، ونَدْبه إلى العفو عن المسيء في الحقوق الذّاتيّة الخاصّة[1].

فلذلك أدهشت شخصيّتُه ﷺ الصَّحابةَ الكرام، فأحبّوه حبّاً جمّاً، وتعلّقوا به، ووثقوا به ثقةً مطلقة، فحملهم ذلك على الاقتداء به، وحِفْظ سنّته.

يقول عمرو بن العاص رضي الله عنه، وهو واحدٌ منهم يمثّلهم جميعاً: "وما كان أحدٌ أحبَّ إليَّ من رسول الله ﷺ، ولا أجلَّ في عيني منه، وما كنتُ أطيقُ أنْ أملأ عينيَّ منه إجلالاً له، ولو سُئلتُ أنْ أصفَه ما أطقتُ؛ لأني لم أكن أملأ عينيَّ منه"[2].

٤- المنهج النبويّ في تأهيل الصَّحابة الكرام: اتخذ النبيّ ﷺ منهجاً تربويّاً قويماً في تأهيل أصحابه النجباء؛ ليكونوا قادرين على حمل الرِّسالة، وحفظ السُّنة، فكما أنَّ الله عز وجل صنع نبيّه ﷺ على عينه، فقد صنع النبيّ ﷺ أصحابه على عينه.

ومن مقوّمات هذا المنهج النبويّ:

أ- **بناء نفوسهم**: إذ بدأ تربيتهم من داخل النفس، فخلّصها من أمراضها الفكرية كالخرافة والأساطير، ومن أمراضها النفسية كالحقد والحسد، وغرس فيها القناعة والإيمان بالمبادئ المهذّبة للنفس، والمؤدية إلى استقامة السلوك[3].

---

(١) انظر: عظمة محمّد خاتم رسل الله، مصطفى أحمد الزرقاء، دار القلم، دمشق، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م. ص٩ وما بعدها.

(٢) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب كون الإسلام يهدم ما قبله، حديث رقم ٣١٧، ج ٢، ص ٣١٨-٣١٩.

(٣) انظر: دراسة تحليلية لشخصية الرسول، د. محمد رواس قلعه جي، ص ٢٦٩.

ب- **إرشادهم إلى العبادة الحقّة:** رغّبَ النبيّ ﷺ أصحابه بالعبادة عبادةِ الصَّلاة والزّكاة والصّيام والحجّ وغيرها، وأرشدهم إلى أدائها الصَّحيح: عن ابن عبّاس ﷺ أنَّه قال: "كان رسولُ الله ﷺ يعلّمنا التشهّد كما يعلّمنا السّورة من القرآن"[1].

ثمَّ بعد الإرشاد والتعليم "أقبلوا عليها إقبالاً شديداً، وغرفوا من معينها بالكيل الأوفى، ولم يتركوا لوناً من ألوانها إلا تسابقوا إليه، وحسبُك شهادة ربّهم ﷻ فيهم، ووصفه لهم: ﴿كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾[2].

وكانوا يرون أنَّ العبادة هي المظهر العمليّ لحبّ الله، والرغبة في تحصيل رضاه، والمربي للعقل والقلب على النهج الصحيح"[3].

ج- **تدريبهم على التحمّل والتضحية:** اجتهد النبيّ ﷺ في تدريب أصحابه، وتوطين أنفسهم على التحمّل وبذل الوسع في مرضاة الله؛ لأنَّ طريق الدعوة، والمحافظة على السُنة محفوفٌ بألوان الصّعاب وصنوف البلاء، يقتضي تحمّل الأذى والجوع، والتضحية بأغلى ما في الدنيا: النفس والأهل والمال.

عن أبي عبد الله خبَّاب بن الأرتّ ﷺ قال: شكونا إلى رسول الله ﷺ، وهو متوسّدٌ بُرْدةً في ظلّ الكعبة فقلنا: ألا تستنصرُ لنا، ألا تدعو لنا؟ فقال: "قد كان مَنْ قبلَكم

---

(١) رواه مسلم في كتاب الصلاة، باب التشهد في الصلاة، حديث رقم ٩٠٠، ج٤، ص ٣٩٩-٤٠٠.

(٢) الذاريات، الآيتان ١٧، ١٨.

(٣) قبسات من حياة الصحابة، علي الشربجي، دار ابن كثير، بيروت، ط٢، ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م.، ص ١٨.

يُؤخذ الرَّجل، فُيحفرُ له في الأرض، فيُجعلُ فيها، ثمَّ يُؤتى بالمِنْشار، فيُوضعُ على رأسه، فيُجعلُ نِصْفين، ويُمْشَطُ بأمشاط الحديد- ما دونَ لحمِه وعظمِه – ما يصدُّه ذلك عن دينه. واللهِ لَيُتِمَّنَّ اللهُ هذا الأمرَ حتى يسيرَ الرَّاكبُ من صنعاءَ إلى حضرموتَ لا يخافُ إلا اللهَ والذئبَ على غنمه، ولكنَّكم تستعجلون"[1].

وقد لقيَ الصّحابة الكرام من عدوان المشركين عليهم بالفتنة والأذى ما لا يطيقه إلا مَنْ تربّى في مدرسة محمّد ﷺ، فقد وثبتْ كلُّ قبيلة على مَنْ فيها من المسلمين، فجعلوا يحبِسُونهم ويعذّبونهم بالضرب والجوع والعطش في رمضاء مكّة، ونال بلال، وآل ياسر، وغيرُهم نصيباً كبيراً من العذاب الأليم، وكان أبو جهل اللعين يُغري بأذية مَنْ يسلم، فإنْ كان الذي أسلم له شرفٌ ومنعة أنّبه وأخزاه، وإنْ كان ضعيفاً ضربه وأغرى به[2]. ولذلك خرج الصَّحابة الكرام من بلاء قريش أقوى شكيمة، وأمضى عزيمة، فهان عليهم كلّ شيء في سبيل حفظ السنّة المباركة.

وقد استقرأ رسولُ الله ﷺ الأرضَ كلّها، لأنّه يملك الخبرة الكاملة بحكّامها فيعرف مَنْ يظلم منهم ومَنْ لا يظلم، واختار لأصحابه أنْ يهاجروا إلى الحبشة، حفاظاً عليهم؛ ليكونوا مركزاً لانتشار الدعوة، ومدرسةً للتحمّل والتضحية[3].

(١) رواه البخاريّ، باب علامات النبوة في الإسلام، ج ٤، ص ٢٤٤.

(٢) انظر: السيرة النبويّة، ابن هشام، أبو محمد عبد الملك بن هشام، ٢١٨هـ، تحقيق: مصطفى السقا ورفيقيه، دار الكنوز الأدبية، د.ط، د.ت. م١، ص ٣١٧-٣٢١.

(٣) انظر: سيرة الرسول ﷺ دروس وعبر، محمد متولي الشَّعراوي، أشرف عليه واعتنى به: أحمد الزعبي، دار القلم، بيروت، د.ت. د.ط، ص ١٦٢-١٦٨.

جهود الصَّحابة ﭫ في تلقّي السُّنة:

تيقَّنَ الصَّحابة الكرام أنَّ سنة نبيّهم محمّد ﷺ يجب أن تُتلقى بالحبّ، وأنْ تُسْتجمع لها قوى النفس حتى تبلغ شغاف القلوب فبلغت، ويجب أنْ تنشرح لها الصُّدور فانشرحت، ويجب أن تتمثّلها الجوارح مسلكاً قوياً فتمثّلت، وما كان ذلك إلا استجابةً للأمر النبويّ بالتزام السُّنة:

عن العِرْباض بن سارية ﭬ قال: وعظنا رسولُ اللهﷺ يوماً بعد صلاة الغداة موعظةً بليغةً، ذرفتْ منها العيون، وَوَجِلت منها القلوب، فقال رجلٌ: إنَّ هذه موعظةُ مُودِّع، فماذا تعهدُ إلينا يا رسولَ الله؟

قال: أوصيكم بتقوى الله والسّمع والطاعة، وإنْ عبدٌ حبشيٌّ، فإنّ مَنْ يعشْ منكم يرى اختلافاً كثيراً، وإيّاكم ومحدثاتِ الأمور؛ فإنّها ضلالة، فمَنْ أدرك ذلك منكم فعليكم بسنّتي وسُنّة الخلفاء الرَّاشدين المهديِّين عَضُّوا عليها بالنواجذ"[١].

وفي هذا الحديث الشَّريف تتضح أمارات التّلقّي الصَّحيح للسنة:

١- وجوب التمسّك بسنة النبيّ ﷺ كلّها؛ لأنها وحدةٌ واحدة لا تتجزّأ، فمن غير الجائز قبول بعضها، وإنكار بعضها.

٢- وجوب التمسّك بسنة الخلفاء الرّاشدين؛ لأنّهم أوثق الناس صلةً بالنبيّ ﷺ، وأفقههم بمراد كلامه، وأصوبهم رأياً واجتهاداً.

٣- العناية الفائقة بالسُّنة، وشدّة الحرص عليها، وفي قوله ﷺ" عَضُّوا عليها

(١) رواه الترمذي في كتاب العلم، باب ما جاء في الأخذ في السنة، واجتناب البدع، حديث رقم ٢٦٧٦، ج ٥، ص ٤٣. وقال: حديث حسن صحيح.

بالنّواجذ" كناية لطيفة، يُقال: "عضَّ على ناجذه: إذا بلغ أَشُدَّه واستحكم، وعضَّ في العلم وغيره بناجذه إذا أتقنه، ومنه نجَّذتْه التجارب: أحكمته"(١).

٤- استنهاض الهمم لنفي البدع ومحدثات الأمور، ودفع الشَّوائب والشُّبهات عن السُّنة.

٥- التحذير من التفريط في السُّنة؛ إذ إنَّ عاقبة ذلك ستكون انتشار الضَّلال والانحراف، وضياع الهُويّة السَّوية، واتباع سُنة كلّ ناعق في الشَّرق والغرب.

وفي الحديث إشارة إلى فضل الصَّحابة وصلاح قلوبهم؛ إذ "إنَّ الخوف الذي اعترى قلوبهم، والدموع التي سالت من عيونهم عند سماع موعظة النبيّ ﷺ دليلٌ على فضل وصلاح، وعلوّ وازدياد في مراقي النجاح، ومراتب الإيمان، حتى أصبحوا بحقّ نجوم هداية ورشاد"(٢).

ولأجل هذا الأمر النبويّ تلقّى الصَّحابة الكرام السُّنة بقلوبهم وصدورهم وجوارحهم وأقلامهم، وحفظوها أوثقَ حفظ، وضبطوها أتمّ ضبط، وقد تجلّت جهودُهم فيما يلي:

أولاً- ملازمة النبيّ ﷺ، وعدم مفارقته:

دأبَ الصَّحابة الكرام على ملازمة النبيّ ﷺ، وحضور مجلسه، ولم يتخلّف عنه أحدٌ منهم إلا لضرورة قاهرة، أو عملٍ لا سبيلَ إلى تأخيره، أو مُهمّة كلّفه إيّاها رسولُ الله ﷺ.

---

(١) أساس البلاغة، الزمخشريّ، أبو القاسم محمود بن عمر،(٥٣٨هـ)، دار الفكر، بيروت، د.ت. مادة (نجذ)، ص ٦١٩.

(٢) انظر: الوافي في شرح الأربعين النوويّة، د. مصطفى البغا، ومحيي الدين مستو، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، ط ١٢، ١٤٢٢هـ ٢٠٠١م، ص ٢١٣.

وقد اقتضت منهم ملازمة النبيّ ﷺ ما يلي:

١ - المواظبة على حضور مجلسه ﷺ:

وقد كان النبيّ ﷺ يعرف ذلك منهم، ويقدّر لهم تجشّم القدوم إليه، والإقبال عليه، والتحلّق حوله: عن أبي هريرة ﷺ قال: قلتُ: يا رسولَ الله، مَنْ أسعدُ الناس بشفاعتك يومَ القيامة؟ قال: لقد ظننتُ يا أبا هريرة أنْ لا يسألني عن هذا الحديث أحدٌ أوّلَ منك، لِمَا رأيتُ من حرصِك على الحديث. أسعدُ الناس بشفاعتي يومَ القيامة مَنْ قال: لا إله إلا اللهُ خالصاً من قلبه أو نفسه"[1].

٢- تناوب الحضور إلى مجلسه ﷺ:

فإذا لم يستطيعوا أن يحضروا كلَّ يوم تناوبوا النـزول على رسول الله ﷺ، وأخبر بعضُهم بعضاً بما كان في مجلسه ﷺ: عن عمر ﷺ قال: كنتُ أنا وجارٌ لي من الأنصار في بني أُميّةَ بنِ زيدٍ، وهيَ من عَوالي المدينة، وكنّا نتناوب النـزولَ على رسول الله ﷺ، ينـزلُ يوماً، وأنزلُ يوماً، فإذا نزلتُ جئتُه بخبرِ ذلك اليوم من الوَحْيِ وغيرِه، وإذا نزلَ فعلَ ذلك"[2].

٣- مجالسته ﷺ في موعد مُحدّد:

وقد كانت هذه المواعيد المحدّدة خاصة بالنساء، إذ كانت الصَّحابيات يحرصن على التلقي، وكُنَّ يحضرن العبادات الجماعية في المسجد، فيسمعن من النبيّ ﷺ مشافهة، وكُنَّ يأتين إلى البيت النبويّ للسؤال، ويغتنمن فرصة لقاء النبيّ ﷺ في الطريق يسألنه ويستفتينه[3].

(١) رواه البخاري، كتاب العلم، باب الحرص على الحديث، ج١، ٣٥- ٣٦.

(٢) رواه البخاري، كتاب العلم، باب التناوب في العلم، ج١، ص ٣٣.

(٣) انظر: دور المرأة في خدمة الحديث في القرون الثلاثة الأولى، آمال قرداش بنت الحسين، كتاب الأمة، وزارة الأوقاف، قطر، ١٤٢٠هـ، ص ١٦٢-١٦٤.

عن أبي سعيد الخدريّ ﷺ قال: قالت النساء للنبيّ ﷺ: "غلبنا عليك الرِّجال، فاجعلْ لنا يوماً من نفسك، فوعدَهنَّ يوماً لَقِيَهُنَّ فيه، فوعظَهنَّ، وأمرَهُنَّ، فكان فيما قال لهنَّ: ما منكنَّ امرأةٌ تقدّمُ ثلاثةً من ولدها إلا كان لها حجابٌ من النار، فقالت امرأةٌ منهنَّ: واثنينِ، قال: واثنينِ"(1).

٤ – مرافقته ﷺ في مشيه، وركوبه، وبيته:

كان الصَّحابة الكرام يرافقون النبيّ ﷺ في مشيه، ويحفظون ما يصدرُ عنه، ويرافقونه في ركوبه، ويحظون بخطابه وندائه، ويرافقونه في بيته، ويصلّون معه:

– عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: بينا أنا أمشي مع رسول الله ﷺ في خِرَبِ المدينة، وهو يتوكّأ على عَسيبٍ معه، فمرَّ بنفرٍ من اليهود، فقال بعضُهم لبعض: سَلُوهُ عن الرُّوح، فقال بعضهم: لا تسألوهُ لا يجيء فيه بشيءٍ تكرهونه، فقال بعضُهم لنسألنَّه، فقام رجلٌ منهم فقال: يا أبا القاسم، ما الرّوح؟ فسكتَ، فقلتُ: إنّه يُوحى إليه فقمتُ، فلمّا انجلى عنه قال: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾(2) (3).

– وعن أنسٍ ﷺ قال: "كان مُعاذٌ رَديفَ رسولِ الله ﷺ على الرَّحْل، فقال: يا معاذ، قال لبَّيك يا رسول الله وسَعْديك، قال يا معاذ، قال: لبّيك يا رسولَ الله وسَعْديك ثلاثاً. قال: ما مِنْ أحدٍ يشهدُ أنْ لا إله إلاّ الله وأنَّ محمّداً رسولُ الله صدقاً من قلبه

(1) رواه البخاري، كتاب العلم، باب هل يجعل للنساء يوم على حِدَة ج١، ص ٣٧. ورواه مسلم، كتاب البر والصلة، باب فضل من يموت له ولد فيحتسبه، حديث رقم ٦٦٤٢ ، ج ١٦، ص ٣٩٨.

(2) الإسراء، آية ٨٥.

(3) رواه البخاري، كتاب العلم، باب قول الله تعالى: "وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً"، ج١، ص ٤٣.

إلاّ حرّمه الله على النار. قال: يا رسولَ الله، أفلا أُخبرُ به الناس فيستبشرون؟ قال: إذاً يتّكِلوا، وأخبر بها معاذٌ عندَ موته تأثّماً"(١).

- وعن ابن عبّاس رضي الله عنهما قال: "بتُّ في بيت خالتي ميمونةَ بنتِ الحارث زوجِ النبيّ ﷺ، وكان النبي ﷺ عندَها في ليلتها، فصلّى النّبي ﷺ العشاء، ثمّ جاء إلى منـزله فصلّى أربع ركعاتٍ، ثمَّ نام، ثمَّ قام، ثمَّ قال: نام الغُلَيِّم، أو كلمة تُشبهها، ثمَّ قام، فقمتُ عن يَساره، فجعلني عن يمينه، فصلّى خمسَ ركعات، ثمَّ صلّى ركعتين، ثمَّ نام حتّى سمعتُ غَطيطَه أو خَطيطَه، ثمَّ خرجَ إلى الصَّلاة"(٢).

٥- الإقامة عنده ﷺ مدّة طويلة:

كان بعض الصَّحابة الكرام يأتون من أماكن بعيدة عن المدينة المنورّة، فيقيمون عند النبيّ ﷺ، ويحضرون مجلسه، ويتعلّمون شؤون دينهم، ثمّ يرجعون دُعاةً قد نهلوا من علم رسول الله ﷺ:

عن مالك بن الحُويرث قال: أتيتُ النبيّ ﷺ في نَفَرٍ من قوميّ، فأقمنا عنده عشرين ليلة، وكان رحيماً رفيقاً، فلمّا رأى شوقَنا إلى أهالينا قال: ارجعوا فكونوا فيهم، وعلِّموهم وصلّوا، فإذا حضرت الصَّلاة فليؤذّن لكم أحدُكم، وليَؤمَّكم أكبرُكُم"(٣).

٦- الإقامة الدَّائمة عند النبيّ ﷺ:

وهي إقامة مجموعة من الصَّحابة الكرام الذين عُرفوا بأهل الصُّفّة، وكان عددهم

---

(١) رواه البخاري، كتاب العلم، باب من خصّ بالعلم قوماً دون قوم، ج١، ص ٤٤.

(٢) رواه البخاري، كتاب العلم، باب السّمر في العلم، ج١، ص ٤٠.

(٣) رواه البخاري، كتاب الأذان، باب من قال ليؤذّن في السفر مُؤذّن واحد، ج١، ص ١٦٢. ورواه مسـلم في كتاب المساجد، باب من أحق بالإمامة، حديث رقم ١٥٣٦، ج٥، ص ١٠٨.

نحو ثلاثين رجلاً، والذين لا منازل لهم ولا عشائر، فكانوا ينامون في المسجد، فإذا كان الليل دعاهم النبيّ ﷺ ففرّقهم على أصحابه، وتعشّت طائفة منهم معه[1].

ثانياً– السَّماع المرهف والإصغاء التامّ لحديث النبيّ ﷺ:

فقد حرص الصَّحابة الكرام على السَّماع مِنْ فِي رسول الله ﷺ، فكانوا يستحضرون جوارحهم، ويحفّزون نفوسهم على التلقّي، ويفتحون قلوبهم؛ لتعي وتعقل عن رسول الله ﷺ، وكانوا حال استماعهم كما وصف أبو سعيد الخدريّ:"وسكتَ الناسُ، كأنَّ على رؤوسهم الطير"[2].

وعن أبي شُرَيح ﷺ قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يومَ الفتح يقولُ قولاً سمعتْه أُذناي، ووعاه قلبي، وأبصرتْه عيناي حينَ تكلّمَ به حمدَ اللهَ تعالى، وأثنى عليه، ثمّ قال: "إنّ مكةَ حرّمها الله تعالى، ولم تحرّمها النّاس، فلا يحلُّ لامرئٍ يُؤمن بالله واليوم الآخر أنْ يسفكَ بها دَماً، ولا يَعْضِدَ بها شجرة، فإنْ أحدٌ ترخّص لقتال رسول الله ﷺ فيها، فقولوا: إنّ الله تعالى قد أذنَ لرسوله، ولم يأذن لكم، وإنّما أَذِنَ لي ساعةً من نهار، ثمّ عادتْ حرمُتها اليومَ كحرمتها بالأمسِ، وليُبلِّغِ الشَّاهدُ الغائبَ"[3].

وكان الصّحابة الكرام يستجيبون لأمر النبيّ ﷺ إذا دعاهم للإنصات والاستماع:

عن جرير بن عبد الله ﷺ أنَّ النبيّ ﷺ قال له في حَجَّة الوَداع: "اسْتَنْصِت الناس،

---

(١) انظر: الطبقات الكبرى، ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع الهاشمي البصري(٢٣٠هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٠هـ ١٩٩٠م، ج ١، ص ١٩٦.

(٢) رواه البخاري، كتاب الجهاد، باب النفقة في سبيل الله.

(٣) رواه البخاري، كتاب العلم، باب ليبلّغ العلم الشّاهدُ الغائبَ، ج١، ص ٣٧.

فقال: لا تَرْجعوا بعدي كفَّاراً يَضربُ بعضُكم رقابَ بعض"[1].

وقد روى الصَّحابة الكرام عدداً كبيراً من الأحاديث عنطريق السّماع من النبيّ ﷺ، ونصّوا على ذلك بقولهم:"سمعتُ رسولَ الله ﷺ"، و"سمعتُ النبيّ ﷺ"[2].

ومن أشهر تلك الأحاديث حديث:

"إنّما الأعمالُ بالنيات"، الذي هو أصلٌ في الدِّين، وعليه تدور غالب الأحكام، ووصف بأنّه نصف الإسلام، وثلث العلم، وابتدأت به الكتب والمصنّفات، وقيل فيه: ليس في الأحاديث أجمعَ وأغنى وأكثرَ فائدةً منه[3].

عن عمرَ بن الخطّاب رضي الله عنه قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: "إنَّما الأعمالُ بالنيّات، وإنَّما لكلِّ امرئٍ ما نوى، فمنْ كانتْ هجرتُه إلى الله ورسولِه فهجرتُه إلى الله ورسولِه، ومَنْ كانت هجرتُه لدنيا يُصيبُها أو امرأةٍ يَنكِحُها فهجرتُه إلى ما هاجرَ إليه"[4].

ثالثاً- الحرص على التعلّم والاجتهاد فيه:

وقد كان الصَّحابة الكرام طلابَ علم نجباء بذلوا أقصى جُهدهم في سبيل التعلّم، ولم يكونوا متفرّغين للتعلّم كتلاميذ اليوم، بل كانوا يتعلّمون، وسيوفُهم بأيدهم، ويتحمّلون مشقة الجهاد، ووعثاء التنقّل:

---

(١) رواه البخاري، كتاب العلم، باب الإنصات للعلماء، ج١، ص ٤١.

(٢) انظر: صحيح مسلم بشرح النووي، تحقيق: الشيخ خليل شيحا، جزء الفهارس العامة، أطراف الحديث والأثر: سمعتُ رسول ﷺ: ص ٢٢٣-٢٢٧، وسمعتُ النبيّ ﷺ: ص ٢٢٧-٢٢٨.

(٣) انظر: الوافي في شرح الأربعين النوويّة، د. مصطفى البغا، ومحيي الدين مستو، ص ١١- ١٢.

(٤) رواه البخاريّ، كتاب الإيمان، باب بدء الوحي، ج١، ص ٢. ورواه مسلم في كتاب الجهاد، باب قول ﷺ: إنّما الأعمال بالنية، حديث رقم ٤٩٠٤، ج١ ، ص ٥٥.

عن أبي موسى ﷺ قال: "خرجنا مع النبيّ ﷺ في غَزاةٍ، ونحن ستةُ نَفَر، بيننا بعيرٌ نَعْتَقِبُهُ، فَنَقِبَتْ أقدامُنا، وَنقِبَتْ قدماي، وسقطتْ أظفاري، فكنَّا نَلُفُّ على أرجلنا الخِرَقَ، فسُمِّيَتْ غزوةَ ذاتِ الرِّقاعِ؛ لِمَا كُنَّا نُعصِّبُ من الخِرَق على أرجلِنا"[١]. ومن مظاهر اجتهادهم في التعلّم:

١ - سؤال النبيّ ﷺ ومحاورته:

عن أبي هريرة ﷺ قال: "بينما رسولُ الله ﷺ في مجلسٍ يحدّثُ القوم جاءه أعرابيّ فقال: متى السَّاعة؟ فمضى رسولُ الله ﷺ يحدّثُ، فقال بعضُ القوم: سَمِعَ ما قال فَكَرِهَ ما قال. وقال بعضُهم: بل لم يسمعْ، حتى إذا قضى حديثَهُ قال: أين أُرَاه السائلُ عن الساعة؟ قال: ها أنا يا رسولَ الله. قال: فإذا ضُيّعت الأمانةُ فانتظر السَّاعة. فقال كيف إضاعتُها؟ قال: إذا وُسِّدَ الأمرُ إلى غير أهله فانتظر السَّاعة"[٢].

٢ - طلب دعاء النبيّ ﷺ للإعانة على الحفظ:

عن أبي هريرة ﷺ قال: "قلتُ يا رسولَ الله: إنّي أسمعُ منك حديثاً كثيراً أنساه، قال ابْسُطْ رداءَكَ، فَبَسطْتُهُ فغرف بيديهِ، ثمَّ قال: ضُمَّه فضَممتُهُ، فما نسيتُ شيئاً بعده"[٣].

---

(١) رواه البخاري، باب غزوة ذات الرِّقاع، ج ٤، ص ١٤٥.

(٢) رواه البخاري، كتاب العلم، باب من سُئل علماً وهو مشتغل في حديثه، ج١، ص ٢٣.

انظر: صحيح مسلم بشرح النووي، تحقيق: الشيخ خليل شيحا، جزء الفهارس العامة، أطراف الحديث والأثر: سألتُ رسول ﷺ: ص ٢٢٠، وسُئل رسول ﷺ: ص ٢٢٩، وسُئل النبيّ ﷺ: ص ٢٢٩، وقلتُ يا رسول الله ﷺ: ٢٥٣-٢٥٤.

(٣) رواه البخاري، كتاب العلم، باب حفظ العلم، ج١، ص ٤٠-٤١.

٣- الإقبال على حَلقات التعلّم، ومجالس الذّكر:

عن أبي واقدٍ اللَّيثيّ ﷺ :"أنَّ رسولَ الله ﷺ بينما هو جالسٌ في المسجد، والناسُ معه، إذْ أقبل ثلاثةُ نَفَر فأقبل اثنان إلى النبيّ ﷺ، وذهب واحدٌ، قال: فوقفا على رسول الله ﷺ، فأمَّا أحدُهما فرأى فُرْجةً في الحَلْقة فجلسَ فيها، وأمَّا الآخرُ فجلس خلفَهم، وأمَّا الثالثُ فأدبرَ ذاهباً. فلمّا فرغَ رسولُ الله ﷺ قال: ألا أخبرُكم عن النَّفر الثلاثة؟ أمَّا أحدُهم فأوى إلى الله فآواه الله، وأمَّا الآخرُ فاستحيا فاستحيا اللهُ منه، وأمَّا الآخرُ فأعرض اللهُ عزَّ وجلَّ عنه"(١).

وعن معاويةَ ﷺ: "وإنَّ رسول الله ﷺ خرجَ على حَلْقةٍ من أصحابه، فقال: "ما أجلسَكُم؟ قالوا: جلسنا نذكرُ الله ونحمدُه على ما هدانا للإسلام، ومَنَّ به علينا، قال: آ للهُ ما أجلسَكُم إلاَّ ذاك؟ قالوا:

آ للهُ ما أجلسَنا إلاَّ ذلك. قالوا: والله ما أجلسنا إلا ذاك. قال: أَما إنّي لم أستحلفْكُم تُهمةً لكم، ولكنَّه أتاني جبريلُ فأخبرني أَنَّ الله عزَّ وجلَّ يُباهي بكم الملائكة "(٢).

٤- استفتاؤهم النبيّ ﷺ في اجتهاداتهم:

عن أبي جُحَيفةَ ﷺ قال: "آخي النبّي ﷺ بين سلمانَ وأبي الدَّرداءِ، فزارَ سلمانُ أبا الدَّرداءِ، فرأى أمَّ الدَّرداءِ مُتَبذِّلَةً، فقال لها: ما شأنُكِ؟ قالت: أخوك أبو الدَّرداءِ ليس له حاجةٌ في الدُّنيا. فجاء أبو الدَّرداء فصنعَ له طعاماً، فقال: كُلْ، قال: فإنّي صائم، قال: ما

(١) رواه البخاري، كتاب العلم، باب من قعد حيث ينتهي به المجلس، ج١، ص ٢٦.

(٢) رواه مسلم، كتاب الذّكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر، حديث رقم ٦٧٩٧ ، ج١٧، ص ٢٥.

أنا بآكلٍ حتى تأكلَ فأكلَ. فلمّا كان الليلُ، ذهب أبو الدَّرداء يقوم، قال: نَمْ فنام، ثمَّ ذهبَ يقوم، فقال: نَمْ. فلمّا كان من آخرِ اللَّيل قال سلمان: قُم الآنَ فَصَلَّيَا، فقال له سلمانُ: إنَّ لربِّك عليك حقاً، ولنفسك عليك حقّاً، ولأهلك عليك حقّاً، فأعطِ كُلَّ ذي حَقٍّ حقَّهُ، فأتى النبيَّ ﷺ، فذكرَ ذلك له، فقال النبيُّ ﷺ: صدَقَ سلمانُ"[1].

٥- الأخذ عمّن سمعَ من النبيّ ﷺ:

عن زيدِ بن خالدٍ ﷺ قال: "سألتُ عثمانَ بن عفَّانَ ﷺ، قلتُ: أرأيتَ إذا جامعَ فلمْ يُمْنِ؟ قال

عثمانُ: يتوضّأ كما يتوضّأ للصَّلاة، ويغْسِلُ ذَكَرَهُ. قال عثمانُ: سمعتُه من رسول الله ﷺ، فسألتُ عن ذلك علياً والزُّبَيْرَ وطَلحةَ وأُبَيَّ بنَ كَعْب فأَمروني بذلك"[2].

٦- السّعي والارتحال للتعلّم:

وقد حثّ النبيّ ﷺ أصحابه على التزوّد من العلم والارتحال إليه: عن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "مَنْ خرجَ في طلب العلم كان في سبيل الله حتى يرجع"[3].

وعلى نور هذا الحديث شرع الصّحابة الكرام في طلب العلم:

عن عُقبة بن الحارث ﷺ: "أنَّه تزوَّج ابنةً لأبي إهَابِ بنِ عَزيزٍ، فأتته امرأةٌ فقالت: إنيّ أرضعتُ عُقْبة والتي تزوَّجَ بها، فقال لها عُقْبة: ما أعلمُ أنَّكِ أرضعتيني ولا

(١) رواه البخاريّ كتاب الصَّوم، باب من أقسم على أخيه ليفطر في التطوّع، ج٣، ص ٤٩.

(٢) رواه البخاريّ كتاب الوضوء، باب من لم ير الوضوء إلا من المخرجين، ج١، ص ٥٦.

(٣) رواه الترمذي في كتاب العلم، باب فضل طلب العلم، حديث رقم ٢٦٤٧، ج ٥، ص ٢٩. وقال: حديث حسن غريب.

أخبرتيني، فركبَ إلى رسولِ الله ﷺ بالمدينة فسأله، فقال رسولُ الله ﷺ:كيف وقد قيل. ففارقها عُقْبة ونكحَتْ زوجاً غيرَهُ"[1].

"ورحلَ جابر بن عبد الله مسيرة شهر إلى عبد الله بن أُنَيس من أجل حديث واحد"[2].

وقد جاءت أخبار رائعة عن الصّحابة ﷺ في صَدَد الرّحلة في طلب العلم، تُعدّ فاتحة باهرة لكلّ من جاء بعدهم من الرّحالة من المحدّثين والفقهاء والأدباء والجغرافيين، إذ هم القدوة والأسوة، والأعلام الأجلّة، والبدور الأهلّة، ومن رحلاتهم التي روتها كُتب الحديث، واحتفت بها كتبُ مناقب العلماء: رحلة أبي ذر الغفاريّ ﷺ وخبره في قصّة إسلامه، وتناوب عمر ﷺ وصاحبه الأنصاريّ في النـزول على المدينة، ورحلة جابر بن عبد الله ﷺ مسيرة شهر إلى عبد الله بن أُنَيس ﷺ في الشّام من أجل حديثٍ واحد، ورحلة الصَّحابيات مع الوفود للتعلم والتحمّل عن النبيّ ﷺ [3].

٧- بلوغ المراتب العليا في التعلّم: ومن تلك المراتب:

أ- التخصّص والتعمّق في رواية الحديث:

(١) رواه البخاري، كتاب العلم، باب الرحلة في المسألة النازلة وتعليم أهله، ج١، ص ٣٣.

(٢) رواه البخاري، كتاب العلم، باب الخروج في طلب العلم، ج١، ص ٢٩.

(٣) انظر: صفحات من صبر العلماء على شدائد العلم والتحصيل، عبد الفتاح أبو غُدّة (١٤١٧هـ)، اعتنى بإخراجه سلمان بن عبد الفتاح أبو غدّة، مكتب المطبوعات الإسلاميّة، بيروت، ط٧، ١٤٢٤هـ ٢٠٠٣م. ص ٣٨-٤٤. وانظر: الفصل القيّم عن أخبار العلماء في التعب والنَّصَب والرحلة في طلب العلم وقطع المسافات ص ٣٣- ١٤٤. وانظر: دور المرأة في خدمة الحديث في القرون الثلاثة الأولى، آمال قرداش بنت الحسين، ص ١٢٤-١٢٥.

- عن أبي هريرة ﷺ قال: "حفظتُ من النبيّ ﷺ وِعَاءَيْنِ، فأَمَّا أحدُهما فبثثْتُه، وأمَّا الآخرُ فلو بثْتُه قُطعَ هذا البُلْعُومُ"[1].

ب- إتقان اللغة الأجنبيّة في مدّة وجيزة:

عن زيد بن ثابت ﷺ قال: "أمرني رسولُ الله ﷺ أنْ أتعلّمَ له كتابَ يهود، قال: إنّي والله ما آمنُ يهود على كتاب، قال: فما مرَّ بي نصفُ شهرٍ حتّى تعلّمتُه له، قال: فلمّا تعلّمتُه كان إذا كتبَ إلى يهود كتبتُ إليهم، وإذا كتبوا إليه قرأتُ له كتابهم"[2].

رابعاً- تلقّي المناسك والشّعائر من النبيّ ﷺ مباشرة:

تلقّى الصَّحابة الكرام مناسك دينهم العمليّة، وشعائره التعبّدية مباشرة من رسول الله ﷺ بالرؤية البصرية، والتطبيق العمليّ، ودون واسطة، أو حُجب بينهم وبينه، وقد أمرهم قائلاً لهم: "صلّوا كما رأيتموني أصلّي"، "وخذوا عنّي مناسككم"[3].

---

(١) رواه البخاري، كتاب العلم، باب حفظ العلم، ج١، ص ٤١.

(٢) رواه الترمذي، كتاب العلم، باب ما جاء في تعليم السّريانية، حديث ٢٧١٥، ج ٥، ص ٦٤. حديث حسن صحيح.

(٣) حديث "صلّوا كما رأيتموني أصلّي" في الموطأ عن مالك بن الحويرث ﷺ، كتاب أبواب الصلاة، باب صلاة الخوف.

وحديث "وخذوا عنّي مناسككم" في الموطّأ عن جابر بن عبد الله ﷺ، كتاب الحج، باب المرأة تقدم مكة بحج أو عمرة.

انظر: صحيح مسلم بشرح النووي، تحقيق: الشيخ خليل شيحا، جزء الفهارس العامة، أطراف الحديث والأثر: رأيتُ رسول ﷺ: ص ٢١٥-٢١٦، ورأيت النبيّ ﷺ: ص ٢١٦، ورأينا النبيّ ﷺ: ص ٢١٧، وشهدتُ مع رسول الله ﷺ: ٢٣٠، صلّى بنا رسول الله ﷺ: ص ٢٣٣، وصليت مع رسول الله ﷺ: ص ٢٣٤. وكنّا مع رسول ﷺ: ص ٢٧١-٢٧٢، وكنّا مع النبيّ ﷺ: ص ٢٧٢.

وتمثّلت صورُ هذا التلقّي كما يلي:

١ - **الأخذ عن النبي ﷺ ومتابعته ومن أمثلة ذلك:**

- **إحسان الوضوء:** عن ابن عباس رضي الله عنهما "أنّه توضّأ فغسلَ وجْهَه: أخذ غَرْفةً من ماءٍ فَتَمَضْمَضَ بها، واستنشقَ، ثمّ أخذ غَرْفةً من ماء، فجعل بها هكذا، أضافها إلى يده الأخرى، فغسلَ بها وجهَه، ثمّ أخذ غَرْفةً من ماءٍ، فغسلَ بها يدَه اليمنى، ثمّ أخذ غَرْفةً من ماءٍ فغسلَ بها يدَهُ اليسرى، ثمَّ مسحَ برأسه، ثمّ أخذ غَرْفةً من ماءٍ فرشَّ على رِجْلِهِ اليُمنى حتّى غسلها، ثمّ أخذ غَرْفةً أخرى فغسلَ بها يعني رِجْلَهُ اليُسرى، ثمّ قال: هكذا رأيتُ رسولَ الله ﷺ يتوضّأ"[1].
- **غُسْل الجنابة:** عن عائشةَ زوج النبي ﷺ، ورضي الله عنها "أنَّ النبي ﷺ كان إذا اغتسلَ مِن الجنابة بدأ فغسلَ يديه، ثمَّ يتوضَّأ كما يتوضّأ للصَّلاة، ثمّ يُدخل أصابِعَه في الماء، فيُخلِّلُ بها أصولَ الشَّعر، ثمّ يَصُبُّ على رأسه ثلاثَ غُرَفٍ بيديه، ثمَّ يُفيض الماءَ على جِلْدِه كُلّه"[2].
- **التطهّر من الحَيْض:** عن عائشة رضي الله عنها "أنَّ امرأةً سألت النّبي ﷺ عن غُسْلها من المحيض فأمرَها كيف تغتسلُ قال: خُذي فِرْصَةً من مِسْكٍ فتطهَّري بها. قالت كيف أتطهّر بها؟ قال: سبحانَ الله تطهَّري، فاجتذبتُها إليّ، فقلت: تتبَّعي بها أثرَ الدَّم"[3].

---

(١) رواه البخاريّ كتاب الوضوء، باب غسل الوجه باليدين، ج ١، ص ٤٧.

(٢) رواه البخاريّ، كتاب الغسل، باب الوضوء قبل الغسل، ج١، ص ٧٢.

(٣) رواه البخاريّ كتاب الحَيْض، باب دَلْك المرأة نفسها إذا تطهّرت، ج١، ص ٨٥-٨٦.

الفِرْصَة: قطعة من صُوف أو قُطْن أو خِرْقة. يُقال: فرصتُ الشيءَ إذا قطعتُه. والمُسَّكة: المُطيّبة بالمِسك يُتتبّعُ بها أثر الدّم، فيحصل منه الطيب والتنشيف. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير (٦٠٦هـ)، باب الفاء مع الراء، ج ٣، ص ٤٣١.

- **صفة الصَّلاة:** عن مالك بن الحُوَيْرث ﷺ قال: "إنّي لأُصلِّي بكم، وما أريدُ الصَّلاة، أُصلِّي كيف رأيتُ النّبيَّ ﷺ يصلِّي"(١).
- **صلاة الجنازة:** عن علي ﷺ قال:"رأينا رسولَ الله ﷺ قام فقمنا، وقعدَ فقعدنا، يعني في الجنازة"(٢).
- **إصابة السُّنة في العيد:** عن البَراء ﷺ قال: "سمعتُ رسولَ الله ﷺ يخطُبُ، فقال: إنَّ أوَّلَ ما نبدأُ به في يومنا هذا أن نُصلِّيَ، ثمَّ نرجعُ فننحرَ، فمَنْ فعلَ فقد أصابَ سُنَّتنا"(٣).
- **الاعتكاف:** عن عائشةَ زوجِ النبيّ ﷺ، ورضي الله عنها "أنَّ النبيَّ ﷺ كان يعتكفُ العشرَ الأواخرَ من رمضانَ حتّى توفَّاه الله، ثمّ اعتكفَ أزواجُه من بعدِهِ"(٤).
- **الحجّ:** عن عائشةَ رضي الله عنها "أنَّ أوّل شيءٍ بدأ به حين قدِمَ النبيُّ ﷺ أنّه توضّأ، ثمَّ طافَ، ثمَّ لم تكن عُمرةً، ثمّ حجَّ أبو بكر وعمرُ رضي الله عنهما مِثْلَه"(٥).
- **تقبيل الحَجَر:** عن عمر ﷺ "أنَّه جاء إلى الحَجَرِ الأسودِ فقبَّله، فقال: إنّي أعلمُ

---

(١) رواه البخاريّ كتاب الأذان، باب من صلى بالناس، وهو لا يريد إلا أن يعلّمهم صلاة النبيّ ﷺ وسنّته، ج ١، ص ١٧٢.

(٢) رواه مسلم في كتاب الجنازة، باب من نسخ القيام للجنازة، حديث رقم ٢٢٢٧، ج ٧، ص ٣٣.

(٣) رواه البخاريّ، كتاب العيدين، باب سنّة العيدين لأهل الإسلام، ج٢، ص ٢٠-٢١.

(٤) رواه البخاريّ، كتاب الصّوم، باب الاعتكاف، ج٤، ص ٦٢.

(٥) رواه البخاريّ، كتاب الحجّ، باب مَنْ طاف بالبيت إذا قدم مكّة، ج ٢، ص ١٨٧.

أنّك حجرٌ لا تضرُّ ولا تنفع، ولولا أنّي رأيتُ رسولَ الله ﷺ يُقبّلُك ما قبّلتُك"[1].

٢- توجيه الصَّحابة الكرام إلى التطبيق الكامل لهذه المناسك والشَّعائر؛ لأنها الهُويّة التي تميّز المسلم:

عن أنس بن مالك ﷺ قال: "قال رسولُ الله ﷺ: مَنْ صلّى صلاتَنا، واستقبلَ قِبْلَتنا، وأكلَ ذبيحتَنا، فذلك المسلمُ الذي له ذمّةُ الله وذمّةُ رسوله، فلا تُخْفِرُوا الله في ذمّته"[2].

٣- توجيه الصَّحابة الكرام إلى التطبيق الصَّحيح للسُّنة بالاقتصاد في العبادة، والتوسّط والاعتدال:

عن أنس ﷺ قال: "جاء ثلاثةُ رَهْطٍ إلى بيوت أزواجِ النبي ﷺ يسألون عن عبادةِ النبيّ ﷺ. فلمّا أُخبِروا كأنّهم تقالّوها. وقالوا: أين نحن من النّبي ﷺ، وقد غُفِرَ له ما تقدَّمَ من ذنبه وما تأخَّر! قال أحدهم: أمّا أنا فأصلِّي الليلَ أبداً، وقال الآخر: وأنا أصومُ الدَّهر أبداً ولا أفطر، وقال الآخر: وأنا أعتزلُ النساءَ فلا أتزوّج أبداً. فجاء رسولُ الله ﷺ إليهم فقال: أنتم الذين قلتم كذا وكذا ؟ أمَا والله إنّي لأخشاكم لله، وأتقاكم له. لكنّي أصومُ وأفطر، وأصلِّي وأرْقُد، وأتزوّجُ النساء، فَمَنْ رَغِبَ عن سُنّتي فليس منّي"[3].

---

(١) رواه البخاريّ، كتاب الحجّ، باب ما ذُكر في الحجر الأسود، ج٢، ص ١٨٣.

(٢) رواه البخاريّ، كتاب الصلاة، باب فضل استقبال القبلة، ج ١، ص ١٠٨. تُخْفِروا: من خفرَ: خفرتُ الرّجل: أجرته وحفظته. وأخفرتُ الرّجل إذا نقضت عهده وذمامه، والهمزة فيه للإزالة: أي أزلت خِفارتَه، كأشكيته إذا أزلت شكايته، وهو المراد في الحديث. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، باب الخاء مع الفاء، ج ٢، ص ٥٢-٥٣.

(٣) رواه البخاريّ، كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح، ج٧، ص ٢.

٤- تتبّعُ الصَّحابة الكرام أثر النبي ﷺ في كلّ صغيرة وكبيرة بعد تلقّيهم المناسك والشعائر:

فقد قاموا بها، وطبّقوها في مواقف الحياة كافة، والأحاديث السَّابقة شاهدة على ذلك، ومرَّ فيها:

- "ثمّ قال: هكذا رأيتُ رسولَ الله ﷺ يتوضّأ".
- "فأمرها كيف تغتسلُ، فاجتذبتُها إليّ، فقلت: تتبَّعي بها أثرَ الدَّم".
- "أُصلِّي كيف رأيتُ النّبيَّ ﷺ يصلِّي".
- "رأينا رسولَ الله ﷺ قام فقمنا، وقعدَ فقعدنا".
- "ثمّ اعتكفَ أزواجُه من بعدِهِ".
- "ثمّ حجَّ أبو بكر وعمرُ رضي الله عنهما مِثْلَه".
- "ولولا أنّي رأيتُ رسولَ الله ﷺ يُقبِّلُك ما قبّلتُك".

خامساً- حفظ السُّنة بالكتابة عن النبي ﷺ:

كانت الكتابة معروفة في قريش، وآية ذلك صحيفة المقاطعة التي علّقوها في سقف الكعبة، وأجمعوا فيها على أن يتعاقدوا على بني هاشم وبني عبد المطلب وبني عبد مناف، وأن لا يبايعوهم ولا يناكحوهم، ولا يكلّموهم، ولا يجالسوهم حتى يُسلموا إليهم رسول الله ﷺ(١).

ولمّا جاء الإسلام حوّل الأمّة الأميّة إلى أمّة علميّة تجيد القراءة والكتابة، وجعل من

---

(١) انظر: زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن قيّم الجوزية (٧٥١هـ)، راجعه وقدّم له: طه عبد الرؤوف طه، شركة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ١٣٩٠هـ ١٩٧٠. ج ٢، ص ٥١.

صور فداء أسرى المشركين في بدر تعليم عشرة من المسلمين، واتّخذ النبيّ ﷺ كتّاباً يكتبون آيات القرآن بين يديه.

أمّا الصّحابة الكرام فاتّخذوا أساليب متنوّعة للحفاظ على السُّنة، منها أنّهم أخذوا السُّنة مشافهةً من النبّيّ ﷺ، ثمَّ حرصوا على كتابة حديثه الذي هو دُرَر ولآلئ قد قُطع من بُرْد الحكمة، وامتاز بجوامع الكَلِم، وذلك حفظاً له في السُّطور كما حُفظ في الصُّدور، وصوناً له من الضّياع والنسيان.

ومن أهم صور حفظ السُّنة بالكتابة عن النبيّ ﷺ:

١- شروع الصَّحابة بالكتابة بعد إذن النبي ﷺ لهم:

وقد كان النبي ﷺ نهى عن كتابة الحديث أولَ الأمر: عن أبي سعيد الخدريّ رضي الله عنه أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: "لا تكتبوا عنّي، ومَنْ كتبَ عنّي غيرَ القرآن فليَمْحُه"[(١)].

وكان لهذا النَّهي أسباب منها:

خوف اختلاط القرآن بالسُّنن، ولا سيما أنَّ الاثنين كانا يكتبان في صحيفة واحدة، وخشية اشتغال الناس عن القرآن بالسُّنن، والقرآنُ لمّا يتيسّر حفظُه بعدُ لكثير من الصَّحابة. ثمّ أذنَ النبي ﷺ بالكتابة بعد زوال تلك الأسباب، فجاء النهي في بداية الأمر ثم وقع الإذن بعده[(٢)].

ثمَّ إنَّ من أسباب عدم تدوين الحديث سعة حفظهم، وسيلان أذهانهم، وسعة

---

(١) رواه مسلم،كتاب الزهد والرقاق، باب التثبت في الحديث، حديث رقم ٧٤٣٥، ج ١٨، ص ٣٢٩.

(٢) انظر: تدريب الراوي في شرح تقريب النَّواويّ، جلال الدّين السيوطي، ص ٢١٢-٢١٣.

وانظر: الصحابة وجهودهم في خدمة الحديث النبوي، د. السيد محمد نوح، دار الوفاء، المنصورة، ط ١، ١٩٩٣م، ص ٧٣-٧٤.

ذاكرتهم، "وقد يكون النهي خاصّاً بعدد من الكتبة الذين لا يحسنون الكتابة إحساناً تامّاً، أمّا الذين يحسنونها فلم يكن النهي يشملهم بدليل سماحه لعبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ الذي كان متمكّناً في ذلك في تدوين الحديث"(1). ثمَّ أجمع العلماء في الأعصار المتأخرة على تسويغ كتابة الحديث على نطاق واسع، وهذا أمرٌ مستفيض شائع ذائع من غير نكير(2).

٢- كتابة الحديث في الصُّحف والاحتفاظ بها: ومنها صحيفة عليّ بن أبي طالب، وصحيفة عبد الله بن عمرو بن العاص (الصَّحيفة الصّادقة)، وصحيفة جابر بن عبد الله، وصحيفة سمرة بن جندب ﷺ:

عن أبي جُحَيفةَ ﷺ قال: "قلتُ لعَليّ: هل عندكم كتاب؟ قال: لا، إلاّ كتابُ الله، أو فَهْمٌ أُعطيَهُ رجلٌ مُسلم، أو ما في هذه الصَّحيفة. قال: قلت: فما في هذه الصَّحيفة؟ قال: العَقْل، وفَكاكُ الأسير، ولا يُقتلُ مسلمٌ بكافر"(3).

٣- اتّخاذ الكتابة طريقةً لتثبيت الحفظ وتمكينه:

عن وَهْب بن مُنبّه عن أخيه قال: "سمعتُ أبا هريرةَ ﷺ يقول: ليس أحدٌ من أصحابِ رسول ﷺ أكثرَ حديثاً عن رسول الله ﷺ منّي، إلاّ عبدَ الله بن عمرو، فإنّه كان يكتبُ وكنتُ لا أكتبُ"(4).

---

(1) أدب الحديث النبويّ، د. بكري شيخ أمين، دار الشروق، بيروت، القاهرة، ط٥، ١٤٠١هـ ١٩٨١م. ص ٣٢.

(2) انظر: الباعث الحثيث، ابن كثير، ص ١٢٩.

(3) رواه البخاري كتاب العلم باب كتابة العلم، ج١، ص ٣٨ . ورواه مسلم في كتاب الحج، باب فضل المدينة، حديث رقم ٣٣١٤، ج ٩، ص ١٤٥.

(4) رواه الترمذي، كتاب العلم، باب ما جاء في الرّخصة فيه، حديث ٢٦٦٨٦، ج ٥، ص ٣٩. وقال: حديث حسن صحيح.

٤- كتابة خُطَب النبيّ ﷺ ووصاياه لِمَنْ يطلبها من الناس:

عن أبي هريرة ﷺ: "أَنَّ النبيَّ ﷺ قال: إنّ الله حبسَ عن مكةَ الفيل أو القتل، وسلّط عليهم رسولَ الله ﷺ والمؤمنين، ألا فإنها لا تَحِلُّ لأحد قبلي، ولا تَحِلُّ لأحد بعدي، ألا وإنّها حلَّتْ لي ساعةً من نهار، ألا وإنّها ساعتي هذه حرامٌ، لا يُخْتَلى شوكُها، ولا يُعْضَدُ شجرُها، ولا تُلتقطُ ساقطتُها إلاّ لِمُنْشِد، فمَنْ قتل فهو بخير النَّظَرَين: إمّا أنْ يُعقلَ، وإمّا أن يُقادَ أهلُ القتيل، فجاء رجلٌ من أهل اليمن فقال: اكتبْ لي يا رسولَ الله ، فقال: اكتبوا لأبي فلان، فقال رجلٌ من قريش: يا رسولَ الله إلاّ الإذْخـرَ يا رسولَ الله فإنّا نجعلُه في بيوتنا وقبورنا، فقال النبيّ ﷺ: إلا الإذْخِرَ"[1]. وفي رواية مسلم: "فقام أبو شَاه، رجلٌ من أهل اليمن، فقال: اكتبوا لي، يا رسول الله! فقال رسولُ الله ﷺ: "اكتبوا لأبي شاهٍ". قال الوليدُ: فقلتُ للأوزاعيّ: ما قولُه: اكتبوا لي، يا رسول الله؟ قال: هذه الخُطبةَ التي سمعها من رسول الله ﷺ[2].

---

(١) رواه البخاري،كتاب العلم، باب كتابة العلم، ج١، ص ٣٩.

(٢) رواه مسلم في كتاب الحج، باب تحريم مكة، حديث رقم ٣٢٩٢، ج ٩، ص ١٣٢. رواه الترمذي في كتاب العلم، باب ما جاء في الرخصة فيه، حديث رقم ٢٦٦٧، ج ٥، ص ٣٨-٣٩.

لا يُخْتَلى شوكُها: لا يُقطع إلا المؤذي للناس. وأخلت الأرض: كثر خلاها: وهو النبت الرَّطب، فإذا يبس فهو حشيش. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، باب الخاء مع اللام،ج ٣، ص ٧٥.

ولا يُعْضَدُ شجرُها: أي لا يُقطع، يقال عَضدتُ الشجرَ أعْضِدُه عضْداً. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، باب العين مع الضاد،ج ٣، ص ٢٥١.

الإذْخِر: حشيشة طيّبة الرائحة تُسقَّفُ بها البيوت فوق الخشب. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، باب الهمزة مع الذال،ج ١، ص ٣٣.

٥- كتابة العهود ومواثيق الصُّلح:

نظّم النبيّ ﷺ العلاقة بين سكان المدينة، وكتب في ذلك كتاباً، سمّي في المصادر القديمة بالكتاب أو الصّحيفة، وأطلق عليه في الدِّراسات المعاصرة لفظ الدستور أو الوثيقة، وقد تبيّن للباحثين بعد التمحيص المستفيض في إسناد الوثيقة وأسلوبها ونصوصها أنَّها وثيقة أصلية غير مزوّرة[1].

ومن نصوص هذه الوثيقة: "هذا كتاب من محمّد النبيّ (رسول الله) بين المؤمنين والمسلمين من قريش وأهل يثرب ومَنْ تابعهم، فلحقَ بهم، وجاهدَ معهم، وإنهم أمّة واحدة من دون الناس"[2].

كما وثّق النبيّ ﷺ الصّلح بينه وبين قريش بالكتابة: عن أنس ﵁: "أنّ قريشاً صالحوا النبي ﷺ فيهم سُهيلُ بن عمرو، فقال النبيّ ﷺ لعليٍّ: اكتبْ بسم الله الرَّحمن الرَّحيم، قال سُهيل: أمّا بسم الله فما ندري ما بسمُ الله الرَّحمنِ الرَّحيم؟ ولكنِ اكتب ما نعرف: باسمك اللَّهمَّ. فقال: اكتبْ من محمّد رسولِ الله، قالوا: لو علمنا أنك رسولُ الله لاتّبعناك، ولكن اكتب اسمَك واسمَ أبيك، فقال النبيُّ ﷺ: اكتبْ من محمّد بن عبد الله .."[3].

٦- كتابة كُتب النبيّ ﷺ ورسائله التي كان يرسل بها إلى الملوك والأمراء في البلاد المجاورة، وسيأتي الحديث عنها في المبحث الثاني من هذا الفصل.

---

(١) انظر: صحيح السيرة النبويّة، إبراهيم العلي، دار النفائس، عمّان، ط١، ١٤١٥هـ١٩٩٥م. ص ١٤٠-١٤٣.

(٢) المصدر السّابق نفسه، ص ١٤٥.

انظر: نصوص الوثيقة كاملة في الكتاب نفسه ص ١٤٥-١٤٩.

(٣) رواه مسلم في كتاب الجهاد، باب صلح الحديبية، حديث رقم ٤٦٠٨، ج ١٢، ص ٣٥١-٣٥٢.

٧- تقدير الصَّحابة الكرام قيمة الكتابة في حفظ الأمّة من الضَّلال: وذلك ظاهر من كلام ابن عبّاس ﷺ وأسفه على التنازع الذي جرى عند رسول الله ﷺ في وجعه، ممّا حال دون كتابة الكتاب الذي أراد النبيّ ﷺ أنْ يمليه عليهم: عن ابن عبّاس رضي الله عنهما قال: "لمّا اشتدَّ بالنبي ﷺ وجعُهُ قال: ائتوني بكتابٍ أكتب لكم كتاباً لا تضلّوا بعده، فقال عمر ﷺ: إنّ النبي ﷺ غلبه الوجَعُ، وعندنا كتابُ الله حَسْبُنا فاختلفوا وكَثُر اللَّغَط فقال: قوموا عنّي، ولا ينبغي عندي التَّنازع، فخرج ابنُ عبّاس يقول: إنّ الرَّزية كلّ الرَّزية ما حال بين رسولِ الله ﷺ، وبين كتابه"(١).

ويتضح ممّا سبق ما يلي: أنَّ كتابة الحديث ابتدأت في حياة النبيّ ﷺ، ثمّ استمرت في عهد الصَّحابة، وأنّه كان لبعض الصّحابة مجلس يكتب فيه الطلاب كمجلس البراء بن عازب ﷺ، وأنَّ الكتابة شملت مجالات متعدّدة مثل: كتابة الحديث في الصُّحف، وكتابة خُطَب النبيّ ﷺ، وكتابة العهود والرّسائل.

وقد برز عدد كبير من الصّحابة ممّنْ كتَبَ حديث النبي ﷺ.

والجدول رقم (١) يبيّن أسماء عدد من الصّحابة الكرام الذين كتبوا حديث النبيّ ﷺ(٢):

---

(١) رواه البخاري، كتاب العلم، باب كتابة العلم، ج١، ص ٣٩. ورواه مسلم كتاب الوصية باب ترك الوصيّة لمن ليس لهُ شيء يوصي فيه حديث رقم ٤٢٠٨ ،ج١١،ص٩٤-٩٥.

(٢) انظر: الصَّحابة وجهودهم في حفظ السنة د. عمر يوسف حمزة ، دار أسامة، عمّان ط١ ١٩٩٦م، ص ١٣- ١٩.

وانظر في تراجمهم: الطبقات الكبرى: ابن سعد، والاستيعاب: ابن عبد البر، وأُسد الغابة: ابن الأثير، وسير أعلام النبلاء: الذهبي، والإصابة: ابن حجر، والأعلام: خير الدين الزّركلي.

الرقم	الصّحابي الكاتب	سنة الوفاة (هـ)
١	عبد الله بن مسعود رضي الله عنه	٣٢ هـ
٢	علي بن أبي طالب رضي الله عنه	٤٠ هـ
٣	الحسن بن علي رضي الله عنه	٤٩ هـ
٤	ميمونة بنت الحارث رضي الله عنها	٥١هـ
٥	أبو بكر الثقفي نفيع بن مسروح رضي الله عنه	٥١هـ
٦	عِتْبان بن مالك الأنصاري رضي الله عنه	مات في عهد معاوية رضي الله عنه
٧	عبد الله بن عمرو رضي الله عنه	٦٣ هـ
٨	النعمان بن بشير الأنصاريّ رضي الله عنه	٦٥هـ
٩	عبد الله بن عبّاس رضي الله عنه	٦٨ هـ
١٠	البراء بن عازب رضي الله عنه	٧١هـ
١١	عبد الله بن الزبير رضي الله عنه	٧٣ هـ
١٢	عبد الله بن عمر رضي الله عنه	٧٣هـ
١٣	جابر بن عبد الله رضي الله عنه	٧٨هـ
١٤	واثلة بن الأسقع رضي الله عنه	٨٣هـ
١٥	عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنه	٨٦هـ
١٦	أنس بن مالك رضي الله عنه	٩١هـ

المبحث الثاني

أداء السّنة وتبليغها

وجَّه النبيُّ ﷺ أصحابَه الكرام إلى تبليغ كلّ ما تنـزَّلَ عليه من آي الذّكر الحكيم، وما صدَرَ عنه، وما آتاهم وما نهاهم عنه، بعد أنْ تلقّوا السُّنة وتحمَّلوها، فنَهَدُوا لهذه المهمّة الجليلة، وشمَّروا عن سواعدهم، وجاسوا خلالَ أقطار النفوس، وخلالَ الديار والأمصار يُبلّغون سُنّة رسول الله ﷺ.

بواعث أداء السُنة وتبليغها:

وكان من أهمّ البواعث التي أدّتْ إلى اندفاع الصَّحابة الكرام، وبذل جهودهم وأوقاتهم وأموالهم في سبيل إبلاغ سنّة حبيبهم المصطفى ﷺ ما يلي:

١ - الاستجابة لأمر النبّي ﷺ:

نصَّ النبيّ ﷺ صراحة على وجوب التبليغ عنه، ولو كان شيئاً يسيراً من آيات القرآن الكريم، أو أحاديثه الشَّريفة: عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه أنَّ النبيَّ ﷺ قال: "بلِّغوا عنّي ولو آية، وحدِّثوا عن بني إسرائيل ولا حرَج، ومَنْ كذبَ عليَّ متعمّداً، فليتبوَّأْ مقْعَدهُ من النَّار"(١).

٢ -القيام بأمانة الشُّهود:

إذ الصَّحابة الكرام شُهود على تلقّي السُّنة وسماعها، والناسُ غائبون، ويقتضي ذلك أن يقوموا بهذه الأمانة؛ أمانةِ إبلاغ الهدى والخير للناس أجمعين: ففي حديث أبي

(١) رواه البخاريّ، كتاب أحاديث الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل، حديث رقم ٣٤٦١، وانظر: الفتح ١٧٢/٧.

بكرةَ ﷺ أنَّ النبيَّ ﷺ قال: "لِيُبَلِّغِ الشَّاهدُ الغائبَ، فإنَّ الشَّاهدَ عسى أنْ يُبلِّغَ مَنْ هو أوعى لَهُ مِنْهُ"(١).

٣- الفوز بالثَّواب الجزيل، والأجر الكبير، ونيل بركة دعاء النبي ﷺ لِمَنْ يبلّغ سُنته:

عن زيد بن ثابت ﷺ قال: سمعتُ رسول اللهﷺ يقول: "نضَّر الله امرأ سمعَ منّا حديثاً فحفظه، حتى يبلّغه غيرَه، فرُبَّ حاملِ فِقْهٍ إلى مَنْ هو أفقهُ مِنْهُ، وربَّ حاملِ فقهٍ ليس بفقيهٍ"(٢).

ويمكن أن نستنتج من الأحاديث الشَّريفة السَّابقة طائفةً من الضَّوابط النبويّة للأداء الصَّحيح للسنة:

١ – التأدية الكاملة للسُّنة دون نقص ولا زيادة: "فأدَّاها كما سَمِعَها".

٢ – وعي السنة المُبلَّغة وفقهها: "فرُبَّ مُبلَّغٍ أوعى مِنْ سامع، ورُبَّ حاملِ فِقْهٍ إلى مَنْ هو أفقهُ مِنْهُ".

٣- شدّة التَّحرّي والتثبّت في النقل عن النبّي ﷺ، واتّقاء الوعيد بالنار لَمْنْ يكذب عليه: "ومَنْ كذبَ عليَّ متعمّداً، فليتبوَّأْ مقْعَدهُ من النَّار".

وكان من أثر تحرّي هذه الضوابط أنْ حاز أهلُ الحديث ثقة المسلمين في تبليغ السّنة، إذ هم الأمناء على ميراث النبوّة، وقد أصابتهم دعوة النبيّ ﷺ المباركة بنضارة الوجه: قال سُفيان بن عُيينة: "لا تجد أحداً من أهل الحديث إلا وفي وجهه نضرةً لدعوة

---

(١) رواه البخاري، كتاب العلم، باب قول النبيّ ﷺ: رُبَّ مبلّغ أوعى من سامع، ج١، ص ٢٦٠.

(٢) رواه الترمذي، كتاب العلم، باب ما جاء في الحث على تبليغ السَّماع، حديث رقم ٢٦٥٦، ج ٥، ص ٣٣. وقال: حديث حسن.

النبيّ ﷺ". وقال الإمام الشّافعيّ: "إذا رأيتُ رجلاً من أصحاب الحديث فكأنّي رأيتُ رجلاً من أصحاب النبيّ ﷺ جزاهم الله خيراً، حفظوا فلهم علينا الفضل؛ لأنّهم حفظوا لنا"(١).

جهود الصَّحابة الكرام في أداء السُّنة وتبليغها:

وقد التزم الصَّحابة الكرام بهذه الضَّوابط النبوية أتمَّ التزام، فجاءت جهودُهم كبيرة في أداء السُّنة، ومن أعظم هذه الجهود:

أولا- تبليغ السُّنة بالعلم والتعليم:

لَمَّا نهل الصحابةُ الكرام من المعين النبويّ، وتعلّموا خيرَ الهدي صار لزاماً عليهم نشر ما تعلّموا وإذاعته بين الناس، ورَفْدهم بما اكتسبوا من معارف ومهارات من النبيّ ﷺ، يحدوهم إلى ذلك أنَّ العلماء ورثة الأنبياء، وأنَّ الأمّة لا تنهض بغير العلم والفهم، وأنَّ رتبة العلم فوق كلّ الرُّتب.

والعلمُ أشرفُ ما رغِبَ فيه الرَّاغب، وأفضلُ ما طلبَ وجَدَّ فيه الطَّالب، وأنفع ما اقتناه الكاسب؛ لأنَّ شرفه ينمّ على صاحبه، وفضلَه ينمو عند طالبه، وهو زاد الحكماء والعقلاء، وقد مدحه الأنبياء والعلماء والخلفاء(٢).

وشاهدُ ذلك قولُ الله ﷻ: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُواْ فِى

---

(١) انظر: محبة النبيّ ﷺ، عبد الله الخضيري، وعبد اللطيف الحسن، ص ٤٩. (نقلاً عن سير أعلام النبلاء: ج١٠/ ص ٦٠، وحلية الأولياء:ج ٩/ ص ١٠٩).

(٢) انظر: أدب الدين والدنيا، الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري الماوردي (٤٥٠هـ)، شرح وتعليق: محمّد كريم راجح، دار اقرأ، بيروت، ط ٥، ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م، ص ٣٣ – ٥٢.

ٱلْمَجَٰلِسِ فَٱفْسَحُواْ يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾(١).

وحديثُ النبي ﷺ: عن معاوية ﷺ قال: "سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: مَنْ يُرد الله به خيراً يُفقهِّه في الدّين، وإنَّما أنا قاسم، والله ﷻ يعطي، ولن تزالَ هذه الأمةُ قائمةً على أمر الله لا يضرّهم مَنْ خالفهم حتى يأتيَ أمرُ الله"(٢).

لذلك سارع الصَّحابة الكرام إلى القيام بمهمّة التعليم، فتقاطرت عليهم جموع الناس من كلّ حَدَبٍ وصَوْب؛ ليأخذوا عنهم، ويعتزّوا بالانتساب إلى التلقّي منهم، وامتلأتْ مجالسهم بطلبة العلم من التابعين، فكان أن رغَّبهم الصَّحابة الكرام في مذاكرة السّنة ومدارستها، وأحبّوهم، وأفسحوا لهم في المجالس، وحمَّلوهم أمانة التبليغ من بعدهم.

وقد اتّبع الصَّحابة الكرام منهجاً دقيقاً في التعليم يرتكز على الأساليب التالية(٣):

١ - تصدُّر كبار الصَّحابة للتعليم وانتشارهم في الأقطار:

فقد اتخذوا من المساجد دوراً للعلم ونَشْر الحديث، وتخرَّج على أيديهم كبارُ التابعين.

والجدول رقم (٢) يبيّن أسماء عدد من الصّحابة الكرام الذين قاموا بالتعليم،

(١) المجادلة، آية ١١.

(٢) رواه البخاري، كتاب العلم، باب مَنْ يُرد الله به خيراً يُفقهِّه في الدّين، ج١، ص ٢٧.

ورواه الترمذي عن ابن عبّاس في كتاب العلم، باب: إذا أراد الله بعبد خيراً، حديث رقم ٢٦٤٥، ج ٥، ص ٣٨.

(٣) انظر: الصَّحابة وجهودهم في خدمة الحديث النبوي، د. السيد محمد نوح، ص ١٠١-١٠٦.

وأماكن انتشارهم:

الرقم	اسم الصّحابي المعلّم	مكان التعليم
١	معاذ بن جبل، عبد الله بن عباس، عثمان بن أبى طلحة ﭬ	مكة
٢	عبد الله بن مسعود، علي بن أبي طالب، سعد بن أبى وقاص ﭬ	الكوفة
٣	أنس بن مالك، أبو موسى الأشعري، عتبة بن غزوان ﭬ	البصرة
٤	عبادة بن الصامت، أبو الدَّرداء، أبو عبيدة عامر بن الجراح ﭬ	الشام
٥	عمرو بن العاص، الزبير بن العوام، المقداد بن الأسود ﭬ	مصر
٦	عبد الله بن جعفر، عبد الله بن الزبير، الحسن والحسين ابنا علي ﭬ	المغرب
٧	معاذ بن جبل، أبو موسى الأشعريّ رضي الله عنهما	اليمن
٨	عبد الله بن عمر، حذيفة بن اليمان، سعيد بن العاص ﭬ	جرجان
٩	البراء بن عازب، عبد الله بن عمر، سعيد بن العاص ﭬ	قزوين
١٠	أبو برزة الأسلميّ، بُريدة بن خصيب، الحكم بن عمرو الغفاريّ ﭬ	خراسان

ويتضح من الجدول أنَّ عدداً كبيراً من الصّحابة الكرام قد تخصّصوا في التعليم، وأنّهم انتشروا في أماكن كثيرة في الأرض المعمورة في عهدهم.

كما رحلت كبريات الصَّحابيات إلى الأمصار يحدّثن أهلها بما سمعنه من رسول الله ﷺ، أو رأينه منه، أو فقهنه عنه، وكانت الصَّحابية منهنّ إذا دخلت مدينة تجمّع عندها أهل المدينة كلّها وخصوصاً النساء، ومن أشهر الصحابيات المعلّمات: أمّ عطية الأنصارية، وأسماء بنت يزيد بن السكن، وأمّ المؤمنين عائشة، وأمّ المؤمنين حبيبة، والصماء بنت بسر، وأمّ الدرداء الكبرى، وميمونة بنت سعد، وفاطمة بنت اليمان، وأمّ

سليمان بن عمرو بن الأحوص، وغيرهنّ[1].

٢- التدّرج في التعليم ومناسبة الحديث لأفهام المتلقين:

كان الصَّحابة الكرام يتخيّرون الأوقات المناسبة للتعليم، ويراعون مستوى المتعلمين، ويحرصون على أن يقع الحديث مناسباً لأفهامهم: عن علي بن أبي طالب ﷺ قال: "حدّثوا الناس بما يعرفون، أتريدون أن يُكذّب الله ورسوله"[2].

وجاء عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال:"ما أنت بمحدّث قوماً حديثاً لا تبلغه عقولُهم إلا كان لبعضهم فتنة"[3].

٣- تخوّل المتعلّمين بالموعظة والاقتصاد فيها مخافةَ الملل والنفور:

عن أبي وائل أنّه قال: "كان عبد الله يذكّر الناس في كلّ خميس فقال له رجل: يا أبا عبد الرحمن لوددتُ أنّك ذكّرتنا كلَّ يوم قال: أما إنَّه يمنعني من ذلك أنّي أكرهُ أنْ أُملّكم، وإنّي أتخوّلكم بالموعظة كما كان النبيّ ﷺ يتخوّلنا بها مخافةَ السَّآمة علينا"[4].

١- الالتزام باللفظ النبويّ:

حرص الصَّحابة الكرام على الالتزام باللفظ النبويّ في الأداء إلا عند الاضطرار من نسيان اللفظ المسموع منه ﷺ، وفي غير جوامع الكلم:

عن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود رضي الله عنهما قال: قال: سمعتُ رسول

---

(١) انظر: دور المرأة في خدمة الحديث في القرون الثلاثة الأولى، آمال قرداش بنت الحسين، ص ١٢٧-١٣٣.

(٢) رواه البخاري، كتاب العلم، باب مَنْ خصّ بالعلم قوماً دون قوم، ج١، ص ٤٤.

(٣) رواه مسلم، في مقدمة الصَّحيح، باب النهي عن الحديث بكل ما سمع ، حديث رقم ١٤،ج١، ص٣٥.

(٤) رواه البخاري، كتاب العلم، باب من جعل لأهل العلم أياماً معلومة، ج١، ص ٢٧. ورواه مسلم، كتاب صفات المنافقين باب الاقتصاد في الموعظة، حديث رقم٧٠٦٠، ج ١٧، ص ١٦١-١٦٢.

الله ﷺ يقول:"نضَّر الله امرأ سمعَ منّا شيئاً فبلّغه كما سمع، فرُبَّ مُبلَّغٍ أوعى مِنْ سامع"(١).

ولهذا كلّه كانوا يُتبعون الحديث بعبارة تفيد معنى الاحتياط في الرّواية مثل: " أو كما قال رسولُ الله ﷺ". وذلك التزاماً منهم بحديث النبيّ ﷺ.

ثانياً- تبليغ السُّنة بالقدوة:

أودع الله ﷻ في فطرة البشر التأسّي بالنماذج العالية التي تنير سُبلَ الحياة إذا ادلهمّ ظلامها، وتوعّرتْ مسالُكها، وكان خير هذه النماذج أنبياء الله ورسله الذين أضاءوا دروب البشرية بما أوتوا من حكمة بالغة، وسداد رأي، وبما تحلّوا بحميدِ الخلق، وصلاحِ الحال.

وبين هؤلاء الصّفوة من الأنبياء والرّسل يتبوّأ محمّد ﷺ القمّة العليا؛ إذ جعله الله ﷻ قدوةً للناس بخلقه ومشاعره وسلوكه، وأسوةً حيّة دائمةً متجدّدة:

﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾(٢).

وإذا كانت المثاليات تتفرّق في نفوس شتّى، ولا تجتمع في نفس واحدة، فإنّها قد اجتمعت في نفس واحدة هي نفس محمّد بن عبد الله ﷺ أكمل نفسٍ خلقها الله على النموذج الرّباني الذي ارتضاه الله للإنسان، وطلب من الناس تحقيقه قدر استطاعتهم،

---

(١) رواه الترمذي في كتاب العلم، باب ما جاء في الحث على تبليغ السَّماع، حديث رقم ٢٦٥٧، ج ٥، ص ٣٣. وقال: حديث حسن صحيح.

(٢) الأحزاب، آية ٢١.

فكان هو الصّورة المثالية التي تشجّع الناس على الصعود أولاً، ثمَّ على العودة إلى الصّعود بعد كلّ انتكاس[1].

وقد استجاب الصّحابة الكرام لنداء القرآن باتّخاذ النبيّ ﷺ أسوةً لهم، فأقبلوا على سنّته فتمثّلوها تمثّلاً عمليّاً، وحقّقوها في ذوات أنفسهم، فكان كلّ واحدٍ منهم حريصاً على إبلاغ سنّة النبيّ ﷺ بطريقة القدوة، وتجلّى تبليغ سنة رسول الله ﷺ بطريقة القدوة وفق أشكال متعددة منها:

١ – التحلّي بالأخلاق النبيلة الذي حضّت عليها السُّنة:

ومن تلك الأخلاق إجلال الكبار وأهل الفضل: عن عبد الله بن بُريدة قال: قال: سَمُرَة بنُ جُنْدَبٍ رضي الله عنه: "لقد كنتُ على عهد رسول الله ﷺ غلاماً، فكنتُ أحفظُ عنه، فما يمنعني من القول إلا أنَّ هَهُنا رجالاً هم أسنُّ منّي"[2].

ومنها خلق الإيثار والتكافل: عن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: "إنَّ الأشعريّين إذا أرْمَلوا في الغزو، أو قلَّ طعامُ عيالهم بالمدينة جمعوا ما كان عندهم في ثوبٍ واحد، ثمَّ اقتسموه بينهم في إناء واحد بالسَّويّة، فهم منّي، وأنا منهم"[3].

ومعنى أرملوا: أي فَني طعامهم، وفرغ زادهم، أو قاربَ الفراغ، قال النوويّ:"وفي هذا الحديث فضيلة الأشعريين، وفضيلة الإيثار والمواساة، وفضيلة خلط

---

(١) انظر: دراسات في النفس الإنسانية، محمد قطب، دار الشروق، بيروت، القاهرة، ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م. ص ٣٧٩-٣٨٢.

(٢) رواه مسلم في كتاب الجنائز، باب: أين يقوم الإمام من الميت، حديث رقم ٢٢٣٤، ج ٧، ص ٣٦.

(٣) رواه مسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل الأشعريين، حديث رقم ٦٣٥٨، ج ١٥، ص ٢٧٨.

الأزواد في السفر، وفضيلة جمعها في شيء عند قلتها في الحضر، ثمّ يُقسم"[1].

٢- قيامهم بالفضائل التعبّدية التي رغّبت فيه السُّنة:

ومن تلك الفضائل المحافظةُ على صلاة الجماعة على الرّغم من طول الطريق إلى المسجد: عن أُبَي بن كعب ﷺ قال: "كان رجلٌ من الأنصار لا أعلمُ أحداً أبعدَ من المسجد منه، وكانتْ لا تخطِئه صلاة. فقيل له: لو اشتريتَ حماراً لتركبه في الظلماء وفي الرّمضاء. قال: ما يسرّني أنَّ منـزلي قربَ المسجد، إنّي أُريد أنْ يُكتبَ لي ممشايَ إلى المسجد ورجوعي إذا رجعتُ إلى أهلي، فقال رسولُ الله ﷺ: قد جمع الله لكَ ذلك كُلَّه"[2].

ومنها فضيلة قراءة القرآن: عن البراء بن عازبٍ رضي الله عنهما قال: "كانَ رجلٌ يقرأُ سورةَ الكهف، وعِندهُ فرسٌ مربوطٌ بشَطَنَين، فتغشَّتهُ سحابةٌ فجعلتْ تدنو، وجعلَ فرسهُ ينفِرُ منها. فلمّا أصبحَ أتى النبّيَّ ﷺ فذكرَ له ذلك فقال: تلك السَّكينةُ تنـزَّلتْ للقُرآن"[3].

(١) انظر: صحيح مسلم بشرح النووي، تحقيق: الشيخ خليل شيحا، ج١٥، ص ٢٧٨.

(٢) رواه مسلم، كتاب المساجد، باب فضل كثرة الخطا إلى المساجد، حديث رقم ١٥١٢، ج٥، ص ١٧٠.
الرَّمضاء: من رمضَ: الرَّمْل، وشدّة الحرّ. وسمّي رمضان لأنّهم لمّا نقلوا أسماء الشهور عن اللغة القديمة سمّوها بالأزمنة التي وقعت فيها، فوافق هذا الشهر أيامَ شدّة الحرّ ورَمَضِه. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، باب الراء مع الميم،ج ٢، ص ٢٦٤.

(٣) رواه البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب فضل سورة الكهف، ج ٦، ص ٢٣٢. ومسلم في كتاب صلاة المسافرين، باب نزول السكينة لقراءة القرآن، حديث رقم ١٨٥٣، ج٦، ص ٣٢٢-٣٢٣.
الشَّطَنُ: الحَبل. وقيل هو الطويل منه، وإنّما شدَّه بشَطَنَين لقوّته وشدّته. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، باب الشين مع الطاء،ج ٢، ص ٤٧٥.

٣- تقيّدهم بالمعاملات التي نصَّت عليها السُّنة:

ولعلَّ من أهمّ المعاملات التي نصّت السّنة على أدائها هي المعاملات الماليّة، تلك التي تفتن كثيراً من الناس، وتوقعهم في حبائل إغرائها، فلا يقوم بها حقَّ القيام إلا من اتّخذ رسولَ الله ﷺ أسوةً له:

عن أُبَي بن كعبٍ ﷺ قال: "وجدتُ صُرَّةً فيها مائةُ دينار، فأتيتُ النبيَّ ﷺ، فقال: عرِّفها حولاً، فعرَّفتُها فلم أجد مَنْ يعرفُها، ثمَّ أتيتُه ثانية، فقال: احفظْ وِعاءَها وعددَها وَوِكاءَها، فإنْ جاء صاحبُها وإلا فاستمتع بها"[١].

وعن نافع ﷺ: "أنَّ عمرَ بن الخطّاب ﷺ كان فرضَ للمهاجرين الأوّلين أربعةَ آلافٍ، وفرضَ لابنه ثلاثةَ آلافٍ وخمسَ مائة، فقيل له: هو من المهاجرين، فلمَ نَقَصْتَه؟ فقال: إنّما هاجر به أبوه، يقول: ليس هو كمَنْ هاجرَ بنفسه"[٢]. ونلحظ حرص الصَّحابة الكرام على الحفاظ على أموال الناس، والتعامل معها وفق أحكام الدين، وتوفية الناس حقوقهم، ولو على حساب حقوق أنفسهم وأولادهم.

ثالثاً- تبليغ السنَّة بالدعوة:

أمر الله ﷻ نبيه محمداً ﷺ بإنذار عشيرته الأقربين، وإنذار أُمّ القرى ومَنْ حولها، ودعوة الناس أجمعين بالأسلوب الحكيم، واللطف واللين: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ ﴾[٣].

---

(١) رواه البخاري، كتاب في اللُّقْطة، باب هل يأخذ اللقطة ولا يدعها تضيع، ج٣، ص ١٦٦.

(٢) رواه البخاري، باب هجرة النبيّ ﷺ وأصحابه، ج٥، ص ٨٠-٨١.

(٣) النحل، آية١٢٥.

وأمر الله ﷻ صحابة رسوله بدعوة الناس إلى الخير، وأمرهم بالمعروف، ونهيهم عن المنكر؛ لأنَّ ذلك هو طريق النجاح في الدُّنيا، والفلاح في الآخرة: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (١).

وقد استجاب الصَّحابة الكرام لأمر الله تعالى، وتأسّوا برسوله الكريم، فهبّوا يبلّغون سنَّة نبيهم محمَّد ﷺ لا يرومون غير نشر فضائلها، وترسيخ قيمها، وإشفاء مرضى القلوب بها، وإخراج الغارقين في الظلمات إلى نورها الوهّاج.

ولعلَّ من أهمّ الدوافع التي حرّضت الصَّحابة الكرام على تبليغ سنة رسول الله ﷺبطريقة الدعوة شغفَهم الشَّديد بالدَّعوة إلى الله، تلك التي ملكت عليهم زمامَ قلوبهم، فأحبّوها حبّاً جمّاً، وهجروا الأوطان لأجلها، وبذلوا المُهج والأرواح في سبيلها، فكانت أيامهم مملوءةً بجلال الأعمال التي استمدّوها من حياة النبي ﷺ الذي أمضى ثلاثاً وعشرين سنة يدعو فيها إلى الله، ويبلّغ ما يُوحى إليه، ويقيم دعائم الإسلام، وينشئ الأمة المسلمة، ولا يدع فرصةً إلاَّ ويعلّم فيها الناس الخير، ويغرس في نفوسهم الفضائل، ويمحو منها الرَّذائل(٢).

وقد استنار الصَّحابة الكرام بقول النبيّ ﷺ في الحديث الذي رواه أبو هريرةَ ﷺ أنَّ رسول الله ﷺ قال: "مَنْ دعا إلى هُدى كان لهُ مِن الأجر مثلُ أُجور مَنْ تبِعَه، لا يَنقصُ ذلك من أُجورهم شيئاً، ومَنْ دعا إلى ضلالةٍ كان عليه مِن الإثم مثل آثام مَنْ تَبعَه، لا

(١) آل عمران، آية ١٠٤.

(٢) انظر: قصص من حياة الرسول وأصحابه، محمد علي دولة، دار القلم، دمشق، ط٣، ١٤٠١ هـ ١٩٨١م، ص ٤-٦.

يَنقصُ ذلك منْ آثامهم شيئاً"[1].

وقد اتخذوا أساليبَ متنوعة ووسائلَ متعددة في سبيل هذه الغاية:

١ – دعوة الأفراد والقبائل والأقوام:

انتشر الصَّحابة الكرام في أنحاء المُدن والقرى والبادية يبلّغون دين الله وسنة نبيه الكريم ﷺ، وكان من بينهم الصَّحابي الجليل "مصعب بن عمير" رضي الله عنه الذي أرسله النبي ﷺ إلى المدينة، وأمرَهُ أن يُقرئ أهلها القرآن، ويعلّمهم الإسلام، ويفقّههم في الدّين، فقام بالأمر خير قيام حتى لم تبقَ دار من دور الأنصار إلاَّ وفيها رجالٌ ونساءٌ مسلمون:

عن البراء رضي الله عنه قال: "أول مَنْ قَدِمَ علينا مُصعب بن عُمير، وابنُ أمِّ مكتوم، وكانا يُقرئان الناس"[2].

وقد كان مصعب في شبابه أعطر أهل مكة، ولد في النّعمة وغُذِّي بها، وشبَّ تحت خمائلها، واختاره الرَّسول ﷺ لأعظم مهمة: أن يكون سفيره إلى المدينة، يفقّه الأنصار الذين آمنوا وبايعوا، ويُدخل غيرهم في دين الله، ويُعدّ المدينة ليوم الهجرة العظيم. وحمل مُصعب الأمانة مستعيناً بما أنعم الله عليه من عقلٍ راجح، وخُلقٍ كريم، حتى غزا أهل المدينة بإخلاصه ووَرَعه، فدخلوا في دين الله أفواجاً[3].

---

(١) رواه مسلم ، كتاب العلم، باب مَنْ سنَّ سنة حسنة أو سيئة، حديث رقم ٦٧٤٥، ج١٦، ص ٤٤٤.

(٢) رواه البخاري، باب مقدم النبي ﷺ وأصحابه المدينة، ج٥، ص ٨٤.

(٣) انظر: طبقات ابن سعد، م٣، ص ٨٧-٨٨، ومختصر السيرة النبوية لابن كثير (٧٧٤ هـ) اختصار وشرح: محمد علي قطب، دار المسيرة، بيروت، ط١، ١٤٠٢هـ١٩٨٢م، ص ١٣١-١٤٣. وحياة الصحابة، محمد يوسف الكاندهلوي، ج ١، ص ٨٥ / ج ١، ص ١٤٦-١٤٨، ورجال حول الرسول، خالد محمد خالد، ص ٤٢-٤٨.

٢- حَمْل رسائل النبي ﷺ إلى الملوك:

كان من هدي النبيّ ﷺ أنّه لا يبدأ أحداً بقتال إلا إذا بلّغه الدّعوة، وقد اتبع هذا المنهج مع جميع من حاربهم من القبائل العربيّة، كما اتّبعه مع ملوك الأرض وأباطرتها في عصره، فدعاهم إلى الله تعالى، وأرسل إليهم رسله، وبعث إليهم كتبه، ولم يستثنِ أحداً منهم(١).

وقد اتّخذ النبيّ ﷺ خاتِماً تختم به الرسائل لإثبات صدورها عنه، وحمل أصحابُه الكرام رسائله إلى ملوك الأرض، وزعماء الأقوام، وسادة القبائل:

عن أنس بن مالك ﷺ قال: "لمّا أراد رسولُ الله ﷺ أنْ يكتبَ إلى الرّوم قال: قالوا: إنّهم لا يقرأون كتاباً إلا مختوماً، قال: فاتّخذ رسولُ الله ﷺ خاتِماً من فضّة كأنّي أنظرُ إلى بياضه في يد رسول الله ﷺ نَقْشُهُ محمّدٌ رسولُ الله"(٢).

وانطلق الصّحابة الكرام يجوبون الآفاق بتلك الرَّسائل النبويّة، يطرقون أبواب الملوك باباً باباً، وهدفُهم إخراج الناس من الظلمات إلى النور، ومن عبادة العباد إلى عبادة ربّ العباد، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة.

فليسمع نداءَهم كسرى وقيصر والنجاشي والمقوقس وكلّ جبّار عنيد:

عن أنس ﷺ: "أنَّ رسول الله ﷺ كتبَ إلى كسرى وإلى قيصر وإلى النجاشي وإلى كلِّ جبّار يدعوهم إلى الله تعالى، وليس بالنجاشي الذي صلَّى عليه"(٣).

---

(١) انظر: صحيح السيرة النبويّة، إبراهيم العلي، ص ٣٧٩.

(٢) رواه مسلم، كتاب اللباس والزينة، باب في اتخاذ النبي ﷺ خاتماً، حديث رقم ٥٤٤٧، ج١٤، ص ٢٩٥.

(٣) رواه مسلم، كتاب الجهاد، باب: كتب النبي ﷺ إلى ملوك الكفار، حديث رقم ٤٥٨٥، ج ١٢، ص ٣٢٩.

وانظر: كتاب النبيّ ﷺ إلى هرقل في حديث أبي سفيان مع هرقل، الذي رواه ابن عبّاس رضي الله عنهما أنَّ أبا سفيان أخبره من فيه إلى فيه.." رواه مسلم، كتاب الجهاد، باب: كتاب النبيّ ﷺ إلى هرقل، حديث رقم ٤٥٨٣، ج ١٢، ص ٣٢٢.

والجدول رقم (٣) يوضّح أسماء سفراء النبي ﷺ من الصَّحابة الكرام، وأسماء الملوك المرسل إليهم[1]:

(أسماء سفراء النبيّ ﷺ من الصَّحابة الكرام، وأسماء الملوك المرسل إليهم)

الرقم	الصّحابي السَّفير	الملك المُرسل إليه
١	عبد الله بن حُذافة، وشجاع بن وهب رضي الله عنهما	كِسْرى ملك الفرس
٢	سَليط بن عمرو ﵁	ثُمامة بن أُثُال وهَوْذَة بن علي
٣	العَلاء بن الحَضْرمي ﵁	المنذر بن سَاوى ملك البحرين
٤	عمرو بن العاص ﵁	جيفر وعبّاد ابنا الجُلُندى ملكا عُمان
٥	دِحْية الكلبيّ ﵁	هرقل ملك الروم
٦	شجاع بن وهب الأسدي ﵁	الحارث الغسّاني ملك تخوم الشّام
٧	عمرو بن أُميّة الضَّمري ﵁	النجاشي ملك الحبشة
٨	المهاجر بن أبي أُميّة وجرير رضي الله عنهما	الحارث بن عبد كُلال ملك اليمن
٩	السَّائب ﵁	مسيلمة الكذّاب
١٠	حاطب بن أبي بَلْتعة ﵁	المُقُوْقِس ملك مصر
١١	الحارث بن عمير الأزدي ﵁	ملك بُصْرى الشَّام

ووصلت هذه الرَّسائل إلى الملوك، فمنهم مَنْ أسلم، وأهدى إلى النبي ﷺ، مثل ملك أيْلة "فروة بن عمرو الجذامي" ﵁، ومن هؤلاء الملوك مَنْ أعرض ومزّق الله

(١) انظر طبقات ابن سعد، ج١، ١٩٨ - ٢٢١. والسيرة النبويّة، ابن هشام، م٢، ج ٤، ص ٦٠٧. وتاريخ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، أبو جعفر محمد بن جرير الطبريّ (٣١٠هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، م٢، ص ١٢٨-١٣٤. وحياة الصحابة، محمد يوسف الكاندهلوي، ص ٩٤-١١١. وصحيح السيرة النبويّة، إبراهيم العلي، ص ٣٧٩-٣٨٥. والرحيق المختوم، صفي الرحمن المباركفوري، دار ابن حزم، بيروت، ط١، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م، ص ٣٤٣-٣٥٤.

ملكه مثل كسرى وقيصر.

وقد سَلِمَ سفراء النبيّ ﷺ، ولم يتعرّضوا للأذى، إلا الحارث بن عُمير الأزديّ، فقد لقيه شُرَحْبيل بن عمرو الغسّانيّ، فأوثقه، وقتله صَبْراً، أي كما تذبح الشَّاة، ولم يُقتل لرسول الله ﷺ رسولٌ غيره، وقد اشتدّ على النبيّ ﷺ مقتله، فوجّه الصّحابة الكرام إلى الخروج إلى مؤتة[1].

٣- الصّبر على شدائد الدَّعوة وتبليغ السنّة:

تعرّض الصَّحابة الكرام إلى ألوان الأذى وجمر البلاء في الدّعوة، وصبروا على شدائدها، وتحمّلوا عناء إبلاغها، وكان من هؤلاء: أبو بكر، وعثمان، وعليّ، وطلحة، والزُّبير، وبلال، وعمّار، وخبّاب، وأبو ذّر، وسعيد بن زيد، وعُثمان بن مظعون، وعبد الله بن حذافة ﷺ، وغيرهم من عامة أصحاب النبيﷺ الذين كان المشركون يضربونهم ويجيعونهم ويعذبونهم في الرَّمضاء حتى ما يقدر أحدُهم أن يستوي جالساً من الضُّر[2].

عن عائشة زوج النبي ﷺ ورضي الله عنها قالت: "لم أعْقَلْ أبويَّ قطّ إلاَّ وهما يدينان الدِّين، ولم يمرَّ علينا يومٌ إلاَّ يأتينا فيه النبي ﷺ طَرَفِي النهار، بكرةً وعشيّةً. فلمّا ابتليَ المسلمون خرج أبو بكر مهاجراً نحو أرض الحبشة، حتى إذا بلغ بَرْكَ الغِمَاد لقيهُ ابن الدَّغِنَة، وهو سيد القارَة، فقال: أين تريد يا أبا بكر؟ فقال أبو بكر: أخرجني قومي، فأريد أنْ أسيحَ في الأرض، وأعبدَ ربّي، فقال ابنُ الدَّغِنَة: فإنَّ مثلك لا يَخْرج ولا يُخرج، إنّك تُكسبُ المعدوم، وتصلُ الرَّحم، وتحملُ الكلّ، وتَقْري الضيف، وتعينُ على نوائب

(١) انظر: الطبقات الكبرى، ابن سعد، م٤، ص ٢٥٥.

(٢) انظر: حياة الصحابة محمد يوسف الكاندهلوي، ١/ ٢٢٣-٢٤٤ وصحيح السيرة النبويّة، إبراهيم العلي، ص ٧٠-٧١.

الحقّ، فأنا لك جارٌ، ارجع وأعبدْ ربَّك ببلدك، فرجع"[1].

رابعاً– تبليغ السُّنة برواية حديث النبيّ ﷺ:

كان من أكبر الجهود التي بذلها الصَّحابة الكرام في تبليغ السُّنة جهودهم في رواية حديث رسول الله ﷺ، والبراعة في حفظه، وضبط ألفاظه، والعناية به عنايةً لا نظير لها في حفظ كلام البشر.

ومن أبرز تلك الجهود:

١ – حرص الصَّحابة الكرام على مذاكرة الحديث ومدارسته:

وقد تفاوتوا في استظهار الحديث وروايته على الرّغم من حرصهم الشَّديد على بذل الوسع في الاستزادة من معين النبوّة الثّر، فكان منهم المكثر والمقلّ في الرواية، فالمكثر للرواية هو من روى ألف حديث فأكثر، والمقلّ ما روى دون ذلك[2]. ومن أسباب تفاوتهم في الحفظ والرواية[3]:

- الفروق الفردية بين البشر في الحفظ.
- تفاوت المدد الزمنية في صحبتهم للنبيّ ﷺ؛ إذ إنَّ منهم مَنْ صحبه دهراً طويلاً، ولازمه كثيراً، فتهيّأت لهم أسباب الحفظ، وتوفّرت عندهم دواعي الأخذ والتلقّي، ومنهم مَنْ لم يصحبه إلا يسيراً.
- اشتغال بعضهم بالجهاد وإرسال الجيوش، والفتوح، ممّا جعلهم يتركون التحديث لإخوانهم.

---

(١) رواه البخاري من حديث طويل، باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة، ج٥، ص ٧٣-٧٤.

(٢) انظر: فتح المغيث، السّخاوي، ج٣، ص ١٠٧.

(٣) انظر: الحديث والمحدّثون، محمد محمد أبو زهو، دار الكتاب العربي، بيروت، د.ط، ١٩٨٤م، ص ١٤٧– ١٤٨. وانظر: الصَّحابة وجهودهم في حفظ السنة د. عمر يوسف حمزة، ص ٢٣– ٢٤.

- تولّي بعضهم الخلافة، واشتغال بعضهم بالإمارة والوزارة، ونشر موازين العدل بين الناس.
- شدّة الحَرَج عند بعض الصَّحابة الكرام، وتحفّظهم من إكثار الرّواية عن رسول الله ﷺ خشيةً من الوعيد الوارد، وخوفاً من الزيادة أو النقصان في الحديث.
- اشتغال بعضهم بشؤون معاشهم من فلاحة، وزراعة، ورعي، وتجارة، وغير ذلك.
- قِصَر أعمار بعضهم، إذ لم يتح لهم أداء ما عندهم بعد وفاة النبيّ ﷺ.
- طول أعمار بعضهم، ممّا أهّلهم لزعامة الإرشاد والفتوى، ورياسة العلم والرواية، فأصبحوا بذلك نجوم الهداية في الدَّعوة والشَّريعة لاحتياج الناس إلى علمهم.

وقد أشار أبو هريرة ﷺ إلى بعض الأسباب التي أدتْ إلى تفاوت الصّحابة في الحفظ، كما أشار إلى استزادته من حديث رسول الله ﷺ، وإكثاره من روايته، إذ كان مكتفياً من القوت، فلا يحتاج إلى مزاولة العمل، ومتفرّغاً لملازمة النبي ﷺ، و أخْذِ الحديث عنه:

عن أبي هريرة ﷺ قال:

"إنَّ الناس يقولون أكثرَ أبو هريرة، ولولا آيتان في كتاب الله ما حَدّثتُ حديثاً، ثمّ يتلو: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَبَيَّنُواْ

فَأُوْلَـٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيۡهِمۡ ۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾[1]. إنَّ إخواننا من المهاجرين كان يَشْغَلُهم الصَّفْقُ في الأسواق، وإنَّ إخواننا من الأنصار كان يَشْغَلُهم العملُ في أموالهم، وإنَّ أبا هريرة كان يلزمُ رسولَ الله ﷺ لِشِبَعِ بَطْنه، ويحضرُ ما لا يحضرون، ويحفظُ ما لا يحفظون"[2].

٢- التَّحديث عن النبي ﷺ، والإخبار بسنّته القوليّة والفعليّة والتقريريّة:

أدّى الصَّحابة الكرام ما تحمّلوا من حديث رسول الله ﷺ بعد أنْ تهيّأت لهم أسباب الحفظ، فحدّثوا الناس، وأخبروهم بتفاصيل دقيقة عن حياة النبي ﷺ في كلامه وصمته، وطعامه ومنامه، وقيامه

وصلاته، وحجّه وصيامه، ومرضه وصحته، وشبابه وشيخوخته، ودعوته وجهاده.

وقد تفرّغ بعضهم للتحديث عن النبي ﷺ، وكان أكثرهم حديثاً عن رسول الله ﷺ ستة من أجلاء الصّحابة، كما روي عن الإمام أحمد بن حَنْبل رحمه الله:

"ستة من أصحاب النبيّ ﷺ أكثروا الرّواية عنه وعُمِّروا: أبو هريرة، وابن عمر، وعائشة، وجابر بن عبد الله، وابن عبّاس، وأنس. وأبو هريرة أكثرهم حديثاً، وحَمَل عنه الثّقات"[3]. ويلحق بهم أبو سعيد الخُدْريّ.

وهذا تعريف موجز بهؤلاء الصَّحابة الكرام الذين بلغت مروياتهم أكثر من ألف حديث، وهم:

---

(١) البقرة، الآيتان ١٥٩، ١٦٠.

(٢) رواه البخاري، كتاب العلم، باب حفظ العلم، ج١، ص ٤٠.

(٣) مقدّمة ابن الصَّلاح في علوم الحديث، ص ٣٠٣.

أ- أبو هريرة رضي الله عنه:

هو عبد الرحمن بن صخر الدوسيّ، كان أكثر الصَّحابة حفظاً للحديث ورواية له. نشأ يتيماً ضعيفاً في الجاهلية، أسلم عام خيبر سنة (٧هـ)، وشهدها مع النبي ﷺ، فكان ألزم الصَّحابة بالنبي ﷺ. له ذاكرة قوية، وحافظة نادرة في التلقي ببركة دعاء النبي ﷺ له، وتفرّغه للعلم.

فكانت موهبته خارقة في سعة الذاكرة وقوتها، يجيد فنَّ الإصغاء، وكانت ذاكرته تجيدُ فنَّ الحفظ والتخزين، ولا يكادُ ينسى مما وعى كلمةً ولا حرفاً مهما تطاول العمر، وتعاقبت الأيام!

روى ٥٣٧٤ حديثاً، وروى عنه أكثر من ٨٠٠ رجل. كان أكثر مقامه في المدينة، ت ٥٨هـ[1].

ب- ابن عُمر رضي الله عنه:

هو أبو عبد الرحمن عبد الله بن عمر بن الخطاب، نشأ في الإسلام، وأسلم مع أبيه، وهاجر إلى المدينة قبله، وشهد غزوات مع النبي ﷺ، وشهد فتح مكة، وشهد اليرموك، والقادسية، وفتوح مصر وفارس وإفريقيا. أمّه زينب بنت مظعون (أخت عثمان بن مظعون) وأخته حفصة أمّ المؤمنين.

تعلّم ابن عمر من أبيه خيراً كثيراً، وتعلّم مع أبيه من النبي ﷺ الخير كلَّه والعظمة كلها. وكان يحاكي النبي ﷺ فيما يفعل في كل أمر بدقةٍ وإخبات.

---

(١) انظر: طبقات ابن سعد ج ٤، ص ٢٤٢-٢٥٣، وسير أعلام النبلاء، ج ٢، ص ٥٧٨، وصفة الصفوة ج١، ص ٦٨٥، ورجال حول الرسول، ص ٥٣٣ .

روى ٢٦٣٠ حديثاً، وتوفي في مكة سنة ٧٣ هـ[١].

ج- أنس بن مالك ﷺ:

أبو حمزة، خادم النبي ﷺ، أمّه أمّ سليم بنت ملحان، وخالته أم حرام، وهي خالة النبي ﷺ من الرَّضاعة، وزوجة عبادة بن الصَّامت. لازم أنس النبي ﷺ في حلّه وترحاله، ودعا له النبي ﷺ بكثرة المال والولد، وشارك أنس في الفتوحات وقتال المشركين مع أخيه البراء بن مالك، وكان يوصي أولاده: "يا بَنيَّ قيّدوا العلم بالكتابة". روى ٢٢٨٦ حديثاً، ورحَلَ إلى البصرة وتوفي فيها سنة ٩١ هـ، وعمره أكثر من مائة سنة[٢].

د- عائشة أمّ المؤمنين رضي الله عنها:

هي عائشة أمّ المؤمنين بنت أبي بكر الصدّيق، تكنى بأمّ عبد الله، أفقه نساء المسلمين، وأعلمهنّ بالدين والأدب. تزوّجها النبي ﷺ في السنة الثانية للهجرة، فكانت أحبَّ نسائه إليه، وأكثرهنَّ رواية للحديث عنه، ولها خطب ومواقف.

رَوتْ عن النبي ﷺ، وروى عنها كثير من الصَّحابة، وروى عنها من التابعين خلائق لا تحصى. رَوَتْ ٢٢١٠ أحاديث. وتوفيت بالمدينة ٥٨ هـ، ودفنت بالبقيع[٣].

---

(١) انظر: أسد الغابة، ابن الأثير، ج٢، ص٢٢٧، والإصابة ج٤، ص ١٠٧، وطبقات ابن سعد ج٤، ص ١٠٥-١٤٣، وسير أعلام النبلاء ج٣، ص ٢٠٣، وفضائل الصحابة، الإمام أحمد بن حنبل ج١، ص ٨٩٤، فضائل الصحابة، النَّسائي، ص ١٦٦، وصفة الصفوة ج١، ص٥٦٣، ورجال حول الرسول ص ١٢١، وحياة الصحابة، الكاندهلوي، ج ١، ص٢٩٤، ج٢، ص١٤٧.

(٢) انظر: طبقات بن سعد ج ٧، ص ٢٧، وفضائل الصحابة، النَّسائي، ص ١٦٨ - ١٦٩، وأسد الغابة ج١، ص ١٥١، والإصابة، ج١، ص ٧١، وصفة الصفوة، ج١، ص٧١٠.

(٣) انظر: طبقات ابن سعد، ج ٢، ص ٢٨٦، وأسد الغابة ج٥، ص ٥٠١، وفضائل الصحابة، الإمام أحمد بن حنبل، ج١، ص ٨٦٨، وفضائل الصحابة، النَّسائي، ص ٢١١-٢١٢، وصفة الصفوة ج ٢، ص١٥، ونساء النبي ﷺ، ص ٩٣ وما بعدها، وحياة الصَّحابة، ج ٢، ص ١٨٥.

هـ- ابن عبَّاس ﷺ:

هو عبد الله بن عبّاس بن عبد المطلب، ابن عمّ رسول الله ﷺ، أمّه أمّ الفضل "لبابة بنت الحارث" وخالته "ميمونة بن الحارث" زوج النبي ﷺ، يسمّى البحر لسعة علمه، ويسمّى حَبْر الأمة، كان عالماً بالحديث والشِّعر والتفسير والحساب، ولازم النبيّ ﷺ، وهو أحد فقهاء الصَّحابة، وكانت حجّته كضوء الشمس ألقاً وضوحاً وبهجة، ويمتلك إلى جانب ذاكرته القوية، بل الخارقة ذكاءً نافذاً، وفطنةً بالغة، روى ١٦٦٠ حديثاً، وكفّ بصره في آخر عمره، فسكن الطائف، وتوفي فيها سنة ٦٨هـ، وكان يوم موته مشهداً حافلاً لمؤمن يزفّ إلى الجنان(١).

و- جابر بن عبد الله ﷺ:

ولد سنة ١٦ ق.هـ، له ولأبيه صُحبة، شهد مع أبيه وخاله العقبة الثانية في السبعين من الأنصار، وغزا تسع عشرة غزوة، روى عنه جماعة من الصَّحابة، وأخذ الناس عنه العلم في مصر والشام، وفي المسجد النبويّ. روى ١٥٤٠ حديثاً، توفي بالمدينة سنة ٧٨هـ(٢).

---

(١) انظر: طبقات ابن سعد، ج ٢، ص ٢٧٨، وأسد الغابة ج٢، ص ١٩٢، والإصابة ج ٤، ص ١٩٠ ، وسير أعلام النبلاء ج ٣، ص ٢٣١، وفضائل الصحابة، الإمام أحمد بن حنبل ج١، ص ٨٤٤، ٩٤٩، وفضائل الصحابة، النَّسائي، ص ٩٤-٩٦، وصفة الصفوة ج١، ص ٧٤٦، وصور من حياة الصحابة ج٣، ص ٤١، ورجال حول الرسول، ص ٧١٣.

(٢) انظر: فضائل الصحابة، النَّسائي، ص ١٤٠-١٤١، والإصابة ج ١، ص ٢٢٢، وصفة الصفوة ج١، ص ٦٤٨، وحياة الصحابة، ج٢، ص ١٥١.

ز- أبو سعيد الخدري ﷺ:

هو أبو سعيد سعد بن مالك الأنصاري، من نجباء الأنصار وعلمائهم وفضلائهم، شهد اثنتي عشرة غزوة، وعرف بعفّة النفس حتى كان يربط الحجر على بطنه من الجوع، وكان يحبّ طلاب العلم، ويرحّب بهم، ويوسّع لهم في المجلس. وقد روى ١١٧٠ حديثاً.

روى عن جماعة من الصَّحابة منهم أبو بكر، وعمر، وعثمان، وزيد بن ثابت، وروى عنه جماعة من الصَّحابة منهم: ابن عمر، وابن عباس، وجابر بن عبد الله.

وروى عنه خلائق من التابعين منهم:

ابنه عبد الرحمن، وسعيد بن المسيّب، وعطاء بن رباح، ومحمّد بن سيرين. توفي بالمدينة سنة ٧٤ هـ، ودفن بالبقيع[١].

والجدول رقم (٤) يوضّح أسماء عدد من الصّحابة رواةِ الحديث، وأعداد مروياتهم، وتواريخ وفاتهم:

الرقم	الصَّحابي الرَّاوي	سنة وفاته	عدد مروياته
١-	أبو هريرة "عبد الرحمن بن صخر" ﷺ	٥٨ هـ	٥٣٧٤
٢-	ابن عمر "عبد الله بن عمر بن الخطاب" ﷺ	٧٣ هـ	٢٦٣٠
٣-	أنس بن مالك ﷺ	٩١ هـ	٢٨٨٦
٤-	عائشة أمّ المؤمنين رضي الله عنها	٥٨ هـ	٢٢١٠

(١) انظر: الإصابة ج١، ص ٢١٣، وحلية الأولياء ج١، ص ٣٦٩، وأسد الغابة ج٢، ص ٢١٣، وسير أعلام النبلاء ج٣، ص١٦٨، وصفة الصفوة ج ١، ص ٧١٤.

٥-	ابن عبّاس "عبد الله بن عباس" ﵁	٦٨ هـ	١٦٦٠
٦-	جابر بن عبد الله ﵁	٧٨ هـ	١٥٤٠
٧-	أبو سعيد الخدريّ " سعد بن مالك"﵁	٧٤ هـ	١١٧٠
٨-	أمّ المؤمنين أمّ سلمة رضي الله عنها	٥٩ هـ	٣٧٨
٩-	البراء بن عازب ﵁	٧١هـ	٣٠٥
١٠-	أبو ذر الغفاري" جُنْدَب بن جُنادة" ﵁	٣١ هـ	٢٨١
١١-	عمران بن الحصين ﵁	٥٢ هـ	١٨٠
١٢-	بريدة بن الخصيب ﵁	٦٣ هـ	١٦٧
١٣-	زيد بن ثابت ﵁	٤٥ هـ	٩٥
١٤-	أمّ المؤمنين ميمونة بنت الحارث رضي الله عنها	٥١ هـ	٧٦
١٥-	زيد بن أرقم ﵁	٦٨هـ	٧٠
١٦-	أمّ المؤمنين حفصة بنت عمر رضي الله عنها	٤١ هـ	٦٠
١٧-	عمرو بن العاص ﵁	٦١ هـ	٣٩
١٨-	سعيد بن يربوع ﵁	٥٤هـ	٣
١٩-	عبد الله بن حنظلة (الغسيل) ﵁	٦٣هـ	٢
٢٠-	حسّان بن ثابت ﵁	٤٠ هـ	١

٣- الدّقة الفائقة والإتقان التام في رواية الحديث: ومن علائم ذلك:

أ- التحرّي الدّقيق، والحذر الشَّديد في الرواية: وذلك خشية تعريض الحديث للخطأ والكذب، والتحريف والتزييف، فمن الصَّحابة الكرام مَن امتنع عن رواية بعض الأشياء خوفَ الخطأ فيها بزيادة أو نقص، مثل أنس بن مالك ﵁ الذي يقول:

"لولا أنّي أخشى أن أخطئ لحدّثتكم بأشياء سمعتها من رسول الله ﷺ"[1].

ب- إقلال الصَّحابة الكرام من الرِّواية، والاعتدال فيها:

وذلك على الرّغم من كثرة تحمّلهم عن رسول الله ﷺ، وذلك احترازاً من الوقوع في الخطأ، وخوفاً من وعيد النبي ﷺ: عن عبد الله بن الزبير ؓ أنّه قال لأبيه: "إنّي لا أسمعك تحدّثُ عن رسول الله ﷺ كما يحدّث فلان وفلان، قال: أَمَا إنيّ لم أفارقه، ولكن سمعته يقول: مَنْ كذبَ عليَّ متعمّداً، فليتبوَّأْ مقْعَدَهُ من النَّار"[2].

ج- سَيْر الصَّحابة الكرام على منهاجي الشَّيخين أبي بكر وعمر بن الخطاب: وهو منهاج قائم على التشدّد في الرّواية، والإنكار على المكثر، فأتقنوا بذلك أداء الحديث، وضبطوا حروفه ومعناه[3].

د- بيان أحوال الرّواة ونقد المرويّات:

فقد أولى الصّحابة الكرام عناية فائقة لمعرفة أحوال الرّواة، والتدقيق في مضامين مرويّاتهم: ومن ذلك قصّة فاطمة بنت قيس التي طلّقها زوجها طلاقاً باتاً: روي عن أبي إسحاق قال: كنتُ مع الأسود بن يزيد جالساً في المسجد الأعظم، ومعنا الشعبيّ، فحدّث الشَّعبي بحديث فاطمة بنت قيس أنَّ رسول الله ﷺ لم يجعل لها سكنى، ولا نفقة، ثمَّ أخذ الأسودُ كفّاً من حصى فحصبَهُ به، فقال: ويلك تحدّث بمثل هذا! قال عمر: لا نترك كتابَ الله، وسنة نبيّنا ﷺ لقول امرأة، لا ندري لعلها حفظتْ أو نسيتْ،

---

(١) سنن الدَّارمي، أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل (٢٥٥هـ)، تحقيق: فواز أحمد زمرلي، وخالد السبع العلمي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط ٢، ١٤٠٧هـ. ج ١، ص ٩٨.

(٢) رواه البخاريّ، كتاب العلم، باب إثم من كذب على النبيّ ﷺ، ج ١، ص ٣٨.

(٣) انظر: دور المرأة في خدمة الحديث في القرون الثلاثة الأولى، آمال قرداش بنت الحسين، ص ١٧١.

لها السّكنى والنفقة، قال الله ﷻ: ﴿لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ﴾[1] [2].

وممّا تجدر الإشارة إليه أنّه كان للصَّحابيات رضوان الله عليهنّ دور بارز في رواية الحديث تتصدّرهنّ أمهات المؤمنين؛ إذ كانت حجراتهنّ مدارس يقصدها طلاب العلم، وتتصدّر أمهاتِ المؤمنين السيدةُ الفقيهة العالمة عائشة رضي الله عنها[3].

وبلغ عدد الصّحابيات اللائي روين أحاديث رسول الله ﷺ (٢١٦) صحابية، أكثرهنّ من أصحاب العشرات والآحاد، منهنّ غير أمهات المؤمنين: أسماء بنت يزيد، وأمّ هانئ بنت أبي طالب، وأمّ عطية الأنصارية، وأمّ الفضل بنت الحارث، والرُّبيّع بنت مُعوِّذ، وأمّ سليم بنت ملحان، وغيرهنّ[4].

خامساً- تبليغ السّنة بتطبيقها العمليّ في الحكم والسّياسة:

لم تقتصر جهود الصَّحابة الكرام على تبليغ السّنة بالتعليم والقدوة والدَّعوة ورواية الحديث، وإنّما امتدت إلى تبليغها عملياً بتطبيقها في شؤون الحياة ونظام الدَّولة في الخلافة الرَّاشدة:

١ - التطبيق العمليّ للأحكام الشّرعية، وذلك في جوانب كثيرة أبرزها:

- أحكام الأسرة: مثل الزواج، والطلاق، والرّضاع، والنفقة، والمواريث.
- أحكام العقوبات: مثل القصاص، والديات، والحدود، والتعزير.

---

(١) الطلاق، آية ١.

(٢) رواه مسلم، كتاب الطلاق، باب المطلقة ثلاثاً لا نفقة لها، حديث رقم ٣٦٩٤، ج ١٠، ص ٣٤٣.

(٣) انظر: دور المرأة في خدمة الحديث في القرون الثلاثة الأولى، آمال قرداش بنت الحسين، ص ٤٥- ٦٧.

(٤) المصدر السابق نفسه، ص ١٠٣-١١٠.

- أحكام المعاملات: مثل البيع، والرّبا، والقرض، والمزارعة، وإحياء الموات.

- أحكام السياسة الشَّرعية: مثل سياسة الوالي، والإمامة، والوزارة، والقضاء.

- أحكام العلاقات الدوليّة: مثل السّلم، والحرب، والهدنة، والقتال، والغنائم.

٢- إجماع الصَّحابة الكرام على تحكيم السُّنة في حياتهم:

فقد أجمعوا على ذلك باعتبار السُّنة مصدراً ثانياً للأحكام الشَّرعية بعد القرآن، فعمل بذلك الخلفاء الرّاشدون، فكانوا يفزعون إلى كتاب الله، ثمَّ إلى السُّنة.

روي عن معاذ بن جبل ﷺ قال: "لمّا بعثني رسولُ الله ﷺ إلى اليمن قال لي: بمَ تقضي إنْ عرضَ قضاء؟ قال: قلت: أقضي بما في كتاب الله. قال: فإن لم يكن في كتاب الله؟ قال: قلتُ: أقضي بما قضى به الرّسول. قال: فإن لم يكن فيما قضى به الرّسول؟ قال: قلت: أجتهد رأيي ولا آلو. فضرب صدري، وقال: الحمد لله الذي وفّق رسولَ رسولِ الله لما يُرضي رسولَ الله"[1].

٣- الرُّجوع إلى السُّنة بعد النظر في كتاب الله:

كان الصّحابة الكرام يرجعون إلى السُّنة بعد القرآن في العبادات والمعاملات وسائر الأحكام، وكانت طريقة "أبي بكر وعمر إذا عرض لهما حكم ينظران أولا في كتاب الله، فإن لم يوجد فيه ما يُقضى به، رجعا إلى السُّنة، إنْ علماها، فإنْ لم يكن لديهما سُنة سألا المسلمين عنها: هل علمتم أنَّ رسول الله ﷺ قضى فيه بقضاء؟ فربما قام إليهما القوم

(١) طبقات ابن سعد، ج٢، ٢٦٤-٢٦٥.

فيقولون: قضى فيه بكذا وكذا"[1].

٤- تخصّص عدد من الصّحابة في القضاء الشَّرعيّ:

نبغَ عدد من الصّحابة الكرام في القضاء في عهد النبوة والخلافة الراشدة، وكان من أشهرهم:

عمر بن الخطاب (٢٣هـ)، وعليّ بن أبي طالب (٤٠هـ)، ومعاذ بن جبل (١٨هـ)، والعلاء بن الحضرمي (٢١هـ)، ومعقل بن يسار (بين ٦٠- ٧٠هـ)، وعمرو بن العاص (٤٣هـ)، وعقبة بن عامر (٥٨هـ)، وحذيفة بن اليمان (٣٦هـ)، وعَتَّاب بن أسيد (١٣هـ)، ودحية الكلبي (بين ٤٠ - ٦٠هـ)، وأبو موسى الأشعري (٤٢هـ)، وأُبي بن كعب (٣٠هـ)، وزيد بن ثابت (٤٥هـ)، وعبد الله بن مسعود (٣٢هـ) [2] ﷺ.

٥- تخصّص عدد من الصّحابة بالفُتيا:

اشتهر عدد من الصَّحابة الكرام بالفُتيا، وكان أكثرهم فُتيا ابن عبّاس، وكان منهم:

عُمر بن الخطاب، وعليّ بن أبي طالب، وأُبَي بن كعب، وأبو الدَّرداء، وزيد بن ثابت، وكان منهم أيضاً العبادلة: عبد الله بن عبّاس، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن الزُّبير، وعبد الله بن عمرو، وعبد الله بن مسعود ﷺ، ويلتحق بهم سائر العبادلة من

---

(١) إعلام الموقّعين عن ربّ العالمين، ابن قيّم الجوزية (٧٥١هـ)، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ١٣٨٨هـ ١٩٦٨م، ج١، ص٦٢.

(٢) انظر: تاريخ الطبريّ، ج٢، ص ٣٥١. وانظر تراجمهم في تاريخ المبرّزين من فقهاء الصّحابة، د. قحطان حمدي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٨هـ ٢٠٠٧م. ص ٧٠-٨١.

الصّحابة، وهم نحو مائتين وعشرين نفساً[1].

وقد كان الصّحابة الكرام مواردَ علم، ومنابعَ حكمة، ومنائرَ هُدى، يروي بعضُهم عن بعض، ويقتبس بعضُهم من بعض، ويُجلّون سنّة رسول الله ﷺ، ويحرصون على تبليغها وأدائها كأحسن ما يكون تبليغ، وأتمّ ما يكون أداء.

فلله درّهم ما أجلَّ مكانتَهم، وما أغزرَ علمَهم، وما أعظمَ جهودَهم!

(١) انظر: طبقات ابن سعد، ج ٢، ٢٥٤ وما بعدها. ومقدّمة ابن الصلاح في علوم الحديث، ابن الصَّلاح، ص ٣٠٤. والكافي في علوم الحديث، أبو الحسن علي بن أبي محمّد التبريزي(٧٤٦هـ)، ص ٦٩٩-٧٠١. وانظر: تدريب الراوي في شرح تقريب النَّواويّ، جلال الدّين السيوطي، ص ٢٩٢-٢٩٤.

وانظر في تراجمهم وفقههم: تاريخ المبرّزين من فقهاء الصّحابة، د. قحطان حمدي محمد، ص ١٣٧-٣٣١.

المبحث الثالث

آثار جهودهم في الدّراسات الشّرعيّة والثقافة الإسلاميّة

ما كانت تلك الجهود الضّخمة التي بذلها الصّحابة الكرام في حفظ السُّنة لتؤتيَ أُكلها، وتستويَ قائمةً على أُصولها لولا فضل الله ﷻ عليهم بالإعانة والرّعاية، والتوفيق والتأييد:

﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾[1].

وقد اتّسمت تلك الجهود ببلوغ الذّروة فيما يلي:

١ – تحمّل السُّنة رغبةً وحبّاً، وعضّ النواجذ عليها حرصاً وحفظاً.

٢ – تبليغها صافيةً نقية من الشّبهات والمحدثات.

٣ – الوقوف الدَّقيق على أحوال رواتها ومرويّاتها.

٤ – الإحاطة التامة بحقائقها ودقائقها، ولطائفها ورقائقها.

وقد أحدثت جهودُ الصّحابة الكرام أثراً هائلاً، ودَويّاً بالغاً – كَدَويّ الصَّيّب من السَّماء فيه بركاتٌ وخير وخِصْب – هزَّ أعطافَ المجتمع الإسلاميّ، وأيقظ العقول، وحرّك الشّعور، وأحلَّ في ديار المسلمين ربيعاً مُمْرعاً، فاهتزَّتْ ورَبتْ، وأنبتتْ من كلِّ زوجٍ بهيج في حقول العلم والمعرفة، والدّراسة الشّرعية، والثقافة الإسلاميّة.

(١) العنكبوت، آية ٦٩.

وكان من أعظم ثمار تلك الجهود وآثارها:

أولاً- نقل السُّنة إلى التابعين كاملة صافية:

وهو أكبر أثر لجهودهم الدّائبة التي استغرقت نحو قرن من الزَّمن، حتّى سلّموا وعاء السُّنة مترُعاً بالخير والهَدْي، سليماً من الثّلم، صافياً من الشّوائب بسندٍ صحيحٍ عالٍ.

يقول ابن القيّم: "ألقى الصّحابة الكرام إلى التابعين ما تلقّوه من مشكاة النبوّة خالصاً صافياً، وكان سندُهم عن نبيّهم ﷺ، عن جبريل، عن ربّ العالمين، سنداً صحيحاً عالياً"[1].

وألقى التابعون إلى تابعيهم ما تلقّوه عن الصّحابة الكرام، و"ذلك بأكبر جهدٍ علميّ عرفه التاريخ، فلا يُقبل حديثٌ من كاذب، ولا مجهول، ولا من أحد لمجرد رابطة القرابة، أو النسب؛ لأنّها أمانة عظيمة تسمو على كلّ الاعتبارات"[2].

وتلقَّت الأجيال من بعد التابعين سُنةً مُطهّرة، وسيرةً مشرّفة، واستلهمت منها ما يُغذّي الأفئدة، ويسمو بالأرواح، ويُحيي النفوس، وكان من أهم مميّزاتها[3]:

١- الصّحة؛ لأنّها وصلت عن أصحّ الطرق العلميّة، وأقواها ثبوتاً. وقد حفظت حفظاً أميناً متيناً لا يرقى إليه شكّ أبداً.

---

(١) إعلام الموقّعين عن ربّ العالمين، ابن قيّم الجوزية (٧٥١هـ)، ج١، ص٦.

(٢) الخطوط العريضة، محبّ الدين الخطيب، (١٣٨٩هـ)، دار آل البيت الأطهار، د.ط، د.ت، ص ٤٦.

(٣) انظر: السيرة النبويّة دروس وعبر، المكتب الإسلامي، د.مصطفى السباعي، دمشق، بيروت، ط ٥، ١٤٠٠هـ، ١٩٨٠م. ص١٥-٢٣.

٢- الوضوح في حقائقها وتشريعاتها، والوضوح في سيرة للنبيّ ﷺ في جميع المراحل منذ زواج أبيه "عبد الله" بأمّه "آمنة" إلى وفاته ﷺ، وهذا ما لم يتيسّر مثله أو قريب منه لرسول من رسل الله السابقين.

٣- الدّقة، فقد عُرفت فيها كلّ صغيرة وكبيرة عن إنسان أكرمه الله بالرسالة فلم تخرجه عن إنسانيته، ولم تُلحق حياته بالأساطير، ولم تُضْفِ عليه الألوهيّة قليلاً ولا كثيراً .

٤- الشُّمول، فهي تمثل النواحي الإنسانيّة في الإنسان، وتنبئ عن حياة الرّسول الدّاعية، والرّسول رئيس الدّولة، والرّسول المربي المرشد، والرّسول الصديق، والمحارب الشجاع، والقائد المنتصر، والسياسيّ الناجح، والجار الأمين، والمعاهد الصّادق.

٥- الصّدق، فهي تعطي الدليل على صدق رسالته ونبوّته؛ لأنّها سنّة إنسان كامل، سار بدعوته من نصر إلى نصر بالكلمة الطّيبة، والحكمة البالغة، والموعظة الحسنة، والإقناع العقليّ، والتأثير الوجدانيّ.

وهكذا لم تصل إلينا السّنة إلا بعدما أنفق الصّحابة الكرام سنيَّ أعمارهم، ونفائس أوقاتهم، وأطايب أموالهم، وقصارى جهودهم، حتى استحقّوا الثناء من الرَّاسخين في العلم.

يقول الإمام الشَّافعي: "وهم فوقنا في كلّ علم واجتهاد ووَرَع وعقل، وأمر استدرك به علم، واستنبط به، وآراؤهم لنا أحمد وأولى بنا من آرائنا عندنا لأنفسنا"[١].

---

(١) مقدّمة ابن الصَّلاح في علوم الحديث، ص ٣٠٥.

ثانياً– تدوين الحديث الشَّريف تدويناً علميّاً دقيقاً:

كان من أعظم الآثار لجهود الصّحابة الكرام أنْ أقبل الخلفاء والأمراء والعلماء والأدباء على حفظ الحديث وروايته، ومدارسته ومذاكرته، وشرح غريبه، وفقه أحكامه، وهبّوا لتدوينه بنشاطٍ منقطع النظير، ونفروا من كلّ الأصقاع، وجمعوا ما روي عن الصّحابة والتابعين، وصحّحوا رواياتهم بالضبط من أصول الثقات عن الثقات العدول، فأبدعوا وأتقنوا، وعرفوا كلَّ شيء عن الرّواة، فكانت مسيرة التدوين التي سيأتي نبأها.

١- الأمر الرسميّ بتدوبن الحديث:

ابتدأت كتابة الحديث في عهد النبيّ ﷺ كما مرّ من قبل، ولم يدوّن تدويناً عامّاً، حتى أمر الخليفة عمر بن عبد العزيز (١٠١هـ) بتدوينه، وكتب إلى واليه على المدينة أبي بكر عمرو بن حَزْم (١١٧هـ): "أنْ اُنظر ما كان من حدبث رسول الله ﷺ، أو سنّته، أو حديث عمر، أو نحوه، فاكتبه لي، فإنّي قد خفتُ دُروسَ العلم، وذهاب العلماء"[1].

ولعلَّ أوّل مَنْ حاز قصب السّبق في تدوين الحديث محمّد بن شهاب الزّهريّ (١٢٤هـ)، ثمَّ تلته مصنّفات على أبواب الفقه لعدد من العلماء أمثال: ابن جريج (١٥٠هـ)، والأوزاعيّ (١٥٧هـ)، وسفيان الثوريّ (١٦١هـ)[2].

ثمَّ ظهر في النصف الأول من القرن الثاني الهجريّ كتابُ الموطّأ للإمام مالك

---

(١) موطّأ الإمام مالك، أبو عبد الله مالك بن أنس الأصبحي (١٧٩هـ)، رواية محمد بن الحسن الشيباني، تحقيق: عبد الوهاب عبد اللطيف، دار القلم، بيروت، ط٢، ١٩٨٤م. باب اكتتاب العلم، ص ٣٣٠.

(٢) انظر: المعارف، ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الديتوري (٢٧٦هـ)، تحقيق: ثروت عكاشة، دار المعارف، مصر، ط٢، ١٩٦٩م، ص ٤٩٤-٥٠٠.

(١٧٩هـ)، ومعنى الموطّأ: أي الممهّد المنقّح. وقد جمعه في أربعين سنة، واشتمل على سبعمائة حديث، وثلاثة آلاف مسألة، ومزجه بأقوال الصّحابة والتابعين ومروياتهم[1].

وفي أواخر القرن الثاني الهجريّ ظهرت مصنّفات في الحديث تسمّى "المساند"، يُسندُ فيها المصنِّف لكلّ صحابيّ ما رُوي عنه من أحاديث، ومن أبرزها مسند الإمام أحمد بن حنبل (٢٤١هـ).

٢- ظهور كتب الصّحاح الستة:

وفي النصف الثاني من القرن الثالث الهجريّ ظهرت الكتب الستة، فطبّقت شهرتها الآفاق، وغدا كلٌّ كثير إلى جانب زاد أصحابها الضَّخم قليلاً، حتّى عُدَّت أصحّ كتب لا في عصرها وحده، بل في جميع العصور، وإلى يوم الناس هذا.

وقد كان الاعتماد في هذه الكتب على الرّواية ولقاء الرجال، ممّا جعل المحدّثين يرحلون إلى الأمصار، ويجمعون ما تفرّق من الأحاديث.

والكتب السّتة هي:

أ- صحيح البخاريّ، لمحمد بن إسماعيل البخاريّ (٢٥٦هـ):

يعدّ البخاريّ أول مَن اعتنى بجمع الصّحيح في كتابه "الجامع الصَّحيح"، واعتنى بترتيبه، وابتدأه بحديث "إنّما الأعمال بالنيات"، وقسّمه إلى كتب، تندرج تحتها أبواب، وبلغت أحاديثه (٩٠٨٢) حديثاً بما فيها المكرّر، جمعها من أفواه الرّواة الثّقات في ستة عشر عاماً بعد أن طاف في البلاد شرقِها وغربها، وتعرّض لامتحان العلماء،

(١) انظر: موطّأ الإمام مالك، رواية محمد بن الحسن الشيباني، مقدمة المحقق: عبد الوهاب عبد اللطيف، ص ١٢-١٥.

وكان يشترط أن يكون الإسناد متصلاً، وأن يكون كلّ راوٍ مسلماً معروفاً بالصدق، وعدم التدليس والتخليط، عدلاً، ضابطاً، حافظاً، سليم الذهن، قليل الوهم، سليم الاعتقاد، واشترط أنْ يكون الرَّاوي قد عاصر شيخه، وثبت عنده سماعُه منه.

ويعدّ صحيح البخاريّ أصحّ كتب الحديث، وقد روى عن البخاريّ رجال كثيرون نحو مائة ألف(1).

وقد "اتفق العلماء رحمهم الله على أنَّ أصحّ الكتب بعد القرآن العزيز الصّحيحان: البخاريّ، ومسلم، وتلقتهما الأمة بالقبول، وكتاب البخاريّ أصحّهما، وأكثرهما فوائد، ومعارف ظاهرة وغامضة، وقد صحَّ أنَّ مسلماً كان ممن يستفيد من البخاريّ، ويعترف بأنّه ليس له نظير في علم الحديث"(2).

ب- صحيح مسلم، لمسلم بن الحجّاج القُشيريّ (٢٦١هـ):

جمع الإمام مسلم في كتابه الأحاديث الصحيحة، واقتفى بذلك أثر أستاذه وشيخه البخاريّ، وبلغت أحاديثه (٣٠٣٠) حديثاً دون المكرّر، من ثلاثمائة ألف حديث مسموعة، جمعها في خمس عشرة سنة، ورتّب كتابه أدقَّ ترتيب، مع جمع الطرق، وجودة السياق، والمحافظة على أداء الألفاظ.

ويعدّ صحيح مسلم في الذروة من التوثيق، ونفائس التحقيق، وأنواع الورع والاحتياط والتحرّي في الرواية، حتى إنه ليذكر الفروق بين الروايات، ولو كانت حرفاً.

---

(١) انظر: ابن كثير، الباعث الحثيث، ص ٣٤-٣٦. وانظر: صحيح البخاري، (٢٥٦هـ)، تقديم فضيلة الشيخ أحمد محمد شاكر، ج١، ص ٨.

(٢) انظر: صحيح مسلم بشرح النووي، تحقيق: الشيخ خليل شيحا، مقدمة الإمام النوويّ، ج١، ص ١٢٨.

وكان الإمام مسلم على علم لا يُبارى في معرفة رجال الحديث الموثّقين والمتّهمين، واشترط في الرُّواة المشافهة والمعاصرة. وقد أثنى أهل العلم على صحيح مسلم، ورجّحه على البخاريّ "علي النيسابوريّ" شيخ الحاكم، وطائفة من علماء المغرب[1].

ج- سنن ابن ماجة، لابن ماجة القزويني (٢٧٣هـ):

اشتمل كتابه على (٣٧) كتاباً من كتب الحديث منها الأحكام والأدب والفتن والزهد، وجعل لكتابه مقدّمة طويلة استوفى فيها الكثير من أبواب العلم، ولم يلتزم فيه إخراج الصَّحيح فقط، بل جمع الصَّحيح والحسن والضعيف. ورتّب كتابه ترتيباً موفّقاً بارعاً، وبلغت أبوابه (١٠٥٠) باباً[2].

د- سُنن أبي داود، لأبي داود السّجستاني (٢٧٥هـ):

كان أبو داود على درجة رفيعة من العلم والورع كأستاذه الإمام أحمد بن حنبل، وقد عني عناية شديدة بأحاديث الأحكام التي تدور عليها رحى الشريعة، فصنّف كتابه على أبواب الفقه، وتخيّر من الأحاديث الصَّحيح وما يشبهه ويقاربه.

واقتصاره على أحاديث الأحكام ميزة عظيمة، وكلامه على الرُّواة في آخر الأحاديث التي يعقّب عليها ميّزة أخرى له. والكتاب كلّه يشتمل على (٥٢٧٤) حديثاً[3].

---

(١) انظر: صحيح مسلم بشرح النووي، مقدمة المحقّق، ج١، ص ٧٨-٨٠ . والباعث الحثيث، ابن كثير، ص ٣٤-٣٦.

(٢) انظر: التمهيد في علوم الحديث، د. همام سعيد، دار الفرقان، عمّان، ط٤، ١٤٢٠هـ ٢٠٠٠هـ، ص ١١٠-١١١.

(٣) انظر: سنن أبي داود، أبو داود السّجستاني (٢٧٥هـ)، راجعه وضبطه: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، د.ط، د.ت، مقدّمة المحقق، ج١، ص ١٠-١٣.

هـ- سُنن الترمذيّ، لأبي عيسى الترمذيّ (٢٧٩هـ):

صنّف الترمذيّ كتابه "الجامع" المشهور بسنن الترمذيّ، وجمع فيه بين الحديث والأثر والفقه والنظر، وهو من أحسن الكتب، وأكثرها فائدة، وأقلّها تكراراً. وهو أصلٌ في معرفة الحسن، وهو الذي شهره. وبلغت أحاديثه (٣٩٥٦) حديثاً[1].

وامتاز كتاب الترمذي بأمور ثلاثة:

أولها: أنّه بعد أن يروي حديث الباب يذكر أسماء الصَّحابة الذي رُويت عنهم أحاديث فيه.

ثانيها: أنّه يذكر اختلاف الفقهاء وأقوالهم في المسائل الفقهية.

ثالثها: أنّه يُعلّل الحديث، ويذكر درجته من الصّحة أو الضّعف، حتى صار كتابه تطبيقاً عمليّاً لقواعد الحديث خصوصاً علمَ العِلَل[2].

قال الترمذيّ عن كتابه: "صنّفتُ هذا الكتاب وعرضتُه على علماء الحجاز والعراق وخراسان فرضوا به، ومن كان في بيته هذا الكتاب فكأنّما في بيته نبيٌّ يتكلّم"[3].

"وقد أراد البخاريّ أن يشهد لتلميذه الترمذيّ شهادة قيّمة فسمع منه حديثاً

---

(١) انظر: المنهل الروي في مختصر علوم الحديث النبويّ، ابن جماعة،(٧٣٣هـ)، تحقيق: د. محيي الدين عبد الرحمن رمضان، دار الفكر، دمشق، ط٢، ١٤٠٦هـ. ص ٣٨.

وانظر: ابن كثير، الباعث الحثيث، ص ٥٠. وتدريب الراوي في شرح تقريب النَّواويّ، جلال الدّين السيوطي، ص ٨٣-٨٤.

(٢) انظر: الجامع الصَّحيح (سُنن الترمذيّ) للإمام أبي عيسى الترمذيّ، مقدمة التحقيق، ج ١، ص ٦٦-٧٠.

(٣) المصدر السابق نفسه، ج ١، ص ٣.

واحداً، كعادة كبار الشيوخ في سماعهم ممّن هو أصغر منهم"[1].

و- سُنن النَّسائيّ، لأبي عبد الرحمن أحمد بن علي النَّسَائيّ (٣٠٣هـ):

النَّسائيّ نسبة إلى "نَسَا"، وهي قرية في خراسان، وموضوع سننه هو الحديث المرفوع المسند إلى النبيّ ﷺ في أبواب الأحكام، وليس فيه من الموقوف والمقطوع إلا ما ندر.

وقد استخلص النَّسائيّ من كتابه السننِ الكبرى السننَ الصغرى، وسمّاها المجتبى من السّنن. وهو كتاب متخصّص في أحاديث الأحكام، وتضمّن (٥١) كتاباً، ولا يكتفي النسائيّ بإيراد الحديث، بل يذكر الكثير من رواياته، ويعدّ من أنقى الكتب الأربعة من حيث الأسانيد، وأقلّ السنن حديثاً ضعيفاً. وبلغت أحاديث المجتبى (٥٧٦١) حديثاً[2].

ويُضاف إلى هذه الكتب السّتة موطّأ الإمام مالك بن أنس (١٧٩هـ)[3]، ومسند الإمام أحمد بن حنبل (٢٤١هـ)[4]، وقد بلغت تلك الكتب الغاية في الدقة والثقة والصّحة والتوثيق[5].

٣- تعدّد أشكال التصنيف في رواية الحديث وتدوينه:

يمكن القول إنَّ مصنّفات العلماء في الحديث جاءت على عدّة أشكال أشهرها[6]:

---

(١) المصدر السابق نفسه، مقدمة التحقيق، ج ١، ص ٨٣.

(٢) انظر: التمهيد في علوم الحديث، د. همام سعيد، ص ١٠٨-١٠٩.

(٣) انظر: الباعث الحثيث، ابن كثير، ص ٤٠-٤١.

(٤) انظر: المصدر السابق نفسه، ص ٤١-٤٢.

(٥) انظر: د. محمود الطحان، أصول التخريج ودراسة الأسانيد، مكتبة السروات، ط ٤، ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م. ص ١٠٢ – ١٠٥. وعلوم الحديث ومصطلحه، د. صبحي الصّالح، ص ١١٧-١٢٥.

(٦) انظر: تيسير مصطلح الحديث، محمود الطحان، دار القرآن، بيروت، د.ط، ١٩٧٩، ص ١٢٩-١٣٠.

أ- **الجوامع**: وهي الكتب التي تُجْمع فيها جميع الأبواب من العقائد والعبادات والمعاملات والسير والفتن، مثل الجامع الصحيح للبخاريّ (٢٥٦هـ)، وصحيح مسلم (٢٦١هـ).

ب- **المسانيد**: وهي الكتب التي تُسند فيها لكلّ صحابي الأحاديث التي رواها، مثل مسند الربيع بن حبيب (١٧٠هـ)، ومسند أبي داود الطيالسي (٢٠٢هـ)، ومسند الإمام أحمد بن حنبل (٢٤١هـ). وبَقِيّ بن مَخْلَد.

ج- **السّنن**: وهي الكتب المصنّفة على أبواب الفقه؛ لتكون مصدراً للفقهاء في استنباط الأحكام، مثل: سنن ابن ماجة (٢٧٣هـ)، وسنن أبي داود (٢٧٥هـ)، وسنن الترمذي (٢٧٩هـ) ، وسنن النّسائي (٣٠٣هـ)، وابن خُزيمة (٣١١هـ)، والحاكم (٣٢١هـ) وابن حِبَّان (٣٥٤هـ)، والدَّارَقُطنيّ (٣٨٥هـ)، والبَيْهَقيّ (٤٥٨هـ).

د- **المُسْتَدْرَكات**: وهي كلّ كتاب جمع فيه مؤلّفه الأحاديث التي استدركها على كتاب آخر ممّا فاتته على شرطه، مثل: المُسْتدرَك على الصَّحيحين، لأبي عبد الله الحاكم النيسابوريّ (٤٠٥هـ)، والاستدراكات والتتبع، لأبي الحسن علي بن عمر الدَّارَقُطنيّ (٣٨٥هـ).

هـ **المعاجم**: وهي الكتب التي ترتّب فيها الأحاديث ترتيباً ألفبائيّاً على أسماء الرواة، أو البلدان، أو القبائل، مثل: معجم الطبرانيّ (٣٦٠هـ) الكبير، والمتوسّط، والصغير.

و- **المُسْتخرَجات**: وهي الكتب التي يأتي فيها مؤلفها إلى أحاديث رواها غيره بسند معيّن، فيرويها بسند آخر، ومنها: مُسْتخرَج الإسماعيليّ على البخاريّ،

ومستخرج أبي عوانة على مسلم، ومستخرج الطوسي على الترمذي، ومستخرج محمّد بن عبد الملك على سنن أبي داود.

ز- **الأجزاء**: وهي جمع جُزْء: وهي الكتب التي تجمع الأحاديث المروية عن رجل واحد من الصّحابة، أو تجمع الأحاديث المروية في موضوع واحد كقيام الليل، أو صلاة الضحى.

٤- إسهام المصنّفات في تحمّل الحديث:

وقد أسهمت هذه المصنّفات في إقبال طلبة العلم على تعلّم الحديث وحفظه، وإتقان روايته، وشهدت أمصار الإسلام آلاف حلقات العلم المنتشرة في الحواضر العلميّة، وشاعت طرق لتحمّل الحديث وضبطه، وهي ثماني طرق[1]:

أ- **السّماع**: أن يقرأ الشَّيخ الحديث من حفظه، أو من كتاب، والحضور يسمعون لفظه، وهذه الطريقة أرفع أقسام التحمّل عند جماهير أهل العلم، وهي طريقة الرَّعيل الأول من الرواة.

ب- **القراءة على الشَّيخ**: أن يعرض الطالب على الشيخ ما يقرأه كما يعرض القرآن على المقرئ، وتكون من حفظ الطالب، أو من كتاب.

ج- **الإجازة**: وهي إذن الشَّيخ لأحد طلابه بأن يروي عنه، أو يجيز رواية بعض كتبه، أو أقواله.

---

(١) انظر: جامع الأصول من أحاديث الرسول، ابن الأثير، دار المعارف النظامية، الهند، د.ط، ١٣٢٧هـ. ج١، ص ٧٩. والباعث الحثيث، ابن كثير ص ١٠٩-١١٢. وتدريب الراوي في شرح تقريب النَّواويّ، جلال الدّين السيوطي، ص١٨١-٢١٢. وأصول الحديث، علومه ومصطلحه، محمد عجاج الخطيب، دار الفكر، بيروت، ط ٢، ١٩٨١م. ص ٢٣٣ وما بعدها.

د- **المناولة**: أن يناول الشيخ الطالب كتاباً من سماعه ويقول له: اروِ هذا عنّي، أو يملكه إياه لينسخه، ثمَّ يعيده إليه.

هـ - **المكاتبة**: أن يكتب إليه بشيء من حديثه، فإن أذن له في روايته عنه، فهو كالمناولة المقرونة بالإجازة.

و- **الإعلام**: إعلامُ الشيخ أنَّ هذا الكتابَ سماعه من فلان، من غير أنْ يأذن له في روايته عنه، فقد سوّغ الرواية بمجرد ذلك طوائف من المحدّثين والفقهاء.

ح- **الوصية**: أن يوصي بكتاب له كان يرويه لشخص، فقد ترخّص بعض السلف في رواية الموصى له بذلك الكتاب عن الموصي.

ط- **الوِجَادة**: وهي مصدر لوجدَ مُولَّد غير مسموع من العرب، وهي أن يجد حديثاً أو كتاباً بخطّ شخص بإسناده، فله أن يرويه عنه على سبيل الحكاية.

ثالثاً- نشأة علوم الحديث وازدهارها عبر العصور:

نشأت في ظلال السّنة المشَّرفة علومٌ بدأت مع نشأة الرواية ونَقْل الحديث في عهد النبيّ ﷺ، واتبع الصَّحابة والتابعون قواعد علميّة في قبول الأخبار، ثمَّ استنبط العلماء قواعد أخرى، وشروطاً للرواية. وقد تجلّت مظاهر ازدهار علوم الحديث فيما يلي:

١- خدمة العلوم الجديدة للحديث النبويّ:

وكان من أهمّ هذه العلوم التي قامت على خدمة الحديث النبويّ في جميع الجوانب[1]:

---

(١) انظر: لمحات في أصول الحديث، محمد أديب الصالح، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٣، ١٣٩٩هـ، ص ٧٩ وما بعدها.

أ- **علم مصطلح الحديث**: علم بالأصول والقواعد التي يُعرف بها أحوال السَّند والمتن.

ب- **علم رجال الحديث**: علم يكشف عن أحوال الرواة ونشأتهم، وحياتهم، وشيوخهم وتلاميذهم.

ج- **علم غريب الحديث**: علم يُعنى بتفسير ما في الحديث من ألفاظ غريبة، وخصوصاً بعد أن خالطت العُجْمة الألسنة.

د- **علم الجرح والتعديل**: علم يبحث في أحوال الرُّواة من حيث قبول رواياتهم أو ردّها، ووصف الراوي بما يقتضي قبول روايته، والاحتجاج بحديثه. وقد أحاط هذا العلمُ الحديثَ الشّريف بسياج متين من الصحة والثقة، ومحّص مادة الحديث، ونفى عنها الزّيف والتدليس؛ لأنَّ رواة الحديث يُعرضون على نقد شديد، لا يُخشى فيه أحد.

هـ - **علم عِلَل الحديث**: يجمع الأحاديث المعلولة، ويبحث عن العلّة القادحة في صحة الحديث.

و- **علم ناسخ الحديث ومنسوخه**: يبحث في الأحاديث المتعارضة، ومعرفة الناسخ والمنسوخ منها.

٢- مرحلة التصنيف المنهجيّ في علوم الحديث:

نشطتْ حركة التأليف في علوم الحديث، وظهرت المصنفات الكبرى التي جمعتْ أحاديث الرسول ﷺ مبوّبة مرتّبة، وقام عدد من العلماء الذين مهروا في تجريح الرجال

وتعديلهم، ولم يلبثوا أن جمعوا تلك المواد العلميّة في كتب موثوقة تتحدّث عن أحوال الرِّجال، وتعرّف بهم.

وابتدأت مرحلة التصنيف المنهجيّ في علوم الحديث من القرن الرابع الهجريّ، وامتدت إلى منتصف القرن السَّابع الهجريّ، وظهرت فيها معظم كتب الحديث المشهورة التي امتازت بالأصالة والمنهجية، والجدّة في التناول والمعالجة.

وكان من أوائل تلك المصنّفات:

كتاب "المُحدِّث الفاصل بين الرَّاوي والواعي"، للقاضي أبي محمّد الرَّامَهُرْمزيّ (٣٦٠هـ)، وهو أول مُصنّف في مصطلح علوم الحديث، وأشمل الكتب في علوم الحديث في عصره، لكنه لم يستوعب.

وكانت ذروة المصنّفات ما ألّفه أبو عمرو عثمان بن الصّلاح الشَّهرزوريّ نزيل دمشق (٦٤٣هـ) وهو كتابه المشهور بمقدّمة ابن الصّلاح، فهذّب فنونه، واعتنى بتصانيف الخطيب المفرّقة، فجمع شتات مقاصدها، وضمَّ إليها من غيرها نخبَ فوائد، فاجتمع في كتابه ما تفرّق في غيره، فلهذا عكف الناس عليه، فلا يحصى كم ناظم له ومختصر ومُستدرك عليه، وقد تبعه في ترتيبه مَنْ جاء بعده من المصنّفين منهم النوويّ (٦٧٦هـ)، وابن كثير (٧٧٤هـ)، والعراقيّ (٨٠٦هـ)، والبُلقيني، وابن جماعة (٧٣٣هـ)، والتبريزيّ، والطيبي، والزركشيّ (٧٩٤هـ)[1] .

(١) انظر: تدريب الراوي في شرح تقريب النَّواويّ، السيوطي، ص ٢٥-٢٦.

ومن أشهر الكتب التي صنّفت في علوم الحديث[1]:

- المُحدِّث الفاصل بين الراوي والواعي، الرَّامهرمزي (٣٦٠هـ).
- معرفة علوم الحديث، الحاكم النيسابوري (٤٠٥هـ).
- الكفاية في علم الرواية، الخطيب البغدادي (٤٦٣هـ).
- الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع، القاضي عياض اليحصبي (٥٤٤هـ).
- النهاية في غريب الحديث، ابن الأثير (٦٠٦هـ).
- علوم الحديث، ابن الصَّلاح (٦٤٣هـ).
- الباعث الحثيث، ابن كثير (٧٧٤هـ).
- تدريب الرَّاوي في شرح تقريب النواوي، جلال الدين السّيوطيّ (٩١١هـ).
- فتح المغيث في شرح ألفية الحديث، السّخاوي (٩٠٢هـ).
- قواعد التحديث، محمد جمال الدين القاسميّ (١٣٣٢هـ).

٣- جهود العلماء في الحفاظ على الحديث من خلال قواعدهم الصَّارمة:

بذل علماء الحديث جهوداً كبيرة في المحافظة على حديث رسول الله ﷺ منها[2]:

أ- **التزام الإسناد:** تشدّد العلماء في الإسناد؛ لأنَّ السند للخبر كالنسب للمرء، روي عن عبد الله بن المبارك: "الإسناد من الدِّين، ولولا الإسناد لقال مَنْ شاء ما

(١) انظر: تيسير مصطلح الحديث، محمود الطحان، ص ١٠-١٣.

(٢) انظر: أصول الحديث، علومه ومصطلحه، محمد عجاج الخطيب، ص ٤٢٨ – ٤٣٢.

شاء"[1].

وقد تميّز المسلمون بالإسناد، فلم تسبقهم إليه أمّة، ولم تلحقهم به أمّة[2].

ب-**مضاعفة النشاط العلميّ، والتثبّت في الحديث:** وتمثّل في الرّحلة في طلب الحديث، والاحتياط في روايته، وانتشار الحفّاظ في أنحاء الدولة الإسلامية لتعليمه ونشره.

ج- **تتبّع الكَذَبَة:** وذلك بمحاربة القصّاصين، وبيان أمرهم، وتحذير الناس منهم؛ إذ إنّهم أحد رجلين: ضعيف العقل، أو ضعيف الدين.

د- **بيان أحوال الرُّواة:** وذلك بتتبع حياتهم وتصرّفاتهم، وفق القواعد العلميّة لعلم الجرح والتعديل، وكان العلماء بالمرصاد لكلّ شاردة أو واردة، ولم يسمحوا لكلمة واحد دخيلة على الحديث أن تمرّ، أو أن تمتزج بالكلام الأصيل للنبيّ ﷺ[3].

ولعلّ من أشهر هؤلاء العلماء الذين كانت لهم جهود كبيرة في حفظ الحديث وصيانته الإمام عليّ بن المديني (٢٣٤هـ) شيخ البخاريّ، وقد سلك طريقة متميّزة في طلب العلم أدّت إلى تفوّقه على أقرانه وأهل عصره، وهم جهابذة الدّنيا في هذا العلم، ومن ذلك: استعانته بالكتابة؛ لتكون له عوناً على حفظ الأحاديث، وكتابته كلّ ما سمع، وسؤاله لكلّ مَنْ يرى أنّه أهل للسؤال سواء أكان المسؤول أكبر منه سنّاً أو أصغر منه، وحثّه على جمع الأبواب الحديثية، والتوسّع فيها،

---

(١) انظر: صحيح مسلم بشرح النووي، تحقيق: الشيخ خليل شيحا، مقدمة مسلم، باب بيان أنّ الإسناد من الدين، حديث رقم ٣٢، ج١، ص٤٧.

(٢) انظر: مبحث "الإسناد" الذي وضعه الشيخ خليل شيحا محقّق صحيح مسلم بشرح النووي، ج١، ص ٢٤- ٥٤.

(٣) انظر: أدب الحديث النبويّ، د. بكري شيخ أمين، ص ٤٩-٥٨.

وشدّة حرصه على مذاكرة العلم مع نفسه، ومع غيره كمذاكرته لأقرانه أحمد بن حنبل (٢٤١هـ)، ويحيى بن معين (٢٣٣هـ)[١] .

رابعاً- نشاط التأليف في السّيرة وحياة الصَّحابة:

أدت جهود الصَّحابة الكرام في تبليغ السّنة إلى نشأة الكتابة التاريخية في السّيرة والتراجم، وذلك بما رووا من أحاديث كثيرة بُثّت فيها سيرة النبيّ ﷺ، وقصص الأنبياء والرّسل، وما اتّصل بحياتهم مع النبيّ ﷺ، فأقبل التابعون على دراسة تلك السّير فاستخلصوها، وتتبّعوا دقائقها وتفاصيلها، ودوّنوها في صحائف، وكان منهم: أبان بن عثمان بن عفّان (١٠٥هـ)، وعروة بن الزبير (٩٣هـ)، وعبد الله بن أبي بكر الأنصاريّ (١٣٥هـ)، ومحمد بن شهاب الزهريّ (١٢٤هـ)، وعاصم بن عمرو (١٢٩هـ)[٢] .

ثمَّ اشتغل العلماء بدراسة الأحاديث التي رواها الصّحابة والتابعون عن سيرة النبيّ ﷺ، فألّفوا فيها مصنفات اتسمت بالمنهجية العلميّة، والأصالة الفكريّة، وقد شملت هذه المصنّفات جوانب السّيرة وما يتصل بالصّحابة من فضائل وتراجم وطبقات.

وتنوّع التصنيف في السيرة وحياة الصحابة، وتشعّبت ضروبه في المجالات التالية:

١- المغازي والسير:

ومن أوائل مَنْ صنّف فيها محمد بن إسحاق (١٥٢هـ) في كتابه "المغازي"، ثم

---

(١) انظر: الإمام الحافظ علي بن المديني، إبراهيم محمد العلي، دار القلم، دمشق، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ ١٩٩٤م. ص ٣١- ٣٨.

(٢) انظر: د.مصطفى السباعي، السيرة النبويّة دروس وعبر، ص٢٦.

تبعه ابن هشام (٢١٨ هـ) فألّف "السيرة النبويّة" ممّا رواه عن ابن إسحاق، وممّا رواه عن شيوخه، وتعقّبه بقلمه بالتحرير والاختصار والنقد، وأغفل ما رواه ابن إسحاق ممّا لم يتفق مع ذوقه العلميّ، وملكته النقديّة، فجاء كتابه من أوفى مصادر السيرة النبويّة، وأصحّها وأدقّها، ولقي من القبول ما جعل الناس ينسبون السيرة إليه، وينسون مؤلّفها الأول ابن إسحاق!

ومن أشهر مَنْ شرح السيرة النبوية: أبو القاسم عبد الرحمن السُّهيليّ (٥٨١هـ) الذي عُني بالكتاب، وتناوله على نحو جديد ونهج آخر بالتحرير والضبط والشَّرح والزيادة، فجاء كتابه "الرَّوض الأُنُف" يشهد لصاحبه بطوع الباع، وسعة الاطلاع[١].

ومن أشهر مَنْ ألّف في السيرة أيضاً ابن سعد (٢٣٠هـ) في كتابه "الطبقات الكبرى"، فقد ذكر فيه سيرة الرسول ﷺ، ثمَّ ذكر أسماء الصَّحابة والتابعين، بحسب طبقاتهم وقبائلهم وأماكنهم، ويعتبر هذا الكتاب من أوثق المصادر الأولى للسيرة، وأحفظها بذكر الصحابة والتابعين[٢].

قال النوويّ: "وطبقاتُ ابنِ سَعْد عظيمٌ كثير الفوائد، وهو ثقة لكنَّه كثير الرّواية عن الضُّعفاء، منهم شيخُه محمّد بن عمر الواقديّ لا يَنْسِبُهُ"[٣].

ثمَّ تتابعت المصنّفات في السيرة وكان من أهمّها:

دلائل النبوّة للأصبهاني، والشمائل المحمدية للترمذي، والشّفا في حقوق المصطفى

(١) انظر: السيرة النبويّة، ابن هشام، مقدّمة تحقيق: مصطفى السقا ورفيقيه، م١، ص ١١-١٢. وانظر: د.مصطفى السباعي، السيرة النبويّة دروس وعبر، ص ٢٧.

(٢) انظر: السيرة النبويّة دروس وعبر، د.مصطفى السباعي، ص ٢٨.

(٣) تدريب الراوي في شرح تقريب النَّواويّ، جلال الدّين السيوطي، ص ٣٨٠.

للقاضي عياض، وزاد المعاد لابن القيم، والمواهب اللدنية للقسطلاني، وقد شرحها الزّرقاني (١١٣٢هـ)[١].

٢- التاريخ العام وتاريخ الإسلام:

وقد ضمّت كتبُ التاريخ مادةً غزيرة عن سيرة النبيّ ﷺ، والصَّحابة الكرام بالإضافة إلى مادتها الأساسية عن وقائع الدول والممالك، والأحداث التاريخية المتصلة بالإسلام:

- تاريخ الرسل والملوك، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (٣١٠ هـ).
- الكامل في التاريخ، للإمام ابن الأثـير الجزري (٦٣٠ هـ) .
- تاريخ الإسلام، للحافظ شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي (٧٤٨ هـ).
- البداية والنهاية، للإمام عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير (٧٧٤ هـ)[٢].

٣- تراجم الصّحابة الكرام:

ارتبطت أحداث السيرة النبويّة بالصَّحابة الكرام، إذ هم جزء منها، فلا يُذكر النبيّ ﷺ إلا يُذكر جهادهم، وتُذكر وقائعهم معه في الدَّعوة، والهجرة، والمشاهد، والغزوات، وسائر أوجه الحياة.

وقد تخصّصت كتب كثيرة في تراجم الصَّحابة، وذكر سيرهم ومآثرهم، وتناولت بعض أقوالهم التي تُروى عنهم، ومن أشهرها:

- معرفة مَنْ نزل من الصَّحابة سائر البلدان، علي بن المديني (٢٣٤هـ).

---

(١) انظر: السيرة النبويّة دروس وعبر، د.مصطفى السباعي، ص ٢٩.

(٢) انظر: فضائل الصّحابة، الإمام النَّسائي، مقدمة المحقق: د.فاروق حمادة، ص ٣٤-٣٥.

- الطبقات الكبرى، محمد بن سعد (٢٣٠ هـ) . وقد مرّ الحديث عنه.

- الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبد البرّ القرطبيّ، (٤٦٣هـ)، ضَمَّن كتابه جملة من تراجم الصَّحابة، إلا أنه لم يستوعبهم، وفاته من أسمائهم الكثير، وقد ترجم لنحو (٣٦٥٠) صحابيّاً.

قال ابن الصّلاح عن "الاستيعاب":

"ومن أجلّها وأكثرها فوائد "كتاب الاستيعاب" لابن عبد البرّ لولا ما شانه به من إيراده كثيراً ممّا شجرَ بين الصَّحابة وحكاياته عن الإخباريين لا المحدّثين، وغالب على الإخباريين الإكثار والتخليط فيما يروونه"[(١)].

- أُسْد الغابة في معرفة الصَّحابة، عز الدين بن الأثير الجزري (٦٣٠ هـ)، اعتمد في كتابه هذا على ابن مَنْده (٣٩٥هـ) وأبي نعيم (٤٣٠هـ) وأبي موسى المديني، وابن عبد البر، وزاد أشياء من مطالعاته، وجملة مَنْ ترجم لهم من الصحابة (٧٥٥٤) صحابياً.

- تجريد أسماء الصَّحابة، الحافظ الذهبي (٧٤٨ هـ)، وهو تجريد لكتاب "أسْد الغابة"، وزاد أشياء أخرى من مصادر أخرى، وجملة من ترجم لهم (٨٨٦٦) صحابياً.

- الإصابة في تمييز الصَّحابة، ابن حجَر العسقلاني (٨٥٢ هـ) وكتابه هذا أجمع كتاب في ذكر أسماء الصَّحابة، إذ اطّلع على جلّ مصنفات السابقين، ونخلها واستبعد أوهامها. ويشتمل على (٩٤٧٧) ترجمة للأسماء، و (١٢٦٨) ترجمة

---

(١) انظر: مقدّمة ابن الصَّلاح، ابن الصلاح، ص ٣٠١.

للكنى، و (١٥٥٢) ترجمة للصحابيات، ومجموع التراجم فيه (١٢٢٧٩) ترجمة، وقد فاته أسماء عدد من الصَّحابة.

ويعدّ كتاب الإصابة هذا أصلاً في أسماء الصَّحابة، وقد عوَّل عليه كثير من العلماء، ولم يؤلف مثله في فنّه، وقد مكث في تأليفه نحو أربعين سنة، وكانت الكتابة فيه بالتراخي. وهو أغزرها علماً، وتحريراً وتنقيحاً.

وقد رتّب كتابه على أربعة أقسام: **الأول**: فيمن وردت صحبته بطريق الرواية عنه أو عن غيره. **الثاني**: فيمن ذكر في الصَّحابة من الأطفال. **الثالث**: فيمن ذكر في كتب رجال الصحابة من المخضرمين. **الرابع**: فيمن ذكر في الكتب على سبيل الوهم والغلط[1].

٤- فضائل الصّحابة الكرام:

تُعدّ كُتب السُّنة كصحيحي البخاريّ ومسلم أهمّ المصنّفات التي أشارت إلى فضائل صحابة النبي ﷺ، إذ تحدّثت عنهم، ونوّهت بما لهم من الفضل والمكانة بما قدّموا من جهود عظيمة في سبيل الله، وما بذلوا من أنفسٍ وأموال طاعةً لله ﷻ واستجابةً لرسوله ﷺ.

وقد اشتملت تلك الكتب على أبواب كثيرة تخصّ الصَّحابة الكرام منها:كتب المناقب، وكتب فضائل أصحاب النبي ﷺ، وكتب مناقب الأنصار، وكتب المغازي، واشتملت تلك الأبواب على مئات الأحاديث.

---

(١) انظر: الكافي في علوم الحديث، هامش الشارح: ص ٦٨٥- ٦٨٦. انظر: فضائل الصّحابة، الإمام النَّسائي، مقدمة المحقق: د. فاروق حمادة، ص ٢٥-٣٣.

وقد ألّفتْ كُتب كثيرة تستعصي على الحصر عن الصّحابة الكرام: فضائلِهم، وصفاتِهم، ومناقبهم، وأخلاقهم، وأعمالهم، وتضحياتهم، وفي ذلك آية على حبّ العلماء للصَّحابة الكرام، وتعلّقهم بهم، وعنايتهم الفائقة بدقائق حياتهم؛ لأنّهم نَقَلة الدين، وحملة الهدى للعالمين، ولو أردنا إحصاء تلك الكتب لبلغت مئات ومئات! ومن أهمّ تلك الكتب[1]:

- كتاب فضائل الصَّحابة، أحمد بن حنبل (٢٤١هـ).
- غيث السَّحابة في فضل الصَّحابة، بقي بن مخلد الأندلسيّ (٢٧٦هـ).
- فضائل الصَّحابة، الإمام النَّسائي (٣٠٣هـ).
- معرفة الصَّحابة، أبو نعيم الأصبهاني (٤٣٠هـ).
- فضائل الصَّحابة، خيثمة بن سليمان (٣٤٣هـ)،
- فضائل الخلفاء الأربعة، أبو بكر أحمد بن إسحاق النيسابوري (٣٤٢هـ).
- فضائل الصديق، خيثمة بن سليمان (٣٤٣ هـ).
- فضائل الصَّحابة ومناقبهم، الدارقطني علي بن عمر (٣٨٥هـ).
- معرفة الصَّحابة، ابن مَنْدَه محمد بن إسحاق (٣٩٠هـ).
- فضائل الصَّحابة، ابن فطيس عبد الرحمن بن محمد بن عيسى (٤٠٢هـ).
- فضائل أبي بكر الصديق، العشاري (٤٤١هـ).
- ذكر العشرة المبشرة، الزمخشريّ (٥٣٨هـ).

---

(١) انظر: فضائل الصّحابة، الإمام النَّسائي، مقدمة المحقق: د.فاروق حمادة، ص ٣٥-٣٩.

- مناقب عمر بن الخطاب، ابن الجوزي (٥٩٧هـ).

- فضائل العشرة المبشّرة، ابن الفركاح (٧٢٩هـ).

خامساً- الصّياغة العلمية للفقه، وازدهار دراساته:

أدَّت جهود الصّحابة الكرام إلى انبثاق الفقه، وتعدّد مذاهبه، وظهور نوابغه، وازدهار دراساته، وذلك بما ألقوا من الحديث، وما تركوا من أقوال واجتهادات وفُتيا، حملت الفقهاء على دراسة هذه الكنوز الثمينة بُغيةَ الوقوف على المراد من النصوص، وفقه أحكامها الشّرعية.

وقد استند فقه الصّحابة على ركائز ثلاث هي: الكتاب والسُّنة ومصاحبة الرّسول ﷺ، وهذه الركائز هي العامل الفعّال الذي كوّن العقلية الفقهية وتمّاها لديهم[1]. وهي العامل الفعّال الذي كوّن العقلية الفقهيّة لمن جاء بعدهم، وتجلّت على النحو الآتي:

١- ظهور المذاهب الفقهية[2]:

ولجَ الفقهاء باب الاجتهاد الذي فتحه الإسلام، واحتجّوا بالحديث، فأينع الفقه، وَصِيغ صياغة علميّة دقيقة، وأثمر بظهور مذاهبه وأساتذته وتلامذته:

أ- مذهب الإمام أبي حنيفة، النعمان بن ثابت (١٥٠هـ):

كانت بيئة هذا المذهب في الكوفة والعراق، وقد اعتمد على الكتاب والسّنة، كما

---

(١) انظر: مفهوم الفقه الإسلامي وتطوره، نظام الدين عبد الحميد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٩٨٤م، ص ٦٩.

(٢) انظر: علوم الحديث ومصطلحه، د. صبحي الصّالح، ٣٠٧-٣١٤، وانظر: د. عبد العزيز الدوريّ، نشأة الثقافة العربية الإسلامية، مجلة مجمع اللغة العربيّة الأردني، عمّان، السنة الأولى، العدد الأول، ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م. ص ٥٩-٦٠.

اعتمد على القياس العقليّ، وكان أبو حنيفة أبرع أهل زمانه في الفقه والرأي، وقام بمذهبه من بعده:

تلميذه القاضي أبو يوسف (١٨٢هـ)، قاضي القضاة في عهد الهادي والرَّشيد، وصاحب كتاب "الخراج". وتلميذه محمد بن الحسن الشيباني (١٨٩هـ)، وهو الذي حرّر المذهب الحنفي بكتبه الكثيرة مثل: المبسوط، والسير الكبير، والجامع الكبير، والجامع الصغير.

ويرجع الفضل إلى هؤلاء الأئمة الثلاثة في صياغة الفقه الحنفي ومصطلحاته صياغة علمية دقيقة.

ومن حملة مذهبه أبو بكر الخصاف (٢٦١هـ)، وله كتاب أحكام الوقف. وأبو جعفر الطحاوي (٣٢١هـ)، وهو أشهر أنصار المذهب في القرن الرابع الهجريّ.

ب- مذهب الإمام مالك بن أنس (١٧٩هـ):

يعتمد مذهبه على كتابه الموطأ الذي عُرضت فيه أبواب الفقه ومسائله على أساس رواية الحديث النبويّ، والآثار عن الصَّحابة والتابعين، ويقوم على التزام الكتاب والسّنة في الفتوى. ومن أشهر مَنْ تلقّى مذهبه:

تلميذه عبد الرحمن بن القاسم (١٩١هـ)، وسحنون عالم القيروان (٢٤٠هـ)، الذي ألّف فيه "المدوّنة الكبرى"، ونشره ببلاد المغرب، ويحيى بن يحيى الليثي الذي نشره بالأندلس.

ج- مذهب الإمام الشَّافعي، محمد بن إدريس (٢٠٤هـ):

كانت بيئة هذا المذهب في العراق ومصر، ويقوم على الجمع بين طريقة الحجازيين

في الاعتماد على الكتاب والسنة، وطريقة العراقيين في الاعتماد على القياس.

وقد وصلت عنده الروح العلمية الأصيلة التي سادت في مباحث الفقهاء إلى الغاية المنتظرة؛ إذ استطاع أن يضع في كتابه المسمّى "الرّسالة" علم أصول الفقه لأوّل مرّة، وفيه حرّر المناهج في استنباط الأحكام الشرعيّة من الكتاب والسنة والإجماع والقياس.

وأشهر مَنْ حمل مذهبه عنه:

البُوَيْطيّ (٢٣١هـ) الذي نشر مذهبه في أكثر الأمصار الإسلامية، والإمام أحمد بن حنبل (٢٤١هـ) وقد استقلّ بمذهب فقهيّ، والمُزَنيّ (٢٦٤هـ) وله مختصر على علم الإمام النفيس محمد بن إدريس.

د- مذهب الإمام أحمد بن حنبل (٢٤١هـ):

وبيئة هذا المذهب كانت في العراق، وكان الإمام أحمد تلميذاً للشافعي، فاستقلَّ بمذهب فقهيّ جديد يُعلي من شأن الحديث إلى أبعد غاية، وبذلك عُدَّ ممثّلاً لأهل السُّنة.

ومن أشهر أتباع مذهبه أبو القاسم الخرقي (٣٣٤هـ)، وله كتاب المختصر في الفقه.

٢- تتابع الدراسات والتصانيف في الفقه:

وقد تتابعت التآليف والمصنفات في علم أصول الفقه بعد كتاب "الرّسالة" للإمام الشافعي (٢٠٤هـ) تلك "الرّسالة" التي تعدّ أول مُصنّف في علم أصول الفقه، وقد تناقلها العلماء جيلاً بعد جيلٍ حتى وصلت إلينا، وهي رسالة أصولية جديرة بالاهتمام والعناية قراءةً وتدريساً وشرحاً.

وقد سلك مَنْ جاء بعده من أئمة السلف طريقته لا سيما مَنْ كتب منهم في علم أصول الفقه، ومنهم:

- أحمد بن حنبل (٢٤١هـ) كتب كتاباً في طاعة الرّسول الله ﷺ، وآخر في أخبار الآحاد.
- محمد بن إسماعيل البخاري (٢٥٦هـ) ضمَّن كتابه "الصَّحيح" مباحث في أخبار الآحاد، والاعتصام بالكتاب والسنة.
- ابن قتيبة (٢٧٦هـ) له: تأويل مشكل القرآن، وتأويل مختلف الحديث.
- أبو بكر الخطيب البغداديّ (٤٦٣هـ) له "الفقيه والمتفقه" الذي ضمّنه كثيراً من المباحث الأصولية.
- ابن عبد البر القرطبيّ (٤٦٣هـ)، له جامع بيان العلم وفضله، وضمّنه كثيراً من المباحث الأصولية الهامة لا سيما الجزء الثاني منه.
- ابن عبد الجبار السَّمعاني (٤٨٩هـ) له قواطع الأدلة للردّ على أبي زيد الدبوسي الحنفي في كتابه تقويم الأدلة.
- ابن قدامة المقدسي (٦٢٠هـ) له في أصول الفقه "روضة الناظر وجنة المناظر".
- ابن تيمية (٧٢٨هـ) تطرّق في كثير مما كتبه لمسائل كثيرة ومختلفة من أصول الفقه، فحرّرها أحسن تحرير وأدقه، وهي مبثوثة في مجموع الفتاوى له.
- ابن قيم الجوزية (٧٥١هـ) له في أصول الفقه كتابه الفذ "إعلام الموقعين"، كما ضمّن بعض المسائل الأصولية في كتابه "الصَّواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة".

- عبد الرحمن بن ناصر آل سعدي التميمي (١٣٧٦هـ) ألَّف رسالة في أصول الفقه طبعت ضمن مجموعة من كتبه.
- محمد الأمين الشّنقيطي (١٣٩٣هـ) أملى شرحاً على روضة الناظر لابن قدامة أصبح فيما بعد يعرف بـ"مذكرة أصول الفقه" ونثر علماً جماً من علم أصول الفقه في كتابة أضواء البيان.

والناظر في تلك المؤلفات يجدها قد قامت ببيان الأصول الفقهية السنية ونصرتها، وكشفت في الوقت نفسه زيفَ الأصول الفاسدة، وناقشتها مناقشة إنصاف وعدل فبان عَوَرُ تلك الأصول وزيفها لكل ذي نظر[1].

ومن الكتب المؤلّفة في أصول الفقه أيضاً:

- المحلّى، ابن حزم (٤٥٦هـ).
- المستصفى في علم الأصول، أبو حامد الغزاليّ (٥٠٥هـ) .
- الموافقات في أصول الشريعة، الشاطبي (٧٩٠هـ).
- البرهان في أصول الفقه، إمام الحرمين الجويني (٤٧٨هـ).
- الإحكام لأصول الأحكام، الآمديّ (٦٣١هـ).
- البحر المحيط في أصول الفقه، الزَّركشي (٧٩٤هـ).
- التحرير، ابن الهمام (٨٦١هـ) .

(١) حجية قول الصحابي عند السلف د. ترحيب بن ربيعان بن هادي الدوسري، كلية الشريعة، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة. (شبكة المعلومات الإنترنت: www.taimiah.org)

ومن أشهر المصنّفات في المذاهب الفقهيّة:

الفقه الحنفي: بدائع الصنائع، للكاساني (٥٨٧هـ).

وفتح القدير، لابن الهمام (٦٨١هـ).

والمبسوط، لشمس الدين السّرخسي (٤٩٠هـ).

الفقه المالكي: المدوّنة الكبرى، للإمام مالك (١٧٩هـ).

ومواهب الجليل شرح مختصر الخليل، للحطاب. والمنتقى شرح الموطّأ، للباجي (٤٩٤هـ).

الفقه الشافعي: الأمّ، للإمام الشافعيّ (٢٠٤هـ).

والحاوي الكبير، للماوردي. ومغني المحتاج، للخطيب الشربيني (٩٧٧هـ).

الفقه الحنبلي: المغني، لابن قدامة المقدسيّ (٦٢٠هـ).

والاختيارات الفقهية، لابن تيمية (٧٢٨هـ).

والفروع، لابن مفلح (٧٦٣هـ).

ومن المصنّفات القديمة والمعاصرة في الفقه العام:

بداية المجتهد ونهاية المقتصد، لابن رشد القرطبيّ (٥٩٥هـ). وفقه السنة، للسيد سابق. والفقه على المذاهب الأربعة، لعبد الرحمن الجزيري. والمدخل الفقهي العام، لمصطفى أحمد الزرقا (١٤٢٠هـ).

٣- التقيد بأحكام الكتاب والسّنة:

وعلى الرغم من تشعّب هذه المذاهب، وتعدّد الاجتهادات، وكثرة الاختلافات، فإنَّ أهل السُّنة يتقيّدون بأحكام القرآن الكريم بكلّ دقة، تلك الأحكام التي بيّنتها أقوالُ

الرّسول ﷺ في السنة المطهّرة، وبيّنتها أقوال الصَّحابة والتابعين، وعليها معوّل كبير في ذلك؛ لأنّهم أقرب الناس به عهداً، وأصدقهم معه بلاء، ويُرجع إلى علماء المسلمين الثقات في فهم التفاصيل والقضايا المستحدثة والمصالح المرسلة، وذلك في حدود الكتاب والسُّنة(١).

وقد كانت للصَّحابة الكرام أقوال، والمراد بقول الصحابيّ هو ما ثبت عن أحد من الصَّحابة - ولم تكن فيه مخالفة صريحة لدليل شرعيّ - من رأي أو فتوى أو فعل أو عمل اجتهادي في أمر من أمور الدين. واختلف العلماء من منـزلتها في الاحتجاج أو عدمه، وعدّها بعض العلماء حُجَّة ما لم يكن في المسألة نصّ من كتاب، أو سنّة.

أمّا السَّلف الصالح ومن تبعهم من الأئمة الأربعة فكانوا يحتجون بقول الصَّحابي مطلقاً، وهو أصل من أصولهم الفقهية(٢).

سادساً- آثار جهود الصّحابة في الثقافة الإسلاميّة:

أسهمت جهود الصّحابة الكرام في إثراء الذهنيّة الإسلامية، ورفدها بمادة ثرّة تفتح فضاءات الفكر، وتحفّز أقلام الكاتبين، وألسنة الخطباء على الإبداع والانطلاق في الآفاق الرَّحبة.

١ - الشُّهود الثقافي للصَّحابة الكرام:

فالصّحابة الكرام هم أول مَن ارتوى من معين ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ﴾(٣) وأول

---

(١) انظر: الخطوط العريضة، محبّ الدين الخطيب، ص ٥١.

(٢) انظر: حجية قول الصحابي عند السَّلف، د. ترحيب بن ربيعان بن هادي الدوسري، كلية الشريعة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة. (شبكة المعلومات الإنترنت: www.taimiah.org)

(٣) العلق، آية ١.

من تزَّود من هذا الزَّاد الذي لا ينفد، وهم الذين شهدوا وضع اللبنات الأولى لـ"دائرة المعارف الإسلاميّة" التي أسّسها محمَّد بن عبد الله ﷺ بوحي من الله، ومَدَد من هداه، تلك المعارف التي ظلَّت وستظل المصدر الأول لكل ثقافة، والمرجع الأساسي لكل علم، والمحرك العظيم لأيّ حضارة(١).

٢- تحريض العقول المسلمة على صياغة الثقافة صياغة إسلاميّة:

فالذين يتأملون حياة الصَّحابة الكرام يجدون أنّهم أوتوا ثقافة واسعة، وعلماً غزيراً، وهم من مختلف الأقوام، ولكنهم كانوا وحدة واحدة، وكياناً متلاحماً، فجاء مَنْ بعدهم وسار على هذا الهدي، فقامت للمسلمين "حضارة لم يكن بناتها ودعاتها وأساتذتها من العرب وحدهم، بصفتهم هم أول من تلقى الوحي، وإنّما شارك في ثراء هذه الحضارة الفكرية أجيال من المفكرين والعلماء والأئمة.

ووسعت بين دفاتها عقولاً، وأمماً، ومدارس، واتجاهات، وصاغت كلّ أولئك صياغة إسلامية موفقة وباهرة"(٢).

٣- صَبْغ الثقافة الإسلاميَّة بالحيوية والمرونة:

والصَّحابة الكرام في أقوالهم وأفعالهم كانوا أمثلة حيّة على السّمو العلمي في محاوراتهم واختلافاتهم وإبداء آرائهم، فأثّر ذلك فيمن جاء بعدهم من التابعين واقتدى بهم، فكانوا بناةً لثقافة علمية أصيلة "اتسمت بالحرية، والاجتهاد، والاختيار، وظل فيها بابُ الاجتهاد مُفتّحاً على مصراعيه"(٣).

---

(١) انظر: مقدمة محقّق العواصم من القواصم، ص ٦.

(٢) مقدمة محقّق العواصم من القواصم، ابن العربي، ص ٧.

(٣) المصدر السابق نفسه، ص ٨.

٤- مواكبة العلماء جهود الصَّحابة في تنقية الثقافة:

أفاد العلماء والدعاة من الصّحابة الكرام في التثبّت من رواية الأخبار، والدقة في معرفة الآثار، وحفظ الألسنة من اللغو أو الوضع أو الاختلاق.

وقد دفع ذلك العلماء والمجدّدين إلى تنقية الثقافة مما علق بها من رواسب جاهلية، واعتقادات باطلة، وخرافات وضلالات، ولا عجب أنْ تَعْلَق بالثقافة الإسلامية مثل تلك الشوائب.

"أرأيت إلى النهر العظيم، وهو يهدر في مجراه، وينساب قوياً عظيماً ليروي الظِّماء من البشر والحيوان والطير والقِفار؟

أرأيت إلى هذا المنهل العذب، وعطائه العظيم؟ كذلك نهر الثقافة الإسلامية.

ثُّم أرأيت إلى ما يعلق بهذا النهر من غثاء، ونباتات طفيلية، وجنادل وصخور ناتئة من شطآنه أو ملقاة في سيل مَدّه الهادر؟كذلك نهر الثقافة الإسلامية.

وإذا كان كلُّ نهر في حاجة إلى مَنْ يطهّر مجراه، ويعمّقه، ويزيل ما علق بمجراه، من كلِّ ما يعوق تدفّقه واندفاعه فكذلك الإسلام، وهذا هو دور المجدّدين"[1].

٥- الحفاظ على ركيزتي الثقافة الإسلامية:

أفاد العلماء من تجربة الصَّحابة الكرام في الحفاظ على ركيزتي الثقافة الإسلاميّة وهما الكتاب والسّنة، تلك التجربة التي استمرّت قرناً كاملاً، ولذلك فإنَّ "مَنْ بعدهم تَبَعٌ لهم من الأئمة الذين هم أركان الملة، ودعائم الشَّريعة، الناصحون لعباد الله، الهادون من استرشد إلى الله.

(١) مقدمة محقق العواصم من القواصم، ص ٨.

وأمَّا حُفَّاظ الدّين فهم الأئمة العلماء الناصحون لدين الله، وهم أربعة أصناف:

الصنف الأول- حفظوا أخبار رسول اللهﷺ، وهم بمنـزلة الخزَّان لأقوات المعاش.

الصنف الثاني- علماء الأصول: ذبّوا عن دين الله أهلَ العناد وأصحاب البدع، فهم شجعان الإسلام، وأبطاله المداعسون عنه في مآزق الضَّلال[1].

الصنف الثالث- قوم ضبطوا أصول العبادات، وقانون المعاملات، وميّزوا المحُلّلات من المحرّمات، وأحكموا الجراح والدّيات، وبيَّنوا معاني الأيمان والمنذورات، وفصّلوا الأحكام في الدعاوى، فهم في الدين بمنـزلة الوكلاء المتصرّفين في الأموال.

الصنف الرابع- تجرَّدوا للخدمة، ودأبوا على العبادة، واعتزلوا الخلق، وهم في الآخرة كخواص الملك في الدنيا"[2].

ولقد امتدت جهود الصَّحابة الكرام من علماء الحديث إلى التأثير الكبير في علماء العربية في نواحٍ كثيرة منها: توثيق المروي؛ إذ كان لرواة الحديث السّبق في رواية الشِّعر منذ القرن الأول، فأقبل علماء العربية كأبي عمرو بن العلاء (١٥٤هـ)، والخليل بن أحمد الفراهيدي (١٧٥هـ)، والأصمعيّ (٢١٦هـ) على جمع اللغة.

وكان الصَّحابة والتابعون يَفدون إلى الأمصار المفتوحة فيستقبلهم رجال الحديث، ويحتفون بهم؛ إذ هم أساتيذ العلم وشيوخ الحديث، وفَعَل أهلُ اللغة مثلهم، فكانوا يستقبلون الأعراب الوافدين إليهم.

---

(١) المداعسون: من دعس: المداعسة: وهي المطاعنة بالرماح. والمداعسون: أي المطاعنون والمـدافعون. انظـر: أساس البلاغة، الزمخشري، مادة (دعس)، ص ١٨٨.

(٢) العواصم من القواصم، ابن العربي، ص ١٩٨-١٩٩.

وكان الصَّحابة الكرام يرتحلون في طلب العلم، ويقطعون المسافات الواسعة فاقتدى أهل اللغة بهم في الارتحال إلى جمع العربية، ورحلوا إلى البادية بمدادهم وصُحفهم.

وأملى علماء اللغة مروياتهم كما فعل علماء الحديث، ودوّنوا حتى أبدعوا في بناء المعجم العربي، والتصنيف المنهجي، وتحقيق النصوص الأدبيّة واللغوية[1].

سابعاً– آثار جهود الصّحابة في حياتنا المعاصرة، وثقافتنا الحاضرة:

لا تفتأ آثارُ جهودِ الصّحابة الكرام تتجدّد عبر العصور كأنّها هي الأشعة السَّاطعة المنبعثة من النجوم المتلألئة التي تغمر الكون كلّه بالضياء والإشراق يوماً بعد يوم، وجيلاً بعد جيل.

وقد امتدت أنوارُ الصّحابة الكرام إلى عصرنا الرَّاهن فأضاءت ما بين الخافقين في دنيا العلم والدين والأدب، وانعكست جهودهم على أوجه الحياة المختلفة، وكان من تجلّياتها[2]:

١ – تجديد التأليف في علوم الحديث بلغة العصر:

ازداد التأليف في علوم الحديث وأصول نقده وتاريخه بلغة تلائم العصر الحديث، وتسهّل هذه العلوم على الطلبة والمهتمين، ومن هذه المؤلّفات: السنة ومكانتها في

---

(١) انظر: الحديث النبوي الشريف وأثره في الدراسات اللغوية والنحوية، د. محمد ضاري حمادي، الجمهورية العراقية، ط١، ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م. ص ٢٤٣– ٢٨٠. وعلوم الحديث ومصطلحه، د. صبحي الصّالح، ص ٣١٥-٣٢٤.

(٢) انظر: عبد الجبار سعيد: (منهجية التعامل مع السّنة النبويّة)، إسلامية المعرفة، المعهد العالميّ للفكر الإسلاميّ، س ٥، ع ١٨، ١٤٢٠هـ١٩٩٩م، ص٥٧ – ٦١، (بتصرّف).

التشريع الإسلاميّ، للدكتور مصطفى السباعي، وعلوم الحديث ومصطلحه، للدكتور صبحي الصالح، ومنهج النقد في علوم الحديث، للدكتور نور الدين عتر، وقواعد التحديث، للقاسمي، والسنة قبل التدوين، للدكتور محمد عجاج الخطيب، والفكر المنهجي عند المحدثين، للدكتور همّام سعيد.

٢- تحقيق المخطوطات والعمل على إخراجها ونشرها:

بُذلت جهود كبيرة في إحياء التراث ولا سيما المخطوطات التي تتعلّق بكتب الصّحاح والسُّنن، وكتب نَقْد الرّجال وعلوم الحديث، وقد زُوّدت بعض تلك المخطوطات بدراسات قَدّمت إفادات منهجية في التعامل مع السنة النبويّة، كالدراسة التي كتبها الدكتور همّام سعيد في تحقيقه لكتاب ابن رجب الحنبليّ (٧٥٠هـ) شرح عِلَل الترمذي.

٣- تقديم رسائل جامعية حول السُّنة النبويّة:

قامت دراسات موضوعية بجمع الأحاديث المتعلّقة بموضوع ما، وصنّفتها تبعاً لموضوعات الأحاديث، وظهر ذلك في رسائل الدراسات العليا في الجامعات العربية والإسلاميّة، كالأحاديث المتعلقة بالأطفال، والنصارى، والشهداء، والأمن الغذائيّ، والتصوير، والبيوع وغيرها.

٤- إعداد الفهارس والتصنيفات:

أسهمت الفهارس إسهاماً كبيراً في تسهيل الوصول إلى مواضع الحديث، والدلالة عليها، ومن تلك الفهارس: المعجم المفهرس لألفاظ الحديث الذي ألّفه جمع من المستشرقين، ومشروع موسوعة الحديث النبويّ الذي تبنته جمعية الدراسات والبحوث

الإسلامية في الأردن، وغيرها من الفهارس التي يصعب حصرها.

٥- الاستعانة بالبرمجيات الحاسوبيّة:

والبرمجيات خدمة جديدة في العالم المعاصر، أفاد القائمون على السّنة المشرّفة من تقنيتها إفادةً جليلة، إذ يسّرت الوصول إلى مواطن الحديث في كتب السّنة، والحصول على المعلومات المتعلّقة بها إسناداً ورجالاً، وشرحاً وبياناً، ومن أشهر هذه البرامج: موسوعة الحديث النبويّ، والموسوعة الذهبيّة، وبرامج أخرى تضمّ آلاف الكتب في السُّنة النبوية.

٦- عقد المؤتمرات والندوات الخاصة بالسّنة النبوية:

وهي مؤتمرات وندوات تعقد على الصعيد المحلّي والإقليمي والدّولي، وتقوم بالتعريف بالسنة النبويّة، ودراسة منهجية التعامل معها، وكيفية إعمالها في واقع الحياة اليوميّة للإنسان المعاصر، وتتضمن هذه الندوات مجموعة من البحوث وملخّصات الكتب، مثل ملخّص كتاب الشّيخ محمد الغزالي: "السنة النبويّة بين أهل الفقه وأهل الحديث"، وبحث د. يوسف القرضاوي: "كيف نتعامل مع السنة، معالم وضوابط"، وبحث د. محمد سعيد رمضان البوطي: "السنة مصدراً للتشريع ومنهج الاحتجاج بها".

كانت تلك التجلّيات في مجال السّنة النبوية، أمَّا فيما يتعلّق بالصَّحابة الكرام فقد احتفى بهم الأساتذة والأدباء وطلبة العلم أيّما احتفاء، وقدّروا ما بذلوا من جهود عظيمة في تبليغ كتاب الله ﷻ، وسنّة النبيّ ﷺ، وما بَعْثوا من همم، وما أيقظوا من عزائم في الأجيال المتعاقبة؛ لتكون كلمةُ الله هي العليا، ولتظلّ للمسلمين السّيادة والرّيادة.

ومن مظاهر هذا الاحتفاء:

١- إكثار العلماء والدّعاة من التأليف في السّيرة وحياة الصَّحابة:

أقبل علماء الشريعة والباحثون المتخصّصون والدعاة العاملون على التصنيف في السيرة وحياة الصّحابة، وإذاعة تلك الكتب الدقيقة الموثوقة بين الناس وطلبة العلم، ورَفْد المكتبات بها، ومن أبرز المصنّفات: نُور اليقين من كلام سيّد المرسلين للخضري، وحياة الصَّحابة لمحمد يوسف الكاندهلوي، وفقه السيرة لمحمد الغزالي، وفقه السيرة لمحمد سعيد رمضان البوطي، والسيرة النبوية لمحمد أبو شهبة، والسيرة النبويّة الصَّحيحة لأكرم ضياء العمري، وصحيح السيرة لإبراهيم العلي، والسيرة النبوية في ضوء المصادر الأصليّة لمهدي رزق الله، والرَّحيق المختوم لصفي الرحمن المباركفوري.

٢- الكتابة الإبداعية عن حياة الصَّحابة بأقلام الأدباء:

تناول عددٌ من الأدباء حياة الصّحابة الكرام بأقلامهم البليغة، وأساليبهم الرَّفيعة، فجاءت مصنّفاتهم من أروع ما كُتب في العصور، وأجمل ما خُطَّ في السُّطور، وكأنَّ "هاروتَ" ينفثُ فيها سِحْراً، وكأنّما هي قوالب من الشَّهد المصفَّى، لا تَرْشُفُ منها رَشْفة حتى تستحثّك الأخرى، قد تضوّعت بروعة العبارة، وحرارة العاطفة، والتصوير الأخّاذ، والأسلوب القصصيّ الرائع.

ومن أبرز المصنّفين ومصنّفاتهم:

- عبد الحميد جودت السَّحّار: محمّد رسول الله والذين معه.

- خالد محمد خالد: رجال حول الرّسول ﷺ، وجاء أبو بكر، وبين يدي عمر، ووداعاً

عثمان، وفي رحاب عليّ.

- العقاد: عبقرية الصّدّيق، وعبقرية عمر، وعبقرية عثمان، وعبقرية الإمام عليّ، وعبقرية خالد.

- أحمد محرّم: الملحمة الإسلامية، وهي ملحمة شعرية طويلة في سيرة النبيّﷺ، وحياة أصحابه الكرام.

- عائشة عبد الرحمن: نساء النبيّ ﷺ، وبنات النبيّ ﷺ.

- عبد الرَّحمن رأفت الباشا: صُور من حياة الصَّحابة، واشتمل على سيرة خمسة وستين صحابيّاً.

٣- الاهتمام الإعلاميّ بالصَّحابة الكرام:

حظي الصّحابة الكرام باهتمام إعلاميّ كبير، كان ثمرة لجهود العاملين في حقل الإعلام الإسلاميّ، ومن مظاهر ذلك:

أ- البرامج الدينيّة في دور الإذاعة والتلفزة، وبرامج الفضائيات العربيّة والإسلاميّة.

ب- الأشرطة التسجيليّة، والأقراص المدمجة.

ج- مواقع السيرة وحياة الصَّحابة على شبكة المعلومات (الإنترنت)، مثل:

- الصّحابة: www.al-sahabah.com

- الصّحابة: www.shaabah.jeeran.com

- طريق الصّحابة: www.sahabaway.com

د- المسابقات العلميّة السنويّة مثل: "جائزة نايف بن عبد العزيز آل سعود

العالميّة للسّنة النبويّة والدّراسات الإسلاميّة المعاصرة".

هـ - قيام جمعيات تعنى بالحديث الشّريف مثل: جمعية المحافظة على الحديث النبويّ في الأردن.

٤ - تعبير أهل السُّنة عن صلتهم الوثيقة بالصّحابة الكرام:

أُشربتْ قلوب أهل السّنة حُبّ الصّحابة الكرام، وتقديرهم، والتعلّق بهم، حتى صار ذلك الحبُّ والتقدير والتعلّق ثقافةً راسخة عندهم في هذا العصر، وبدت مظاهرها فيما يلي:

أ- تسمية عدد كبير من المدن والقرى والأحياء والشَّوارع بأسماء الصَّحابة الكرام، مثل بلدة ضرار نسبة للصّحابي ضرار بن الأزور ﷺ، وغور أبي عبيدة نسبة للصَّحابي أبي عبيدة عامر بن الجراح ﷺ، وبلدية الحارث نسبة للصَّحابي الحارث بن عُمير الأزديّ ﷺ، وغير ذلك مما يستعصي على الإحصاء.

ب- تسمية آلاف المساجد في العالم شرقِه وغربِه بأسماء الصَّحابة الكرام تقديراً لهم وإعظاماً.

ج- تسمية عشرات الألوف من الأبناء والبنات بأسماء الصّحابة الكرام تقديراً لجهودهم وتضحياتهم، وتفاؤلاً بأن يسير هؤلاء البنون والبنات على نهجهم وهَدْيهم.

الفصل الثالث

واجب الأمّة نحو الصّحابة الكرام

ما بَرِحَ الصَّحابة الكرام عاكفين على نهج نبيّهم محمّد ﷺ، متحمّلين سُنّته، مُبلّغين هَدْيه وطريقته، حتى أتاهم اليقين، وحتى لم يبقَ فيهم عِرْقٌ ينبض، ولا عين تطرف، ولكنّهم وإنْ قضَوا فهم أحياء:

- أحياء بالآيات القرآنيّة الخالدة التي تُتلى، وتذكرُ سيرتهم العَطِرة.
- أحياء بتشرّفهم بصحبة النبيّ ﷺ، وحفظ سُنته.
- أحياء بالأحاديث التي رَووها، وحملتْ أسانيدُها أسماءهم.
- أحياء بالشّهادة التي نالها بعضُهم في ساحات الجهاد والقتال.
- أحياء بالرسالة الخاتمة التي فتحوا بها العالم في مدّة وجيزة، حتى غدا الإسلام مِلْءَ البرّ والبحر، ومِلْءَ السَّمع والبصر.
- أحياء بتعلّق الأمّة بهم، وحلولهم في أفئدتها وذاكرتها ووعيها.

وإنَّ لهؤلاء الصّحابة الأجلاّء الأحياء أعظمَ الواجب وأتمّه على هذه الأمّة التي عمَّها نوالُهم، وزانها هَدْيهم، وأنبتتها نباتاً حسناً جهودُهم وتضحياتُهم، خاصة في هذا الزَّمن المعاصر الذي شهد طوفاناً هائلاً في المذاهب الهدّامة، وانغماساً كبيراً في الرَّذيلة والجريمة، وانفصاماً نكداً بين الفكر والسّلوك.

كما شهد خروج المنافقين من جُحورهم تتزعّمُهم رؤوس ولِحَى وعمائم مَرَدتْ على النفاق، وتخرّجت في مدرسة ابن أبي سَلول، وابن سَبأ، وأبي لؤلؤة المجوسيّ، عليهم لعائن الله وعلى أشياعهم في طول الزَّمان وعرضه.

المبحث الأوّل

الواجب المعرفيّ

لعلّ من أوجب ما على الأمّة للصّحابة الكرام أن تعرفَهم حقَّ المعرفة، وتُزيل عن أبصارها غشاوة الجهالة، وغمامة الرّيبة، فلا ينبغي أن يُجْهَل مَنْ كان في مكانةٍ كمكانتهم، ولا يُرتاب في فِعالِ مَنْ كان في صفاء سرائرهم وسيرتهم، وهم أشهر من نار على علم، وخير مَنْ تسعى به قَدم.

والواجب المعرفيّ نحوهم يتفرّع إلى واجبات تفصيليّة ثلاثة هي: مدارسة حياتهم وسيرهم، والعناية بأدبهم وبيانهم، والتصدّي للأقلام الحاقدة، والألسنة المفترية.

أولاً- مدارسة حياتهم وسيرهم:

لا بدَّ من الإقبال على مذاكرة أعمالهم، والاطلاع على أحوالهم، ومدارسة سيرهم دراسةَ عمل واقتداء، ودراسةَ تعرّفٍ دقيق لكلّ ما تعرّضوا له من مواقف وأحداث، والوقوف على تصرّفهم إزاءها، إذ إنَّ سيرتهم تمثّل مرحلة زاخرة بمعاني الخير، فهي فترة تنـزّل فيوضات الله ﷻ ورحماته وأنواره على البشرية كلّها، وهي تمثّل التطبيق الأول الصَّحيح للإسلام في حياة الناس[1].

وقد كان السّلف الصالح أحرص الناس على النظر في آثار الصَّحابة والتابعين، فقد "قيل لابن المبارك: إذا أنت صلّيتَ، لمَ لا تجلس معنا؟ قال: أجلسُ مع الصَّحابة والتابعين، أنظرُ في كتبهم وآثارهم، فما أصنعُ معكم؟ أنتم تغتابون الناس"[2].

---

(١) انظر: زاد على الطريق، مصطفى مشهور، دار الأرقم، عمان، ١٤٠٥هـ ١٩٨٤م. ص ٧٢ .

(٢) سير أعلام النبلاء، الذهبي، ج٨، ص ٣٩٨.

ولا بدَّ أن يضع علماء الأمّة خطّة عمل متكاملة لمدارسة سيرهم في مختلف الأشكال:

١- مدارسة فرديّة:

تتمثّل في مطالعة كتب السيرة العامة، وكُتب سيرهم الخاصة، وذلك لإثراء الحياة المعاصرة بمعارفها، ومنها:

- تهذيب السَّيرة النبوية لابن هشام، تهذيب عبد السَّلام محمد هارون.
- كتاب فضائل الصَّحابة، أحمد بن حنبل.
- أسْد الغابة في معرفة الصَّحابة، ابن الأثير.
- الإصابة في تمييز الصَّحابة، ابن حَجَر العسقلانيّ.
- السيرة النبويّة الصَّحيحة، أكرم ضياء العمري.
- فقه السيرة النبويّة، منير الغضبان.
- صُور من حياة الصَّحابة، عبد الرحمن رأفت الباشا.

٢- مدارسة جماعيّة مع الأهل والأولاد في البيت، ومع الأصدقاء في المجالس والمنتديات، وفي المكتبات، وعلى صفحات شبكة المعلومات (الإنترنت).

٣- مدارسة علميّة منهجيّة في المدارس والمعاهد والجامعات، وذلك بتدريس سيرهم في موادّ متخصّصة، وتقديم تلك الموادّ بأحسن الأساليب التربويّة، وأحدث الوسائل التعليميّة.

٤- مدارسة ميدانيّة بتسيير رحلات علميّة للأماكن التي عاش فيها الصّحابة الكرام، وشهدت جهادهم وفتوحاتهم: في مكة والمدينة، واليمن والحبشة، والشَّام

والعراق، ومصر وإفريقيا، والوقوف على ساحات بطولاتهم في بدر، وأحد، والخندق، ومؤتة، والقادسية، واليرموك وغيرها.

وعجباً لَمَنْ يدعُ سيرهم وقصصهم وقِبْلتهم، ويولّي وجهه شطر الشَّرق والغرب، ويُكبّ على مطالعة سير أخناتون، وأفلاطون، ونابليون، وابن غوريون، وإذا سُئل عن أحدٍ من أصحاب النبيّ ﷺ قال: ها ها لا أدري!

٥- مدارسة للحديث الشَّريف الذي رواه الصّحابة الكرام، والحرص على تعلّمه من الصّغر، والإفادة من طرق تحمّله وضبطه المتراكمة عبر العصور، كما نصّ على ذلك علماء الحديث، وبيّنوا أنّه "ينبغي إسماع الوِلْدان الحديث النبويّ، والعادة المطردة في أهل هذه الأعصار وما قبلها بمدد متطاولة: أنَّ الصغير يُكتب له حضور إلى تمام خمس سنين من عمره، ثمَّ بعد ذلك يسمّى سماعاً"[١].

ولا بدّ من حمل الطلبة على مراعاة آداب مدارسة الحديث من إخلاص النية لله ﷻ، والرحلة في طلب العلم، والعمل بفضائل الأحاديث، وسماع الكتب المفيدة من المسانيد والسّنن وغيرها[٢]. وذلك لأنّ "علم الحديث علم شريف يناسب مكارم الأخلاق، ومحاسن الشّيم، وهو من علوم الآخرة، مَنْ حُرِمَه حُرِمَ خيراً عظيماً، ومن رُزِقَه نال فضلاً جزيلاً"[٣].

---

(١) ابن كثير، الباعث الحثيث، ص ١٠٨.

(٢) المصدر السابق نفسه، ص١٥٠-١٥٢.

(٣) تدريب الراوي، جلال الدّين السيوطي، ص ٢٤٥.

ثانياً– العناية بأدبهم وبيانهم:

كان الصّحابة الكرام أهل أدب رفيع، وبيان بليغ، ومنطق قويم قد استقوه ذلك كلّه من القرآن الكريم وِرْدهم الأول، فامتلأت بهِ نفوسهُم، وأُشربت حبَّه قلوبهم، فصقلَ التمرّسُ به ترتيلاً وحفظاً أذواقَهم بنظمه المُعجز، وأدائه المُتميّز، كما استقوه من الحديث النبويّ وِرْدهم الثاني أعذب البيان، والسّمت المميّز في البلاغ(1).

وقد وجب على الباحثين والأدباء من أبناء هذه الأمّة أن يعتنوا بأدب الصّحابة الكرام، ويَقْدُروا له قَدْرَه، ويكشفوا عن جماله، ويقدّموا نصوصه للناشئة؛ ليتملّوا عناصر النبوغ والإبداع فيها.

ومن محاور الاعتناء بأدبهم وبيانهم:

١ – العناية بالعربيّة، وحبّها وإجلالها، والتحدّث بها:

فاللغة العربيّة هي لغة الذّكر الحكيم حفظتْ كتابَ الله لفظاً وغاية، وهي البحر في أحشائها الدّرُ كامن، وهي لغة سنّة النبيّ ﷺ، ولغة الخلفاء الرَّاشدين المهديّين، ولغة الصَّحابة أجمعين، فهي لذلك من آكد السُّنن الفعليّة.

وقد كان الصّحابة ﷺ إذا وقع لأحدهم مسألة في صيغة اللفظ، وإن كان لا يُخلُّ بالمعنى، أبدى ذلك بقوله: "إخاله كذا"، أو "أظنّ كذا"، وذلك تحرّياً للصدق في النقل، ومحافظة على بركة ذلك اللفظ العربيّ البيانيّ الخاصّ، وحافظ التابعون على منهج الصّحابة الكرام في حفظ ألفاظ الحديث، وسار أتباع التابعين والرُّواة من المحدّثين على

---

(١) انظر: عبقرية محمّد، العقّاد، (المجموعة الكاملة لمؤلفات العقاد) دار الكتاب اللبناني، بيروت، (د.ت). ص٧٠- ٧٨.

هذا المنهج المحكم حتى ضُبط الحديث ضبطاً متقناً.

والحديث الشَّريف الذي رواه الصّحابة ﷺ، وجرى على شفاههم تطبيقٌ متفوّق لبلاغة القرآن وفصاحته ونسقه وبيانه، وله قدرةٌ عالية على بعث الابتكار، والاستجابة لمطالب الحياة، ومثارات المقام(١). والحديث الشَّريف الذي رواه الصّحابةﷺ كان سبباً في وجود كثير من العلوم التي أقبل أصحابها على النهل من منابع الحديث، فأهلُ اللغة أخذوا يدرسونها، ويستفيدون من ألفاظها وتراكيبها وأخيلتها وصورها، وأربابُ البلاغة والأدب يترسّمون أثرها فيها أحدثت من معانٍ بليغة، وتعابير فصيحة، وجمل خالدة، ولذلك كان الحديث ثروة في عالم الأدب والعلم تفخر بها الإنسانية على مدى الزمن(٢).

والعناية الفائقة بلغة الحديث الذي رواه الصّحابة الكرام، وحرصوا على ألفاظه وبيانه تجعل هذه اللغة شائعةً على ألسنة الناطقين بالضَّاد، سائغةً في تعابيرهم، مُحاكيةً ما كانوا عليه من نطق سليم، واهتمام بالغ في تعلّم العربيّة وتعليمها.

٢- دراسة أشعارهم في ميادين الجهاد والاستشهاد:

فقد آثر الصّحابة الكرام أن يعبّروا عمّا يجيش في نفوسهم بأعذب الكلم وهو الشعر، لما رأوا من إباحة النبيّ ﷺ لإنشاده وسماعه، فلم يقف في وجه الشعراء، ولم يصمّ

(١) انظر: منهج السياق في فهم النص، د. عبد الرحمن بودرع، ص ١٣٢ – ١٣٦.

وانظر: د. ملفي الشهري، (لحن الرواة وأثره في الحديث النبويّ)، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، مجلس النشر العلمي، جامعة الكويت، س ٢١، ع ٦٤، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م، ص ١٥٠- ١٥٣.

(٢) انظر: أدب الحديث النبويّ، د. بكري شيخ أمين، ص ١٠٤.

أذنيه عن سماعه، بل كان يدركُ أنَّ الشعرَ فخرُ العرب، وأنَّ جيّدَه يستهوي الناس ويستميلهم، وأنّه سلاح من أسلحتهم، وأنّ العربيّ يتوارى خجلاً إذا رُمي ببيت محكم مُسدّد بليغ[1].

وكان النبيّ ﷺ يترنّم بالنشيد، ويسمع حُداءَهم، ومن ذلك إجابة النبيّ ﷺ لهم وهم يقولون:

نحـــنُ الـــذين بايعـــوا محمّـــدا عـــلى الإســـلام مـــا بقينـــا أبـــدا

بقوله: "اللهم إنّه لا خير إلا خير الآخرة".

وارتجازه وهو ينقل التراب في يوم الأحزاب بكلمات ابن رواحة، ويمدّ صوته بآخرها:

اللهـــمّ لـــولا أنـــت مـــا اهتـــدينا ولا تَصدّقنـــــــــا ولا صَلّينـــــــــــا!

وسماعه حداء عامر بن الأكوع [2] رضي الله عنه.

ولذلك كان عددٌ من صحابة رسول الله ﷺ يُقبلون على ميادين الجهاد والاستشهاد، وعلى ألسنتهم شعرٌ يُنشَد، وفي حناجرهم هتافٌ من النغم الموزون المقفّى؛ ممّا يدلّ على قيمة الشعر وأثره في بناء المجتمع المنشود بالكلمة البيانية الهادفة، ويدلّ على أنَّ للشعر رسالةً سامية تمنع قائليه من التكسّب به، أو تمريغه في الوحل، أو القذف به في مهاوي الفُحشِ والرذيلة، أو سَوْقه قصائد استجداء وتطفّل على موائد الطُّغاة

(١) المصدر السابق نفسه، ص ١١٠.

(٢) انظر: صحيح السيرة النبويّة، إبراهيم العلي، ص ٢٦٦، ص ٣٣٩-٣٤٠.

والمتكبرين[1].

وكان الصّحابة الكرام يتمثّلون بالشعر ويروونه ويحفظونه، ويدعون إلى تمييز حسنه من قبيحه، روي عن عائشة رضي الله عنها أنّها كانت تقول: "الشعرُ منه حسَنٌ ومنه قبيح، خُذْ بالحسن ودَع القبيح، ولقد رويتُ من شعر كعب بن مالك أشعاراً منها القصيدةُ فيها أربعون بيتاً، ودون ذلك"[2].

وقد اشتهر عدد من الصّحابة الكرام بالشعر منهم: حسّان بن ثابت، وكعب بن مالك، وعبد الله بن رواحة، وكعب بن زهير، وكان كثير منهم يعالجون الشّعر، ويروونه، ويتمثّلون به في مواقف مختلفة، وفي طليعتهم الخلفاء الراشدون: أبو بكر وعُمر وعليّ عليهم رضوان الله أجمعين.

وقد أحصى أحدُ الباحثين أسماء (١٩٦) شاعراً من شعراء الدَّعوة إلى الإسلام في عهد النبوة[3].

٣- دراسة خُطبهم ومواعظهم:

كان الصّحابة الكرام في الذروة من الفصاحة والبلاغة والخطابة؛ إذ سرى في

---

(١) انظر: الشعر والشعراء في الكتاب والسنّة، يوسف العظم، دار الفرقان، عمان ط١، ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م.ص٩٠-٩١. ٦٥.

(٢) الأدب المفرد، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (٢٥٦هـ) بتخريجات وتعليقات محمد ناصر الدين الألباني، دار الدليل الأثرية، الجبيل – السعودية، مؤسسة الريان – بيروت، ط٣، ١٤٢٧هـ ٢٠٠٦م، باب الشعر حسن كحسن الكلام ومنه القبيح، حديث ٨٦٦، ص ٣١١.

(٣) انظر: المهندس حاتم غنيم، (شعراء الدعوة الإسلامية في عهد الرسول ﷺ)، مجلة مجمع اللغة العربيّة الأردني، عمّان، السنة الخامسة، العدد المزدوج ١٥-١٦، ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م. ص٢٩-٥٠.

نفوسهم بيانُ القرآن بترهيبه وترغيبه، وبيانُ النبيّ ﷺ بخطبه ومواعظه، وتسرّب هذا البيان إلى أجزاء نفوسهم، وأخذ بمجامع قلوبهم، فنبغ عدد منهم في الخطابة والوعظ، وتصدّرهم الخلفاء الراشدون في خطابة الناس في الجمع والأعياد، ووَعْظِ الجيوش الفاتحة.

فأبو بكر ﷺكان في خطابته يلهج بكلم فصيح واضح الدلالة، وكان يتخيّر لفظه، ولم يكن يلهج بسجع، ومن أمثلة ذلك قوله: "أيّها الناسُ، إنّما أنا مثلكم، وإنّي لا أدري لعلّكم ستكلفونني ما كان رسولُ الله ﷺ يطيق، إنَّ الله اصطفى محمّداً على العالمين، وعَصَمه من الآفات، وإنّما أنا متّبع ولستُ بمبتدع، فإن استقمتُ فتابعوني، وإنْ زغتُ فقوّموني"[1].

وعمرُ ﷺكان في بيانه في مقدار عقله قوّةً وسداداً، إذ كان في مرتبة رفيعة من البلاغة والفصاحة، حتى قالوا إنّه كان يستطيع أن يخرج الضَّاد من أيّ شِدْقيه شاء[2]. وعثمانُ ﷺ كان إذا خطب ملأ النفوس بمواعظه، وشحنها بتأثير بيانه[3]. وعليّ ﷺ كانت لديه قدرة خطابية تخلب ألباب سامعيه، وتؤثّر في نفوسهم تأثيراً عميقاً[4].

وكان الخطباء والشعراء من الصّحابة الكرام يردّون عل خطباء الوفود وشعرائهم، كوفد بني تميم الذين قدَّموا "عطارد بن حاجب" فتكلّم وخطب، فأمر

---

(١) تاريخ الطبري، (تاريخ الأمم والملوك)، أبو جعفر محمد بن جرير الطبريّ (٣١٠هـ)، م٢، ص ٢٤٤-٢٤٥.

(٢) المصدر السابق نفسه، م٢، ص ٥٧٢-٥٧٥.

(٣) المصدر السابق نفسه، م٢، ص ٦٩٣-٧١٤.

(٤) انظر: العصر الإسلامي، شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، ط ٧، د.ت، ص ١٢١ – ١٢٩.

رسولُ الله ﷺ "ثابت بن قيس بن شماس" ﷺ فأجابهم، ثمَّ قام "الزّبرقان بن بدر" شاعر بني تميم فأنشد مفاخراً، فقام شاعر الإسلام "حسّان بن ثابت" ﷺ فأجابه على البديهة:

إنَّ الذوائبَ من فهرٍ وإخوتهم   قد بيّنوا سُنّةً للناسِ تُتّبعُ[1]!

ثالثاً- التصدّي للأقلام الحاقدة، والألسنة المفترية:

تعرّض الصّحابة الكرام أصحابُ المحلّ الأسنى من رضوان الله ﷻ، وحظّ رسول الله ﷺ من الأجيال وخاصّته، تعرّضوا للإساءة والتجريح، والبغضاء والافتراء، وخاصة في هذا العصر الذي قَويتْ فيه شوكةُ الشَّرق الوثني، والغرب الصّليبي، واستأسد عملاؤهم في ديار العروبة والإسلام، واستبسلوا في تشويه الدّين، وطعن حُماته، ممّا أوجب على الأمّة أن تَهُبّ من رقدتها؛ لتنافح عن دينها وحَمَلته وحُمَاته، وذلك في الجوانب الآتية:

١- النفير العلميّ العام:

إذ يجب على الأمّة أنْ تستنفر جيش علمائها ومفكريها وأدبائها وباحثيها للتصدي للحملات المسعورة على أصحاب رسول الله ﷺ، وذلك استجابة لنهي النبيّ ﷺ عن سبّ أصحابه وأنصاره، وحوارييه وأحبابه:

عن أبى سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسولُ الله ﷺ: "لا تسبّوا أحداً من أصحابي، لو أنَّ أحدَكم أنفقَ

(١) انظر: زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن قيّم الجوزية (٧٥١هـ)، راجعه وقدّم له: طه عبد الرؤوف طه،ج٢، ص ٢٢٥.

مثلَ أحدٍ ذهباً ما أدركَ مُدَّ أحدِهم ولا نَصيفَه"[1].

قال النَّوويّ "وفضيلة الصُّحبة ولو لحظة لا يوازيها عمل، ولا تُنال درجتها بشيء، والفضائل لا تؤخذ بقياس"[2]. فانظر إلى عظيم أجر الصَّحابة مهما كانت قليلة المقدار، فهي عند الله سبحانه أكبر من أجر إنفاق غيرهم، ولو كان بمثل جبل أحد ذهباً، ولك أن تتصوّر كم طناً من الذهب يساوي جبل أحد الشَّامخ الضَّخم! وقد وردت أحاديث كثيرة في النهي عن سبّ الصَّحابة [3] ﷺ.

٢- سَلّ الأقلام لإلجام الكَذَبة والمفترين:

فلتشرع الأقلام للذود عن حياض الصّحابة ﷺ، والردّ على التخرّصات والشُّبهات التي يثيرها الذين في قلوبهم مرض، والذين أعماهم الحقد، فلا تهدأ ألسنتهم الكاذبة عن لَعْن خيري الناس، وشيخي الإسلام، وصاحبي الحبيب المصطفى ﷺ: أبي بكر وعُمَر، رضوان الله عليهما ورحماته وبركاته، وعلى ابنتيهما حَفْصة الطَّاهرة، وعائشة الصّدّيقة، وعلى الصَّحابة كلّهم أجمعين عددَ الحصى وذرات التراب، وعددَ ما انهلّ من ماء السَّحاب.

---

(١) رواه مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب تحريم سبّ الصحابة،حديث رقم ٦٤٣٥، ج ١٥، ص ٣٠٩.
والمُدّ في الأصل: ربع الصَّاع، وإنّما قدَّره به؛ لأنّه أقلّ ما كانوا يتصدّقون به في العادة، وقيل: إنَّ أصل المُدّ مُقدّرٌ بأن يمدّ الرّجل يديه فيملأ كفّيه طعاماً. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، باب الميم مع الدال، ج ٤، ص ٣٠٨. والنصيف: نصف المد، وهو النّصف كالعُشير في العُشْر. النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، باب النون مع الصاد، ج ٥، ص ٦٥.

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي، تحقيق خليل شيحا، ج١٥، ص٣١٠.

(٣) انظر: كتاب فضائل الصَّحابة، الإمام أحمد بن حنبل، (٢٤١هـ) حقّقه وخرّج أحاديثه: وصيّ الله بن محمّد عبّاس، ج ١، ص ٤٨- ٦٤.

ولا سَلِمَتْ شفةٌ من السّرطان الوبيل شتَمتْ أصحابَ محمّد ﷺ، ولا سَلِمَ قلمٌ من الشّلل والتكسير طعَنَ في أصحاب محمّد ﷺ، ولا نامتْ أعين الجبناء على فُرُش المسرّة والهناء، ولا سَلِمتْ من الذّلّة والعار نفسٌ مجّدتْ لاعني أصحاب محمّد ﷺ.

ويا للعجب، على الكبار تطاول الأقزام، وعلى البحار الزّاخرة تباهت الغدران الآسنة، وعلى النجوم الوضّاءة تفاخر العُميان والحُولان!

ولا بدَّ أنْ تُشهر الأقلام في وجوه الكَذَبة، وصدور الحَسَدة؛ لتطفئ أحقاد أهل البدع والضّلال، تلك الأحقاد التي يُرضعونها أجيالهم الناشئة على تعاقب الأزمان، فتنشأ على طعن الإسلام، ولعن الصّحابة الكرام. وهؤلاء الكَذبة المفترون امتداد للأيدي الخبيثة التي أنشبت الخلاف بين الصّحابة ﷺ، وهي اليوم تنشبه بين المسلمين مُسخَّرة لتحقيق أهدافها ما تملكُ من مال وفير، وأبواق إعلامية ضخمة، ودعم غربيّ استعماريّ غير محدود.

"ولمّا كان أصحابُ رسول الله ﷺ هم قدوتنا في ديننا، وهم حملة الكتاب الإلهي، والسنة المحمدية، فإنَّ من حقّ هذه الأمانات على أمثالنا أنْ ندرأ عن سيرة حَفَظَتِها الأولين كلَّ ما أُلصق بهم من إفك ظلماً وعدواناً؛ لتكون صورتهم التي تُعرض على أنظار الناس هي الصورة النقية الصَّادقة التي كانوا عليها، فَتَحُسن القدوة بهم، وتطمئن النفوس إلى الخير الذي ساقه الله للبشر على أيديهم.

وقد اعتبر في التشريع الإسلامي أنَّ الطعنَ فيهم طعنٌ في الدين الذي هم رواته، وتشويهَ سيرتهم تشويهٌ للأمانة التي حملوها، وتشكيكٌ في جميع الأسس التي قام عليها كيانُ التشريع في هذه الملة الحنيفية السَّمحة، وأولُ نتائجه حرمانُ شباب الجيل، وكلّ

جيل بعده، من القدوة الصَّالحة التي مَنَّ الله بها على المسلمين؛ ليتأسوا بها، ويواصلوا حمل أمانات الإسلام على آثارها.

ولا يكون ذلك إلا إذا ألّموا بحسناتهم، وعرفوا كريمَ سجاياهم، وأدركوا أنَّ الذين شوَّهوا تلك الحسنات، وصوَّروا تلك السَّجايا بغير صورتها، إنَّما أرادوا أنْ يُسيئوا إلى الإسلام نفسه بالإساءة إلى أهله الأوَّلين.

وقد آن أنْ ننتبه من هذه الغفلة، فنعرف لسلفنا أقدارَهم؛ لنسير في حاضرنا على هُدى ونور من سيرتهم الصَّحيحة، وسريرتهم النقية الطاهرة"[1].

٣- مواصلة الجهود الناجحة في الدّفاع عن الصّحابة ﭫ:

لم تَفْتُرْ ألسنة العلماء العاملين، ولم تتوقّف أقلامهم عن الذّبّ عن الصّحابة الكرام، ولعلّ من أحسن تجارب العلماء الناجحة التي أفحمت أعداء الصّحابة جُهْدَ ابن العربي في كتابه "العواصم من القواصم".

ولا شكَّ أنَّ هذا الكتاب القيّم قد أحدث انقلاباً عظيماً في نفوس قرائه، وأزال من أفكارهم ما علقَ من الدسائس التي تلقّوها في كتب التاريخ، والتي لا يزال أبناء الأمّة يتدارسونها، وهي من وضع خصوم الإسلام. وحريٌّ بكلّ مسلم أن يرجع إليه؛ ليطهّر قلبه من الغِلّ على أصحاب محمد ﷺ، فأعداؤهم شحنوا الكتب بالأكاذيب التي أفسدت قلوب بعض المسلمين على سلفهم الأول، إلى أن أظهر الله ﻷ الحقَّ بكتاب "العواصم من القواصم".

ومن يطّلع على الحقائق التاريخية في هذا الكتاب يجد أنَّ الأمة الإسلامية ذهبت

(١) من تصدير محبّ الدين الخطيب لكتاب العواصم من القواصم، ابن العربي، ص ٤٨- ٤٩.

ضحية لشرذمة من الطَّغام الخارجين على أعدل عصور الإسلام وأسعدها منذ كذبوا، ثم كذبوا، حتى انخدع الناس بأكاذيبهم، ولكن ما لبثت الوقائع أن تبيّنتْ كما هي، فجاء الحق وزهق الباطل[1].

وقد أشار ابن العربي إلى مصادر سمّمت الأجيال، وشوّهت الدين والثقافة، ودعا إلى التصدّي لها، والاحتراز منها، ومن كاتبيها "وخاصة من المفسّرين، والمؤرّخين، وأهل الآداب، فإنَّهم أهل جهالة بحرمات الدّين، أو على بدعه مُصرِّين، فلا تبالوا بما رَووا، ولا تقبلوا روايةً إلا عن أئمة الحديث، ولا تسمعوا لمؤرّخ كلاماً إلا للطبري[2]، وغير ذلك هو الموت الأحمر، والدَّاء الأكبر، فإنَّهم ينشئون أحاديثَ استحقار الصَّحابة والسَّلف، والاستخفاف بهم، واختراع الاسترسال في الأقوال والأفعال عنهم، وخروج مقاصدهم عن الدين إلى الدنيا، وعن الحقّ إلى الهوى، فإذا قاطعتم أهلَ الباطل واقتصرتم على رواية العدول، سَلِمتم من هذه الحبائل، ولم تطووا كشحاً على هذه الغوائل.

ومن أشدّ شيء على الناس جاهلٌ عاقل، أو مبتدع محتال، فأمَّا الجاهل فهو ابن قُتيبة، فلم يُبقِ ولم يذر للصَّحابة رسماً في كتاب "الإمامة والسياسة" إنْ صحَّ عنه جميع

---

(١) انظر: كتاب العواصم من القواصم، ابن العربيّ (٥٤٣هـ)، حاشية ص ٢٦٨.

(٢) "لعلَّ ابن العربيّ قصد من كلامه أنَّ تاريخ الطبريّ ذكر حوادثه مسندة إلى رجالها، وفيهم الصادق وفيهم الكاذب، ويستطيع المؤرخ العالم بالرجال تمييز الحقّ من الباطل، أمّا غير العالم بعلم الأسانيد فيضلّ ضلالاً بعيداً بقراءته لتاريخ الطبريّ".

(انظر: حاشية الكتاب ص ٢٦٠).

ما فيه[1]، وكالمبرّد في كتابه الأدبيّ، وأين عقلُه من عقل ثَعْلب الإمام المتقدّم في أماليه، فإنَّه ساقها بطريقة أدبية سالمة من الطَّعن على أفاضل الأمة. وأما المبتدع المحتال فالمسعوديّ، وأمَّا البدعة فلا شكَّ فيه[2]. فإذا صُنتم أسماعَكم وأبصارَكم عن مطالعة الباطل، ولم تسمعوا في خليفة ممّن يُنسب إليه ما لا يليقُ ويُذكر عنه ما لا يجوز نقله، كنتم على منهج السَّلف سائرين، وعن سبيل الباطـل ناكبين"[3].

ولا بدّ من مواصلة الجهود الناجحة، والوقوف على المؤلفات القديمة والحديثة التي تتصل بالصّحابة ﷺ وغربلتها بالنقد العلميّ، ومن تلك الكتب المشحونة بالأكاذيب التي شوّهت سيرة الصَّحابة والخلفاء والصَّالحين، وانخدع بها طلبة العلم وبعض الأساتذة: كتاب نهج البلاغة، شرح ابن أبي الحديد، والأغاني لأبي الفرج الأصفهاني، وألف ليلة وليلة، والفتنة الكبرى لطه حسين، وكتاب الآيات الشيطانية، لسلمان رشدي، وكتابات جورجي زيدان.

---

(١) يقول محبّ الدين الخطيب معلّقاً: "حكم القاضي أبو بكر على الإمام الحجة الثبت ابن قتيبة هـذا الحكـم القاسي، وهو يظن أن كتاب "الإمامة والسياسة" مـن تأليفـه، ولم يصـحّ عنـه شيء ممّـا فيـه، وإنّـما هـو مدسوس عليه، ومشحون بالجهل والتزوير. ولو عرف ابن العربيّ هـذه الحقيقـة لوضـع "الجـاحظ" في موضع ابن قتيبة"! (انظر:حاشية الكتاب ص ٢٥٧، ٢٦١).

(٢) يعدّ المسعوديّ، علي بن الحسين من كبار شيوخ التشيّع. (حاشية كتاب العواصم، ص ٢٦٢).

(٣) العواصم من القواصم، ابن العربي، ص ٢٦٠-٢٦٢.

المبحث الثاني

الواجب التربويّ

وللصَّحابة الكرام على الأمّة واجب تربويّ يقتضي العودة إلى منابع تربيتهم التي تُحقّق الاتزان النفسي، والتكيّف الاجتماعيّ، وتقودُ إلى أسمى مراتب الكمال؛ لأنّها تقوم على "المنهج الرّبانيّ الذي أنزله الله تعالى لصياغة الشَّخصية الإنسانية صياغةً متزنة متكاملة، وليجعل منها خير نموذج على الأرض"[1].

والواجب التربويّ نحوهم يتفرّع إلى واجبات تفصيليّة ثلاثة هي: إمداد نفوس الناشئة بفيوضهم الرّوحانية، وتضمين حياتهم وسيرهم في المناهج التربوية، ولزوم طريقتهم التربويّة في الدَّعوة.

أولاً- إمداد الناشئة بشمائلهم الرّوحانية:

كان الصَّحابة ﵃ الجيلَ الأول الذي تمثّل القرآن علماً وعملاً، وفكراً ومسلكاً، وصلةً دائمة بالله ﷻ في كلّ شأن، وكلّ عمل، وكلّ آن، وتمثّلَ سنّة النبيّ ﷺ منهجاً عمليّاً ربّانياً في تزكية النفس، وتربية الرّوح، فكان أن نجحت تربية الصّحابة الكرام نجاحاً باهراً يُوجب على الأمة أن تُمدّ نفوس ناشئتها بشمائلهم الرّوحانية التي استمدّوها من النموذج الأعلى ومعلّمهم العظيم محمّد ﷺ.

ولقد نجم عن إهمال المسلمين للإعداد الرّوحيّ كثيرٌ من مظاهر الاضطراب والقلق، والشّك والتمزّق، وأدى ذلك إلى ضعف الأخلاق، وسيطرة الغرائز، وفقدان

(١) أصول التربية الإسلامية وأساليبها، عبد الرحمن النحلاوي، دار الفكر، دمشق، ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م. ص ١٨.

الوازع الدينيّ وضعف الإيمان بالله كموجّه للسلوك البشريّ، ومحدّد لمساره خاصة لدى الشباب الذين يمثّلون آمال أمّتهم[1].

ومن الفيوض الرّوحانية التي تُستقى من شخصيات الصّحابة الكرام، والتي ينبغي على التربويين في الأمّة إمداد شخصيات الناشئة بها:

١- تغذية أرواحهم بالإخلاص لله ﷻ في السرّ والعلن، والمنشط والمكره.

٢- تعميق صلتهم بالله ﷻ بالمواظبة على الذكر والدعاء.

٣- ربطهم بالقرآن الكريم، واتّخاذه إماماً لهم، وهادياً لحياتهم.

٤- إعفاف نفوسهم من المستقذرات والنجاسات والخبائث.

٥- تقوية نفوسهم في مقاومة اليأس والانطواء والهروب من تحمّل المسؤولية.

٦- تهذيبهم بأداء الشَّعائر التعبّدية من صلاة وصيام وزكاة وحجّ.

ثانياً- تضمين حياتهم وسيرهم في المناهج التربوية:

لا بدَّ من تضمين حياة الصّحابة الكرام وما فيها من قيم تربوية، ومُثل خلقية، وآداب عالية، ومكارم سامية، لا بدَّ من تضمينها في المناهج التربويّة، وذلك ضمن المحاور الآتية:

١- منهجهم القائم على الوسطيّة والاعتدال:

فقد امتاز منهج الصَّحابة الكرام بالرَّبانية، والوسطية، والاعتدال، ولم يُعرفوا بالعلم على حساب العمل، ولم يُعرفوا بعبادة الليل على حساب عمل النهار، وهو منهج

---

(١) انظر: مشكلات الشباب الحلول المطروحة والحل الإسلامي، د. عباس محجوب، كتاب الأمة، وزارة الأوقاف، قطر، ط ٢، ١٤٠٦هـ. ص ١١٤.

لا إفراط فيه ولا تفريط، ولا شطط ولا شطحات، ولا تساهل ولا غُلوّ[1].

ولم يُعرف عن أحد من الصّحابة الكرام تعصّبه لرأيه، أو تحقيره رأي غيره، مادامت تلك الآراء موافقة

للشرع الحنيف: عن أنس بن مالك ﷺ قال: "كنّا نسافرُ مع النبيّ ﷺ فلم يَعِب الصّائمُ على المفطر، ولا المفطرُ على الصّائم"[2].

١ - نظامهم الأخلاقيّ المتكامل:

فقد كانوا مدرسة عليا في الأخلاق التي استمدّوها من نور القرآن، ومن مشكاة النبوّة، فهؤلاء سمعوا من النبيّ ﷺ، ووعوا كلامه، وحرصوا على سنته، ولكنَّ شيئاً واحداً لم يعرفوا بابه، ولم يعرف أبوابهم، وهو الكذب، فلم يكذبوا على النبيّ ﷺ، ولا على غيره، ولم يكن فوق الأرض أتقى لله منهم، ولن يكون[3].

والصّحابة الكرام هم عُصارة تربية النبيّ ﷺ وتوجيهه، قد سلكوا أجمل سلوك، وتخلّقوا بأعظم خلق، فكانوا أول المتطهّرين، وأول المنتظمين في عقد الإسلام.

وجدير بالآباء أن يحرصوا على تزويد أبنائهم قرّة أعينهم من معين هؤلاء الصَّحابة الكرام قرّة عين الإسلام والمسلمين، فليست التربية توفير الخبز والماء،

---

(١) انظر: سيرة الصَّحابة ﷺ، د.مصطفى مراد، دار الفجر للتراث، القاهرة، د.ط، د.ت. ص ٦-١٠.

(٢) رواه البخاريّ، كتاب الصوم، باب لم يعب أصحاب النبيّ ﷺ بعضُهم بعضاً في الصوم والإفطار، ج ٣، ص ٤٤.

(٣) انظر: أربعون حديثاً في فضل الصحابة، محمد عبد الرحيم، الحكمة، دمشق، ط١، ١٤١٦هـ ١٩٩٥م. ص ١٠-١١.

والكساء والدواء، بل هي غرس القيم الخلقية الراقية التي يحيا بها الإنسان[1].

وإنَّ نظرة عجلى على ألقابهم التي عُرفوا بها لتكشف عن خِصالهم الحميدة، وخصائصم الخلقية مثل:

أ- الصدق المكين.

ب- الأمانة العالية.

ج- الجرأة في الحقّ.

د- حبّ العلم والتعلّم.

هـ الشَّجاعة والبطولة.

و- التفاني في حبّ النبيّ ﷺ وتوقيره.

والجدول رقم (٥) يتضمّن بعضاً من ألقاب الصّحابة الكرام مع ذكر أسمائهم الصَّريحة وكُناهم وتاريخ وَفياتهم:

(ألقاب بعض الصّحابة الكرام مع ذكر أسمائهم الصَّريحة وكُناهم وتاريخ وَفياتهم)

الرقم	اسم الصّحابي	كُنيته	لقبه	معناه	وفاته
١	جعفر بن أبي طالب	أبو عبد الله	ذو الجناحين	قُطعت يداه في مؤتة	٨ هـ
٢	فاطمة بنت محمّد ﷺ	أم الحسن	الزَّهراء	لطهارتها وعفّتها	١١هـ
٣	عبد الله بن عثمان	أبو بكر	الصّدّيق	صدَّقَ رسول الله ﷺ	١٣هـ
٤	عامر بن الجراح	أبو عبيدة	أمين الأمة	لأمانته ووفائه	١٨هـ

(١) انظر: السيرة النبويّة، دروس للشباب، سليمان محمّد السرطاوي، د.ط، ١٤١٠هـ ١٩٨٩م. ص ١٦-١٧.

٥	خالد بن الوليد	أبو سليمان	سيف الله المسلول	لشجاعته وقوته	٢١هـ
٦	عمر بن الخطاب	أبو حفص	الفاروق	يفرق بين الحقّ والباطل	٢٣هـ
٧	الزبير بن العوام	أبو عبد الله	حواري النبيّ ﷺ	صفي النبيّ المختص بحبّه	٣٦هـ
٨	أسامة بن زيد	أبو محمّد	الحِبّ بن الحِبّ	كان النبيّ ﷺ يحبّه وأباه	٥٤هـ
٩	عبد الله بن عباس	أبو العباس	حَبْر الأمة	لسعة علمه وغزارته	٦٨هـ
١٠	أنس بن مالك	أبو حمزة	خادم النبيّ ﷺ	لخدمته النبيّ ﷺ عشر سنين	٩١هـ

٣- جهودهم العظيمة في حفظ الدّين:

ينبغي أن تخصّص مجموعة من الوحدات الدراسيّة في المناهج التربوية لدراسة جهود الصّحابة الكرام وتحليلها، وذلك ليعرف أبناءُ الأمة مبلغ ما بذلَ الصّحابة الكرام من جهد دائب، وتضحية كبرى، وأمانة عظمى في تحمّل الدين وأدائه، ولتشحن نفوس الناشئة بالعاطفة الجيّاشة النابعة من سيرتهم الزكية، ليرتوا من أعذب مناهلها، وليتمكّن حبّ النبيّ ﷺ في قلوبهم.

وينبغي أن تكون دروساً حيّة كأنّها يراها المتعلّم رأيَ العين، فتهزّه تلك الصورُ الرَّائعةُ لمواقِف الصَّحابة الكرامِ التي عبّروا فيها عن حبِّهم لرسولِ الله ﷺ، وتضحياتهم في سبيل الله، حتى يتمنى لو أنّه عاش في عصر رسول الله ﷺ، يسمع صوتَه، ويرى شخصَه، ويقتدي به في الصَّلاة، ويبايعه على السمع والطاعة، وكأنّه يجلس في المسجدِ الحرام، ويطيل النظرَ إلى الكعبة المشرفة والطائفين حولها، ويتصور رسول الله ﷺ يطوف حول الكعبة في عمرة القضاء، وفي حَجّة الوداع، ومعه أصحابه الأبرار يحيطون به، ويأخذون مناسكهم عنه.

ويتصوّر كأنّه يتجوّل في شِعاب مكةَ وأزقتها، ويتجوّل في المدينة وأحيائها، يتخيّل

الأنصار، يحرسون حجراتِ النبيّ ﷺ، ويتخيلُ أهلَ الصُّفةِ بجوار الحجراتِ، وينظر إلى أسطوانة التوبةِ فيتخيّلُ أبا لبابةَ ﷺوقد ربط فيها نفسه توبة إلى الله تعالى.

ويتصوّر كأنّه يقف في ساحةِ أُحد، ويستنشقُ الهواءَ بعمقٍ، رجاء أن تهبَّ عليه نسمات من ريحِ الجنة، كما مرَّت على أنس بن النضر ﷺ، فوجدها دون أحد[1]

ثالثاً– لزوم طريقتهم التربويّة في الدَّعوة:

والصَّحابة الكرام هم شهود تنـزّل الذكر الحكيم، وأعرفُ الناس بسنّة النبيّ ﷺ، وأفقههم في أحكام الشَّريعة، وأحسنهم قولاً وطريقةً في الدَّعوة إلى الله ﷻ:

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [2].

وواجب العلماء العاملين في الأمّة أن يوجّهوا الدعاة إلى لزوم طريقتهم التربويّة في الدعوة، فهي الأكمل والأسلم والأحكم، تراعي حال المدعوين، وتنـزلهم منازلهم، وتخاطبهم على قدر عقولهم.

ومن خطوطها العريضة أنّها:

- دعوة غايتها ابتغاء مرضاة الله ﷻ، وليست لمغنم دنيوي، أو مصلحة عاجلة أو آجلة.
- دعوة بالحكمة والموعظة الحسنة، لا فظاظة فيها، ولا خشونة، ولا تعنيف، ولا اتهام.
- دعوة قائمة على القدوة الصَّالحة للداعية، فلا يدعو إلى الخير ويخالفه، ولا ينهى عن

---

(1) انظر: الرسول ﷺ في قلوب أصحابه، وليد الأعظمي، مكتبة البشائر، عمان، مكتبة القدس، بغداد، ط٢، ١٤٠٤هـ١٩٨٤م. ص ٤– ٦. وانظر كيف تمثّل ذلك الحبّ في (ص ٧ وما بعدها).

(2) فصلت، آية ٣٣.

المنكر ويأتيه.

- دعوة قائمة على توطين النفس على التواضع، والبعد عن الغرور، وتجنّب اليأس والفتور.

- دعوة قائمة على تحرّي الدقة والصواب، وتجنّب ما يخالف الكتاب والسُّنة، حتى لا ينتشر الخطأ.

- دعوة قائمة على التمسّك بأصول أهل السّنة والجماعة.

ولعلّ من أهمّ معالم طريقتهم التربوية في ميدان الدعوة أنّها تمتاز بتزكية المدعوّ، وذلك بتطهير نفسه وعقله وجسمه من كلّ ما يضرّه، إذ إنَّ التزكية تلازم دوافع الإنسان، وما فيه من مثيرات داخليّة

تحرّك سلوكه، وقد وصل جانب التزكية غايةَ كماله في صحابة رسول الله ﷺ(1).

وقد أجمل الإمام أحمد بن حنبل الأصول الدّعوية التربوية بقوله: "أصول السُّنة عندنا: التمسّك بما كان عليه أصحابُ رسول الله ﷺ والاقتداء بهم، وترك البدع، وكلّ بدعة فهي ضلالة، وترك الخصومات، وترك الجلوس مع أصحاب الأهواء، وترك المراء والجدال والخصومات في الدّين"(2).

---

(1) انظر: التربية في عهد الرسول ﷺ، نشأتها وتطوّرها، د. حامد سالم الحربيّ، رابطة العالم الإسلامي، مكة المكرمة، 1419هـ. ص 98-99.

(2) طبقات الحنابلة، محمد بن أبي يعلى، (524هـ)، دار المعرفة، بيروت. د.ط، د.ت. ج1، ص 241.

المبحث الثالث

الواجب الحضاريّ

وللصّحابة الكرام على الأمّة واجب حضاريّ يتمثّل في الاتّباع والاقتداء والاهتداء؛ لأنّهم أئمة يدعون إلى الخير، وقادة رَكْب يحدون بأعذب الكَلِم، ولأنَّ حياتهم أنموذج فريد يُتّبع، ولأنَّ مسيرتهم طريق قويم يُهتدى به، ولا يظنّ ظانّ أنَّ حياتهم كانت مرحلةً عابرة ساذجة في صحراء قاحلة يسكنها حفنة من الأعراب ورعاء الشّاة، ليس فيها أثر لحياة أو علم أو حضارة.

بل كانت لهم حضارة زاهرة، ومدنية زاخرة، لكنّها ذات خَصيصة تفترق عمّا عُرف من المدنيّات والحضارات القديمة والمعاصرة، وخصيصتُها أنَّها الأمّة الحضارية الوحيدة في العالم قديمِه وحديثِه التي زكّاها ربّ العالمين من فوق سبع سموات، وجعلها النموذج الحضاريّ الكامل:

﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾(١) . وهي الأمّة الحضاريّة الوحيدة التي زكّى مسيرتَها وزمانَها محمّدٌ خاتم المرسلين ﷺ:

عن عمران بن حصين ؓ أنَّ النبّيّ ﷺ قال: "خير أمتي قَرْني، ثمَّ الذين يلونهم، ثمَّ الذين يَلُونهم، قال عمران: فلا أدري أذكرَ بعد قرنه قرنين أو ثلاثاً، ثمَّ إنَّ بعدهم قوماً يَشْهدون ولا يُسْتشهدون، ويخونون ولا يُؤْتَمنون، ويُنْذِرون ولا يُوفون، ويَظهرُ فيهم السِّمَن"(٢).

---

(١) آل عمران، آية ١١٠.

(٢) رواه البخاري، باب فضائل أصحاب النبيّ ﷺ، ج٥، ص ٢-٣. ورواه مسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب فضل الصحابة ثمّ الذين يلونهم، ثمّ الذين يلونهم، حديث رقم ٦٤٢٢، ج١٥، ص ٣٠٤ .

والمراد بقرن النبيّ ﷺ في هذا الحديث الصَّحابة، ويظهر أنَّ مدّة القرن تختلف باختلاف أعمار أهل كلّ زمان، والذين يلونهم: هم القرن الذي بعدهم، وهم التابعون، ثمَّ الذين يلونهم وهم أتباع التابعين، واقتضى هذا الحديث أن يكون الصَّحابة أفضل من التابعين، والتابعون أفضل من أتباع التابعين[1].

وهذه الأمة الحضاريّة تستند إلى ثلاثة قرون زاخرة بالإيمان والعلم والفقه والأدب:

القرن الأول: وهم بالإجماع أصحابُ الرّسول ﷺ.

والقرن الثاني: وهم التابعون.

والقرن الثالث: وهم تابعو التابعين.

فهذه القرون الثلاثة المفضّلة، وأفضلها قَرْن الصَّحابة، وليس المقصود بالقرن هنا ما يعرف اصطلاحاً بأنّه مائة عام، وإنَّما المراد المدّة من الزمان، فالقرنُ الأول ينتهي بوفاة أبي الطفيل ﷺ سنة مائة وعشر للهجرة، وقرن التابعين مدّته ثمانين سنة تقريباً، ينتهي بموت آخر التابعين في سنة مائتين وعشرين للهجرة، وكذلك من بعدهم.

وأمَّا القرون التي بعد ذلك فقد انتشرت فيهم الصفات المذمومة ومنها قلة الأمانة، حتى إنَّ أحدهم يشهد ويحلف على شهادته تهاوناً قبل أن تطلب منه، و ازداد حرص الناس على دنياهم والاستكثار من أموالها وطعامها والتفاخر فيها، حتى ظهرت فيهم السُّمنة والبَدَانة[2].

---

(١) انظر: فتح الباري بشرح صحيح البخاريّ، ابن حجر العسقلاني(٨٥٢هـ)، ج ٧، ص ٣٥١-٣٥٤.

وفضائل الصحابة من فتح الباري بشرح صحيح البخاريّ، تحقيق: خالد عبد الفتاح شبل، الشركة العالمية للكتاب، بيروت، ط١، ١٩٩٠م. ص ٩-١١ .

(٢) انظر: صحابة رسول الله وجهودهم في تعليم القرآن الكريم، د. أنس أحمد كرزون، ص ٢٥.

والواجب الحضاريّ نحوهم يتفرّع إلى واجبات تفصيليّة ثلاثة هي:

الاهتداء بالنموذج الراشديّ في الحكم والسّياسة، وفقه جهادهم ومعاملتهم لغير المسلمين، واستلهام مسيرتهم الإيمانية في النهوض الحضاريّ.

أولاً- الاهتداء بالنموذج الراشديّ في الحكم والسياسة:

يتبوّأ الصّحابة الكرام موقع الصّدارة في البشر، بعد الأنبياء والرّسل، وقد جعلهم الله ﷻ المثل الأعلى للإنسانية:

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ ﴾[1].

وجعلهم خياراً عدولاً؛ ليكونوا يوم القيامة شهداء على الأمم، لأنّ الجميع معترفون لهم بالفضل، والوَسَط: الخيار والأجود، كما يقال: قريش أوسطُ العرب نسباً وداراً أي: خيرُها، وكان رسول الله ﷺ وسطاً في قومه، أي أشرفهم نسباً. ولمّا جعل الله هذه الأمة وَسَطاً خصَّها بأكمل الشرائع، وأقوم المناهج، وأوضح المذاهب[2].

والعجيب أنَّ هذه الآية الكريمة: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ۗ ﴾ ذات الرقم (١٤٣) تتوسّط سورة البقرة التي يبلغ عدد آياتها ٢٨٦ آية.

عن أبى سعيد الخدري ؓ قال: قال رسولُ الله ﷺ: "يُدْعى نوحٌ يومَ القيامة، فيقول: لبّيك وسَعْديكَ يا ربِّ. فيقول: هل بلّغتَ؟ فيقول: نعم. فيقال لأمّته: هل بلَّغكم؟ فيقولون: ما أتانا من نذير. فيقول: مَنْ يشهدُ لك؟ فيقول: محمّدٌ وأمّتُه،

(١) البقرة، آية ١٤٣. الوسَط: المعتدل، يقال: شيء وَسَط، أي بين الجيّد والرّدئ، وعبدٌ وَسَط، وأمّةٌ وَسَطٌ. انظر: المصباح المنير، الفيّوميّ (٧٧٠هـ)، مادة (وسط)، ص ٥٤٠.

(٢) انظر: مختصر ابن كثير، محمد علي الصابوني، ج ١، ص ١٣٦.

فيشهدون أنَّه قد بَلّغَ"[1].

ويتبوّأ الخلفاء الرّاشدون ﷺ موقع الصّدارة في الصَّحابة الكرام، وتمثّل خلافتهم الرَّاشدة النموذج العالميّ للحضارة الراقية التي ترتكز على ربّانية المعتقد، وروحانية التّعبّد، وعلمية المنهج، وواقعية التطبيق، والتي يجب أن تكون نبراساً لكلّ الأنظمة المعاصرة.

ومن محاور الاهتداء بالنموذج الراشديّ في الحكم والسياسة:

١ - إقامة الدولة على أساس الحكم بالكتاب والسُّنة:

فقد كان من نتائج تطبيق شرائع الإسلام المستمدّة من الكتاب والسُّنة في عهد الخلفاء الراشدين أنْ قامتْ للمسلمين حضارة خيّرة، تمثّلت في تأسيس الخلافة، وهي رياسة أساسها الدين، وغايتها إصلاح أحوال الناس وإسعادهم بما يحقّق العبودية لله ﷻ.

وكان الناس يبايعون الخليفة على العمل بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وزادوا في بيعة عثمان "وسيرة الشَّيخين أبي بكر وعمر" رضي الله عنهما.

والخليفة واجب الطاعة فيما يأمر ما لم يخالف الشَّريعة، وأساس التشريع هو القرآن والسُّنة، فإن عرض لهم ما ليس فيهما عرفوا الأشباه والأمثال، وقاسوا ما لا نصَّ فيه على ما فيه نصّ.

والخليفة في الاجتهاد والاستنباط واحد من المجتهدين يستفتيهم فيما نزل به من الحوادث فيجيبونه بما عندهم، فإن اتفقوا في الفتوى كان عليه أن يتّبع رأيهم، وهو ما يسمّى الإجماع، وإن اختلفوا في الفتيا عمل الخليفة بما يرى من آرائهم.

ولم يكن للخلافة في الدولة الرَّاشدة شيءٌ من شارات الملك أو أبهته، بل كان

---

(١) رواه البخاري، كتاب التفسير، ج٦، ص ٢٦.

الخليفة إنساناً كسائر الناس يقوم بحاجة نفسه، ويسير وحده في طريقه، وينام في بيته بلا حاجب ولا حارس، وذلك لشيوع الأمن والأمان في ذلك العهد الميمون[1].

٢- استقلال القضاء ونزاهته:

كان القضاء أوّل الأمر من عمل الخليفة الذي يفصل بين الناس في الخصومات والمنازعات على وفق الكتاب والسُّنة، ولما كثرت أعباء الخلفاء، واتسعت الفتوح فوّض هذا العمل إلى قضاة قادرين على الاستنباط، يتّسمون بغزارة العلم، والتقوى، والوَرَع، والعدل.

من ذلك أنَّ أبا بكر الصدّيق ﷺ لما ولي الخلافة أسند القضاء إلى عمر بن الخطاب ﷺ، فمكث سنةً لا يأتيه متخاصمان؛ لأنَّ الناس عرفوا حقوقهم، والتزموا حدودهم، والناس يومئذ كانوا خير الناس، وهم أصحاب محمّد ﷺ[2].

وكان القضاة يتربّعون على قمّة النـزاهة والاستقلال في الحكم، قد استوى في نظرهم الشَّريف والوضيع، والخليفة والرَّعية، ولم يُعرف عن أحد منهم ميلٌ إلى الدنيا، أو اغترار بزخرفها يعدلُ بهم عن قول الحقّ والحكم به.

والقاضي في ذلك كلّه يستعين بجماعة ممّن اشتهروا بالفقه واستنباط الأحكام، ويستفتيهم إذا أشكل عليه أمر[3].

٣- رعاية كرامة الإنسان وحماية حقوقه:

كان الخلفاء الرَّاشدون أحرصَ الناس على مراعاة كرامة الإنسان وحقوقه، وتسخير مقوّمات الدولة من أجله، واتصفوا بالعدل والرفق والرحمة، ولا تزال كلمات الصّدّيق ﷺ في حقوق الإنسان ترنّ في الآذان: "أيّها الناس، إنّي قد وُلِّيتُ عليكم،

(١) انظر: الخلفاء الراشدون، عبد الوهاب النجار، دار الفكر، د.ط، د.ت، ص ٤٦٩ – ٤٧٢.

(٢) انظر: تاريخ الطبري، م٢، ص ٣٥١.

(٣) انظر: تاريخ الإسلام، حسن إبراهيم حسن، دار الأندلس، ط٧، ١٩٦٤م، ص٤٨٥ – ٤٨٧.

ولستُ بخيركم، فإنْ رأيتموني على حَقّ فأعينوني، وإنْ رأيتموني على باطل فسدّدوني، أطيعوني ما أطعتُ الله فيكم، فإذا عصيتُه فلا طاعةَ لي عليكم. ألا إنَّ أقواكم عندي الضَّعيفُ حتى آخذَ الحقَّ له، وأضعفَكم عندي القويُّ حتى آخذَ الحقَّ منه"[1].

بل كان الخلفاء الراشدون ﷺ حريصين على حقوق الحيوان، فكيف بالإنسان الذي كرّمه الله ﷻ، وأمر بمعاملته أحسن معاملة؟ وما من أحد إلا سمع كلمة عمر ﷺ: "والله لو أنَّ بغلة عثرت في العراق لسألني الله عنها: لِمَ لم تمهّد لها الطريق يا عمر".

فلا بدّ إذن من اتخاذ النموذج الراشديّ مرجعية للقيم الخالدة كالشّورى، والحرية، وحقوق الإنسان، لمواجهة ما تتعرّض له الأمة من عواصف العولمة، وما تحمل من هيمنة واختراق ثقافيّ وحضاريّ، ولبناء إنسان الفكرة المحتسب المنتج، لا الإنسان الخاوي المتشهّي المستهلك[2].

ثانياً- فقه جهادهم ومعاملتهم لغير المسلمين:

ومن الجوانب الهامّة التي ينبغي أن تلتفت إليها الأمّة وتفيد منها ما كان عليه الصَّحابة الكرام من فقه دقيق للجهاد والقتال، فقد التزموا بما شرع الإسلام من ضوابط القتال، وحَصْر أهدافه في دفع العدوان، وحماية حرية العقيدة، وإنهاء الحرب بالعهود والمواثيق المصونة العادلة، وإحاطتها بأدبٍ خاصّ، فلا بدّ من إنذار العدوّ بعد أن تنقطع الحجّة، والامتناع عن محاربة غير المحاربين كالشيوخ العجزة والنساء والصبيان، أو مَن انقطعوا للعبادة أو العلم، أو العامة من الصُّناع والزرّاع والتجّار الذين لا يُقاتِلون، أو مَنْ يسمّون اليوم بالمدنيين، وتحريم اللجوء لقهر العدو بتجويع الأمّة المحاربة، أو منع

---

(١) تاريخ الطبري م٢، ص ٤٥٠.

(٢) انظر: حقوق الإنسان في ضوء الحديث النبويّ، تقديم عمر عبيد حسنة، يسري محمد أرشد، كتاب الأمة، وزارة الأوقاف، قطر، ط١، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م. ص ٣٦.

أسباب الحياة عنهم من قوت ودواء ولباس، وتحريم تخريب العَمار، وحرق الزرع وقطع الشجر، ورعاية حقوق الأسرى، والإحسان بهم، حتى كانوا في عهد الصَّحابة الكرام متساويين مع أيتام المسلمين وفقرائهم(١).

ولمّا سلكت الأمة عبر العصور مسلكَ الصّحابة الكرام في فقه الجهاد أرستْ قواعدَ عظيمة في القانون الدّولي للحرب والسّلم، فقد كان المسلمون في الحروب الصليبية يصونون الدماء، ويصفحون ويَفون بالعهود، وكان الصليبيون يغدرون، وينتقمون، ويخوضون في الدماء إلى الرّكب، وهم يتلذذون ويطربون، والأمثلة كثيرة والشواهد غزيرة على الأخلاق الحربيّة للمسلمين(٢).

وقد أثمرت تلك الأخلاق الحربيّة بإسلام عدد من قادة الصليبيين، وإسلام آلاف الجنود طواعية دون إكراه، بعد أن جاءوا إلى المشرق تغلي صدورهم بالبغضاء، وتقطر من أيديهم الدماء، ولقد بلغ من تأثير الإعجاب بشجاعة صلاح الدين الأيوبيّ (٥٨٩هـ) وفضائله في الصليبيين أنَّ كثيراً من أمرائهم وعامّتهم دخلوا في الإسلام(٣).

وممّا ينبغي أن تلتفت إليه الأمّة ما كان عليه الصَّحابة الكرام من معاملة غير المسلمين معاملة حسنة، ومن مظاهر تلك المعاملة:

١- احترام حقّ المقيم في ديارهم والنازل بها، والسَّماح له بالتمتّع بالحرية، ما دام خاضعاً لأحكام الشريعة، مستقيماً في سيره وعمله.

٢- حماية ممتلكاته، وحفظ حقوقه، وكفالة عودته إلى أهله، وعدم الاعتداء عليه

---

(١) انظر: الرسالة الخالدة، عبد الرحمن عزّام، المطبعة الوطنية، عمان، ط٢، ١٣٩٦هـ ١٩٧٦م. ص ١٢١- ١٢٣.

(٢) انظر: روائع حضارتنا، د. مصطفى السباعي، مطبعة النور النموذجية، عمّان، ط ١٠، ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م. ص ٨١- ٩٤.

(٣) انظر: الرسالة الخالدة، عبد الرحمن عزّام، ص ٢٩٩- ٣٠٦.

بمصادرة ماله، أو الإضرار بعمله أو شخصه.

٣- كفالة حقّه في ممارسة دينه، وعدم إجباره على ترك معتقده، أو اضطهاده.

٤- برّه وصلته وضيافته ما دام معترفاً بسلطان الدولة مقيماً على الإخلاص لها.

٥- مجادلته بالحسنى في حدود الأدب والحجّة والإقناع.

٦- تقدير كرامته مثل كرامة المسلم تقديراً للنفس البشرية(١).

وقد علّم رسولُ الله ﷺ أصحابَه هذا المبدأ النبيل، وهو تقدير كرامة الإنسان، عن ابن أبي ليلى: "أنَّ قيسَ بنَ سعد، وسهلَ بنَ حُنَيْفٍ كانا بالقادسيّة، فمرّتْ بهما جنازة، فقاما، فقيل لهما: إنّها من أهل الأرض، فقالا: إنَّ رسولَ الله ﷺ مرّت به جنازة فقام، فقيل: إنّه يهوديّ، فقال: "أليستْ نفساً""(٢).

ثالثاً- استلهام مسيرتهم الإيمانيّة في النهوض الحضاريّ:

كانت للصّحابة الكرام مسيرة حافلة بمنظومة حضاريّة متكاملة من القيم الإيمانيّة والخلقيّة، والقيم العلميّة والإبداعيّة، والقيم العمليّة والإصلاحيّة، قَمينٌ بالأمة أن تستلهمها في واقعها المعاصر؛ لتنهض من كبوتها التي طالت نحو قرن من الزّمن، إذ لا يُصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أوّلها، والمسيرة الحضاريّة في القرون الثلاثة المفضّلة هي القادرة على بناء ما بقي من قرون الأمة الحاضرة.

ومن محاور استلهام مسيرتهم الإيمانيّة في الواقع المعاصر:

١- استلهام الخيريّة القرآنيّة:

جاء في الذّكر الحكيم: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ

---

(١) انظر: الرسالة الخالدة، عبد الرحمن عزّام، ص ١٢٣- ١٢٤. وانظر: روائع حضارتنا، د. مصطفى السباعي، ص ٦٥- ٧٦.

(٢) رواه مسلم في كتاب الجنائز، باب القيام للجنازة، حديث رقم ٢٢٢٢، ج ٧، ص ٣٢.

﴿وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾[1] .

فهذه الآية الكريمة تبينّ أنَّ الله ﷻ زكّى الصَّحابة بأنّهم أمّة خيريّة لم ترَ البشرية مثلهم، وذلك يقتضي أنّهم قدوةٌ حضارية لكلّ الأمم والشُّعوب، وأنهم وحدهم القادرون على قيادة العالم بنظام ربّانيّ فريد، وأنّهم ما حقّقوا هذه الخيريّة إلا بثلاثة شروط:

أ- الأمر بالمعروف: وهو إشاعة القيم الفاضلة، وإدامة الأمن والسّلم، والحفاظ على منجزات المجتمع.

ب- النهي عن المنكر: وهو مكافحة الفساد، ومحاربة الاستبداد، والتصدي للمنحرفين والمجرمين.

ج- الإيمان بالله ﷻ: وهو غاية وجود الإنسان، وأساس السيادة في الكون، والريادة في الحياة، والباعث على كلّ نهضة وتقدّم ورخاء. وإذا أرادت هذه الأمة المعاصرة أن تنتسب للصَّحابة الكرام، وتدخل في الخيريّة القرآنية، فعليها أن تؤدّي تلك الشَّروط الثلاثة.

روي أنَّ عمر بن الخطاب ﷺ قرأ قوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾[2]. ثمَّ قال: يا أيّها الناس، مَنْ سرّه أن يكون من تلكم الآية فليؤدّ شرط الله منها[3].

---

(١) آل عمران، آية ١١٠.

(٢) آل عمران، آية ١١٠.

(٣) انظر: كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، الهندي، علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين الهنديّ (٩٧٥هـ)، تحقيق: بكري حياني، وصفوة السّقا، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٥، ١٤٠١هـ ١٩٨١م. ج ٢، ص ٣٧٦.

٢- استلهام عَزْم الصَّحابة الكرام وعلوّ هممهم:

فما قامت حضارة لأمّة إلا بعزم أهلها في البناء والإعمار، وعلوّ همم في بلوغ أهدافهم، وليس ثمّة ما يشبه الصّحابة الكرام في مضاء عزائمهم، وعلوّ هممهم، وعظمة إنجازاتهم.

فلو تأمّلت أصحاب النبيّ ﷺ وأصحاب الرّسل عليهم الصَّلاة والسّلام لوجدتَ البون الشَّاسع، والاختلاف الظاهر، فموسى عليه السلام رسولٌ كريم من أولي العزم، استفرغَ طاقته وبذل جهده في تربية بني إسرائيل، والتمكين لهم في الأرض المقدّسة سنين طويلة، ولكنهم لم يستجيبوا له، فلم يستطع أن يصنع منهم جيلاً ذا شأن، جيلَ نصر، أو قادةَ نهضة، أو طليعةَ تبليغ يأتمنها على رسالته من بعده!

بل لمّا ذهب لمناجاة ربّه، واستخلف فيهم أخاه هارون عليه السلام ضلّوا وانحرفوا، وعبدوا العِجْل، وبين ظهرانيهم رسول كريم!

وأصحاب عيسى عليه السلام الذين غرسَ فيهم الرّفق والرحمة ولين الجانب، وحسن المعاملة، طلبوا منه أن يريهم معجزاته، ويبرهن لهم على قدرة ربّه، طلبوا طعاماً ينـزل عليهم من السَّماء!

﴿ إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۖ قَالَ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾(١).

أمّا أصحاب محمّد ﷺ فكانوا خير التلاميذ، وخير مَنْ صدّق وأخبت، وخير مَنْ سمع وأطاع، ولم يسألوا النبيّ ﷺ شيئاً من ذلك، بل سخّروا كلَّ شيءٍ في مرضاة الله وطاعة رسوله(٢).

---

(١) المائدة، آية ١١٢.

(٢) انظر: فضائل الصّحابة، الإمام النَّسائي، تحقيق: د.فاروق حمادة، ص ٨ - ٩.

٣- استلهام إنجازاتهم التاريخية:

كان إنجاز الصَّحابة الكرام في المائة الأولى من أعظم منجزات التاريخ، والعمل الذي عملوه لم تعمل مثله أمةُ الرُّومان، ولا أمّةُ اليونان قبلها، ولا أمةٌ من أمم الأرض بعدها.

فقد كان الخلفاء الرَّاشدون الأربعة، وإخوانهم من العشرة المبشرين بالجنة ﷺ، وسائر أصحاب رسول الله ﷺ كانوا شموساً طلعتْ في سماء الإنسانية مرّة، ولا تطمع الإنسانية بأن تطلع في سمائها شموسٌ من طرازهم مرّة أخرى، إلا إذا عزمَ المسلمون على أن يرجعوا إلى فطرة الإسلام، ويتأدّبوا بأدبه من جديد، فيخلق الله منهم خلقاً آخر يعيش للحقّ والخير، ويجاهد الباطل والشَّر، حتى تعرف الإنسانية طريقها الحقيقيّ إلى السَّعادة[1].

ومن الأمثلة على إنجازاتهم الباهرة انتشارُ حواضر الإشعاع العلميّ في الأمصار الإسلامية في الحجاز، واليمن، والشّام، ومصر، وخراسان، وسائر الأمصار، وارتفاع صوت الأذان في كلّ مكان!

وكان لهذه الحواضر شأن علميّ كبير، فمكة كانت منبع الإسلام، والمدينة كانت مهاجر النبيّ ﷺ، ومركز الخلافة الرَّاشدة، وكان طلاب العلم يتقاطرون عليهما من كلّ حَدب وصَوب.

وقد امتدّ إشعاعُ الصّحابة والتابعين على أجنحة النور من المدينة ومكة إلى الطائف والبصرة والكوفة ودمشق والفسطاط وبُخارى وبغداد وقُرْطبة وغِرْناطة، وانساحَ إلى الصين شرقاً، وإلى الأندلس غرباً، فإذا العالم الإسلاميّ زاخرٌ بالحياة والقوة والحضارة، وإذا بغداد مدينة العلم والأدب ودار السَّلام تزهو على مدن الدُّنيا بكثرة علمائها وأدبائها وفقهائها، وكثرة بساتينها وفواكهها، وكثرة مكتباتها العامرة، وفخامة أبنيتها، وروعة

(١) من تصدير محبّ الدين الخطيب لكتاب العواصم من القواصم، لابن العربيّ، ص ٤٧- ٤٨.

مساجدها الثلاثمائة ألف!

وإذا قُرطبة تُنار بالمصابيح ليلاً، ويستضيء الماشي بسُرجها عشرةَ أميال لا ينقطعُ عنه الضوء، أزقّتُها مبلّطة، وشوارعُها نظيفة لا قُمامة فيها، وهي محاطة بالحدائق الغنّاء، حتى كان القادم إليها يتنـزّه ساعاتٍ في الرّياض والبساتين قبل أن يصل إليها، وبلغت فيها نسبةُ الأمية صفراً؛ إذ كان كلّ مَنْ فيها متعلّماً(١)!

وهل أتاك نبأُ ما في تلك الحواضر من نوابغ الحديث والفقه، وأساتذة الطبّ والفلك، وعمالقة الهندسة والعمارة، وأساطين النقد والبلاغة، وفحول الشّعر والنثر؟!

وهل أتاك نبأ الخليفة الذي أشار إلى السَّحابة: "اذهبي حيث شئتِ، فإنَّ خَراجَك سيأتيني"؟!

وهل أتاك حديثُ هذه الحضارة السّامقة التي أوقد شُعْلتَها أصحابُ النبيّ ﷺ، والتي اقتبسَ الغربُ من جَذْوتها، فشيّدَ صروحَ علمٍ وتقنية باهرة؟! على الرّغم من أنّها صروح ماديّة أقيمتْ فوق أنقاض أناس قد غدوا - جرّاءَ الإلحاد والانحلال - كأعجاز نَخْل خاوية!

وقد آن لفرسان الإسلام أن يترجّلوا، ويستلهموا سيرة أصحابِ محمّد ﷺ، ويشيّدوا صروحَ الإيمان والفَخَار، ويعيدوا مجدَ أمّة كانت خير أمّة أُخرجتْ للناس؛ لتظلّ رايتُها خفّاقة شامخة أصلُها ثابتٌ وفرعُها في السّماء.

فيا خيلَ اللهِ اركبي،
ويا قناديلَ العلمِ أضيئي،
ويا مراكبَ الخيرِ سيري!

---

(١) انظر: روائع حضارتنا، د. مصطفى السباعي، ص ١٥٩ - ١٦٦.

الخاتمة

بعد هذه الجولة الماتعة في الرِّياض الأنائق للصّحابة الكرام وضحَ لذي عينين ما لهم ﷺ من مكانة رفيعة في الكتاب الحكيم، والسُّنة المشرفة، وما لهم من حقوق واجبة على كلّ موحّد لله ﷻ، مُطيع للنبيّ ﷺ، مُحبّ لهم، كما اتضحت جهودُهم الكبيرة الضخمة في حفظ السّنة: تحمّلاً وتلقّياً، وتبليغاً وأداء، ثمَّ تجلّى ما للصّحابة من واجب على الأمّة في المجالات كافة: المعرفيّة، والتربويّة، والحضاريّة.

نتائج الدّراسة:

يمكن إجمال النتائج التي هَدَتْ إليها الدّراسة في النقاط التالية:

١- بيّنت الدّراسة أنَّ للصّحابة ﷺ أسمى مكانة في القرآن الكريم؛ إذ تنـزّلتْ فيهم آياتٌ تتلى تصفُهم بالإيمان الحقّ، وتشيدُ بخصالهم الحميدة، وتشهدُ بصدقهم في العهد، وتذكرُ مرضاة الله ﷻ عنهم، ورأفته بهم، وتوبته عليهم، وتبشّرهم بجنّات النعيم.

٢- بيّنت الدّراسة أنَّ للصّحابة ﷺ أعلى مكانة في السّنة المطهّرة؛ إذ أفاضتْ عليهم صحبةُ النبيّ ﷺ مِن أنوار النّبوّة ما لم يكنْ لأحبار نبيّ من الأنبياء، فقد اختارهم النبيّ ﷺ لصحبته الشّريفة، وأثنى عليهم، وخصّهم بمحبته ودعائه، وأخبر بمنازلهم، وحسن خاتمتهم.

٣- أظهرت الدّراسة أنَّ للصَّحابة ﷺ حقوقاً جمّة تليقُ بشرف صحبتهم للنبيّ ﷺ، وتكافئ صنيعهم، منها: محبتهم وموالاتهم، وإجلال أهل البيت وإكرامهم، والشَّهادة الكاملة للصّحابة كلّهم بأنَّهم أفضل الأمّة إيماناً وجهاداً وصلاحاً، والإقرار بعدالتهم كلّهم، وأنَّهم ثقاتٌ أمناء في كلّ ما نقلوا عن النبيّ ﷺ،

وتعظيم حُرْماتهم، والكفّ عمّا شجرَ بينهم، والاهتداء بهديهم، والسَّير على نهجهم.

٤- كشفت الدّراسة عن البواعث التي أدت إلى حرص الصَّحابة الكرام على تلقّي السُّنة وحفظها، ومنها: الاعتقاد الجازم أنَّ السُّنة دين يُطاع، وحقّ يُتّبع، والاقتداء بالنبيّ ﷺ، وتأهيل النبيّ ﷺ لأصحابه؛ ليكونوا قادرين على حفظ السُّنة.

٥- حدّدت الدّراسة أمارات التّلقّي الصَّحيح للسنة، وهي: التمسّك بالسنة كلّها، والتمسّك بسنة الخلفاء الرّاشدين؛ لأنّهم أوثق الناس صلةً بالنبيّ ﷺ، ونفي البدع ومُحْدثات الأمور عنها.

٦- أبرزت الدّراسة الجهود الكبيرة التي قام بها الصَّحابة ﷺ في تحمّل السُّنة وتلقّيها، ومنها: ملازمة النبيّ ﷺ، وحضور مجلسه، والسَّماع المرهف والإصغاء الدقيق لحديث النبيّ ﷺ، والحرص على التعلّم والاجتهاد فيه، وتلقّي المناسك والشَّعائر من النبيّ ﷺ مباشرة، وحفظ السُّنة بالكتابة عن النبّيّ ﷺ.

٧- جلّت الدّراسة الضَّوابط النبويّة للأداء الصَّحيح للسُّنة، وهي: التأدية الكاملة للسُّنة دون نقص ولا زيادة، والوعي للسنة المُبلَّغة وفهمها وفقهها، وشدّة التَّحرّي والتثبّت في النقل عن النبّي ﷺ، واتّقاء الوعيد بالنار لمن يكذب عليه.

٨- أبرزت الدّراسة الجهود الضَّخمة التي قام بها الصَّحابة ﷺ في أداء السُّنة وتبليغها، ومنها:

- تبليغ السُّنة بالعلم والتعليم.
- تبليغها بالقدوة والتمثّل العمليّ، والدَّعوة على بصيرة.

- تبليغها برواية حديث رسول الله ﷺ، والبراعة في حفظه، والدّقة الفائقة في روايته، وإتقان أدائه، وضبط حروفه ومعناه.
- تبليغها عملياً بتطبيقها في شؤون الحياة ونظام الحكم.

٩- بيّنت الدّراسة أنّ جهود الصَّحابة الكرام قد اتّسمت ببلوغ الذّروة في تحمّل السُّنة رغبةً وحبّاً، والتمسّك بها حرصاً وحفظاً، وتبليغها صافيةً نقية من الشّبهات والمحدثات، والوقوف الدَّقيق على أحوال رواتها ومرويّاتها، والإحاطة التامة بحقائقها ودقائقها، وقد بذل كلُّ صحابيّ وسْعَهُ حتى لم يجد في نفسه مزيدَ جُهد.

١٠- أظهرت الدّراسة آثار جهود الصّحابة الكرام في حقول العلم والمعرفة، والدّراسة الشّرعية، والثقافة الإسلاميّة، ومن ذلك:
- نقل السُّنة إلى التابعين وإلى الأمة كاملة صافية.
- تدوين الحديث الشَّريف تدويناً علميّاً دقيقاً، وتعدّد أشكال التصنيف المنهجيّ في روايته، وعلومه.
- ازدياد نشاط التأليف في السّيرة وحياة الصَّحابة.
- الصّياغة العلمية الدقيقة للفقه.
- تحفيز العقول على صَبْغ الثقافة بالإيمان والحيوية والمرونة.

١١- أشارت الدّراسة إلى آثار جهود الصّحابة في حياتنا المعاصرة، وثقافتنا الحاضرة وذلك من خلال:
- تجديد التأليف في علوم الحديث بلغة العصر.
- تحقيق المخطوطات، وتقديم رسائل جامعية حول السُّنة النبويّة.

- إعداد الفهارس والتصنيفات، والاستعانة بالبرمجيات الحاسوبيّة.
- عقد المؤتمرات والندوات الخاصة بالسّنة النبوية.
- إكثار العلماء والدّعاة من التأليف في السيرة وحياة الصَّحابة، والكتابة الإبداعيّة عن حياة الصَّحابة بأقلام الأدباء، والاهتمام الإعلاميّ بالصَّحابة الكرام.

١٢- أثبتت الدّراسة أنَّ للصّحابة ﷺ أعظمَ الواجب وأتمّه على هذه الأمّة التي عمَّها نوالُهم وهَدْيهم، ومن ذلك: الواجب المعرفيّ المتمثّل في:

- مدارسة حياتهم وسيرهم.
- العناية بأدبهم وبيانهم.
- التصدّي للأقلام الحاقدة، والألسنة المفترية.

والواجب التربويّ القائم على:

- إمداد نفوس الناشئة بشمائلهم الرّوحانيّة.
- تضمين حياتهم وسيرهم في المناهج التربويّة.
- لزوم طريقتهم التربويّة في الدَّعوة.

والواجب الحضاريّ الذي يقتضي:

- الاهتداء بالنموذج الراشديّ في الحكم والسّياسة.
- فقه جهادهم ومعاملتهم لغير المسلمين.
- استلهام مسيرتهم الإيمانية في النهوض الحضاريّ.

توصيات الدّراسة:

١- العمل على إصدار موسوعة علميّة شاملة عن الصّحابة الكرام يقوم عليها

خبراء متخصّصون في الحديث، والسيرة، واللغة والأدب، والتراجم، والتاريخ؛ لتكون مرجعاً موثوقاً في الجامعات ودور العلم في العالم الإسلاميّ.

٢- دراسة أدب الصّحابة الكرام، وتحليل نصوصهم؛ للإفادة من بلاغتهم وبيانهم في تقويم الألسنة الناطقة، والأقلام الكاتبة، وتدريس مساق عن أدب الصّحابة في أقسام اللغة العربية في الجامعات.

٣- تصميم مواقع إلكترونيّة مُحْكَمة على شبكة المعلومات (الإنترنت) عن الصّحابة الكرام باللغات الأجنبيّة، وخاصة اللغة الإنجليزيّة؛ لاطلاع الباحثين والدارسين على دورهم في هداية البشرية.

٤- إنشاء دار نشر عالميّة متخصّصة في الصّحابة الكرام، تُولي عناية للإخراج الفنيّ البديع، وجمال الحرف المطبوع، وتنشر بعدة لغات عالمية كالإنجليزية، والفرنسية، والصينية، والإسبانية.

٥- دعوة الهيئات العلميّة والخيريّة إلى العناية الفائقة بدور الصّحابة الكرام في الإشعاع الحضاريّ العالميّ من خلال إلقاء المحاضرات، وعقد الندوات، وإقامة المؤتمرات.

٦- تنظيم المسابقات الإبداعيّة للناشئة والكاتبين في محاور مختلفة عن حياة الصّحابة الكرام، ومنحهم جوائز تشجيعيّة سَخيّة.

٧- دعوة الباحثين والدّارسين إلى تناول مجالات بحثيّة دقيقة تتصل بحياة الصّحابة الكرام من مثل:

- جهود الصّحابة في حفظ العربيّة ونشرها.
- رحلة الصّحابيّات إلى طلب العلم في عصر النبوّة والعهد الرّاشديّ.

وختاماً،

أرجو أنْ تكونَ هذه الدّراسةُ صورةً لما اعتلجَ في نفسي من حبّهم، وقطعةً ممّا اختلجَ في قلبي من إكبارهم، وآيةَ بِرّ ووفاء تسمو بها روحي غداً حين تلقى الأحبة، محمّداً وصَحْبَه.

وتالله لو وضعتْ زخارفُ الدّنيا في حِجْري، ما عَدَلتْ ذرةً واحدةً من تلك السَّعادة التي سَرَتْ في جوانحي، ونفسي ترفرفُ في رَوْضهم البهيج، وقلمي يقطفُ من أزاهيرهم الحلوة اليانعة، فلله درّهم، ما يغيضُ حبُّهم إلا من قلبِ حاقد، ولا يفيض حبُّهم إلا من قلب مُتيّمٍ!

وإنّي لعلى يقين أنّه ما دَوَّنَ عن الصَّحابة ﷺ أحدٌ، ولا صنّفَ أو ألَّف، إلا استشعرَ التقصير، وجَسامة العبءِ الثقيل، فشأنهم أكبرُ وأرفع، ومكانتهم أجلُّ وأسطع، وحبّهم في القلوب أمرعُ وأينع، فأنّى يستطيع قلمٌ أن يوفّيَهم حقَّهم، ولو كان البحرُ مِداداً له؟

إلَهنا، جودُك دَلَّنا عليك، وإحسانُك أوصلنا إليك، وكَرَمُك قرَّبنا إليك،

نسألُك ما لا يَعْسرُ عليك، فحالُنا لا يخفى عليك، وأنتَ يا إلَهنا عليمٌ بحالنا، غنيٌّ عن سؤالنا،

نسألك حُبَّك، وحُبَّ نبيِّك محمّدٍ ﷺ، وحُبَّ صَحابته الكرام رضوان الله عليهم أجمعين.

﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾.

والحمدُ لله ربِّ العالمين.

المصادر المراجع

١ - القرآن الكريم.

٢- الإحكام في أصول الأحكام، ابن حَزْم، علي بن أحمد الظاهري (٤٥٧هـ)، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط ١، ١٣٤٥هـ.

٣- أخلاق العلماء، الآجُرّيّ، أبو بكر محمد بن الحسين (٣٦٠هـ)، حقّقه: الداني بن منير آل زهوي، دار الكتاب العربيّ، بيروت، ط١، ١٤٢٥هـ ٢٠٠٥م.

٤- أدب الحديث النبويّ، د بكري شيخ أمين، دار الشروق، بيروت، القاهرة، ط١، ١٤٠١هـ١٩٨١م.

٥- أدب الدّين والدّنيا، الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري (٤٥٠هـ)، شرح وتعليق: محمّد كريم راجح، دار اقرأ، بيروت، ط٥، ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م.

٦- الأدب المفرد الجامع للآداب النبويّة، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري(٢٥٦هـ)، بتخريجات وتعليقات: أبي عبد الرحمن محمد ناصر الدين الألباني، دار الدليل الأثرية، الجبيل- السعودية، مؤسسة الريان- بيروت، ط٣، ١٤٢٧هـ٢٠٠٦م.

٧- أربعون حديثاً في فضل الصَّحابة، محمد عبد الرحيم، دار الحكمة، دمشق، ط١، ١٤١٦هـ ١٩٩٥م.

٨- أساس البلاغة، الزمخشريّ، جار الله أبو القاسم محمود بن عمر (٥٣٨هـ)، دار الفكر، بيروت، د.ط، د.ت.

٩- أسباب النـزول، الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد (٤٦٨هـ)، دار الفكر، بيروت، د.ط، د.ت.

١٠- الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله بن محمّد (٤٦٣هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ.

١١- أُسْد الغابة في معرفة الصَّحابة، ابن الأثير، أبو الحسن عز الدين علي بن أبي الكَرم الجَزَريّ (٦٣٠هـ)، المطبعة الوهبية، مصر، ١٢٨٠هـ.

١٢- إسلامنا، السيد سابق، دار الفكر، بيروت، د.ط، ١٣٩٨هـ ١٩٧٨م.

١٣- الإصابة في تمييز الصَّحابة، ابن حَجر العسقلاني، أحمد بن علي بن حَجَر (٨٥٢هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط، د.ت.

١٤- الإصابة في فضائل وحقوق الصَّحابة، عبد الله بن صالح القصير، وزارة الأوقاف والدعوة والإرشاد، السعودية، ط١، ١٤٢٧هـ ٢٠٠٦م.

١٥- أصول التخريج ودراسة الأسانيد، د. محمود الطحان، مكتبة السّروات، ط٤، ١٤٠٢هـ١٩٨٢م.

١٦- أصول التربية الإسلامية وأساليبها، عبد الرحمن النحلاوي، دار الفكر، دمشق، د.ط، ١٣٩٩هـ

١٩٧٩,
١٧- أصول الحديث، علومه ومصطلحه، محمد عجاج الخطيب، دار الفكر، بيروت، ط ٢، , ١٩٨١
١٨- الأعلام، خير الدين الزِّرِكْلي، دار العلم للملايين، بيروت، ط ٤، ١٩٧٩م.
١٩- إعلام الموقّعين عن ربّ العالمين، ابن قيّم الجوزية (٧٥١هـ)، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ١٣٨٨هـ ١٩٦٨م.
٢٠- الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث، أبو الفداء إسماعيل بن كثير (٧٧٤هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار الكتب العلميّة، بيروت،د.ط، د.ت.
٢١- البرهان في أصول الفقه، الجويني، أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله (٤٧٨هـ)، تحقيق: د. عبد العظيم محمود الديب، دار الوفاء، مصر، ط ٤، د.ت.
٢٢- تاريخ الإسلام، حسن إبراهيم حسن، دار الأندلس، ط٧، ١٩٦٤م.
٢٣- تاريخ الطبري، المسمّى (تاريخ الأمم والملوك)، أبو جعفر محمد بن جرير الطبريّ (٣١٠هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط، د.ت.
٢٤- تاريخ المبرّزين من فقهاء الصّحابة، د. قحطان حمدي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٨هـ ٢٠٠٧م.
٢٥- تدريب الراوي في شرح تقريب النَّواويّ، السُّيوطي، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي(٩١١هـ)، تحقيق: عبد الوهاب عبد اللطيف، دار إحياء السنة النبوية، بيروت، ط٢، د.ت.
٢٦- التربية في عهد الرَّسول ﷺ، نشأتها وتطوّرها، د. حامد سالم الحربيّ، رابطة العالم الإسلامي، مكة المكرمة، ١٤١٩هـ.
٢٧- التمهيد في علوم الحديث، د. همام سعيد، دار الفرقان، عمّان، ط٤، ١٤٢٠هـ ٢٠٠٠هـ.
٢٨- تنبيه ذوي النّجابة إلى عدالة الصَّحابة، قرشي بن عمر بن أحمد، علّق عليه وخرّج أحاديثه: نبيل بن منصور البصَارة، دار الدعوة، الكويت، ط١، ١٤٠٤هـ ١٩٨٥م.
٢٩- تيسير مصطلح الحديث، محمود الطحان، دار القرآن، بيروت، ١٩٧٩م.
٣٠- جامع الأصول من أحاديث الرّسول، ابن الأثير، دار المعارف النظامية، الهند،د.ط، ١٣٢٧هـ.
٣١- الجامع الصَّحيح (وهو سُنن الترمذيّ)، للإمام محمد بن عيسى الترمذيّ (٢٩٧هـ)، الجزء الأول والثاني تحقيق: أحمد محمد شاكر، والجزء الثالث تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، والجزء الرابع والخامس تحقيق:كمال يوسف الحوت، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٧م.
٣٢- الجامع لأحكام القرآن، القرطبيّ، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاريّ القرطبيّ(٦٧١هـ)، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، د.ط، د.ت.
٣٣- الحديث النبويّ الشَّريف وأثره في الدّراسات اللغوية والنحويّة، د. محمد ضاري حمادي، الجمهورية العراقية، ط١، ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م.

٣٤- الحديث والمحدّثون، محمد محمد أبو زهو، دار الكتاب العربي، بيروت، د.ط، ١٩٨٤م.

٣٥- حقوق الإنسان في ضوء الحديث النبويّ، يسري محمد أرشد، كتاب الأمة، وزارة الأوقاف، قطر، ط١، ١٤٢٧هـ ٢٠٠٦م.

٣٦- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، الحافظ أبو نعيم الأصفهاني، أحمد بن عبد الله (٤٣٠هـ)، المكتبة السلفية، د.ط. د.ت.

٣٧- حياة الصَّحابة، محمد يوسف الكاندهلوي، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ١٩٨٧م.

٣٨- الخطوط العريضة، محبّ الدين الخطيب، (١٣٨٩هـ)، دار آل البيت الأطهار، د.ط، د.ت.

٣٩- الخلفاء الراشدون، عبد الوهاب النجار، دار الفكر، د.ط، د.ت.

٤٠- الخلفاء الراشدون بين الاستخلاف والاستشهاد، د. صلاح الخالدي، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، ط٤، ١٤٢٨هـ ٢٠٠٧م.

٤١- دراسات في النفس الإنسانية، محمد قطب، دار الشروق، بيروت، القاهرة، ١٣٩٩هـ , ١٩٧٩

٤٢- دراسة تحليلية لشخصية الرّسول ﷺ، د. محمد رواس قلعه جي، دار النفائس، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ ١٩٨٨م.

٤٣- دور المرأة في خدمة الحديث في القرون الثلاثة الأولى، آمال قرداش بنت الحسين، كتاب الأمة، وزارة الأوقاف، قطر، ١٤٢٠هـ.

٤٤- ذخائر العُقْبى في مناقب ذوي القربى، محبّ الدين أحمد بن عبد الله الطبريّ (٦٩٤هـ)، اعتنى به ووضع حواشيه: محمد أمين ضنَّاوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٧هـ ٢٠٠٦م.

٤٥- الرَّحيق المختوم، صفي الرحمن المباركفوري، دار ابن حزم، بيروت، ط١، ١٤٢٣هـ ٢٠٠٢.

٤٦- الرّسالة الخالدة، عبد الرحمن عزّام، المطبعة الوطنية، عمان، ط٢، ١٣٩٦هـ١٩٧٦م.

٤٧- الرَّسول ﷺ في قلوب أصحابه، وليد الأعظمي، مكتبة البشائر- عمان، مكتبة القدس- بغداد، ط٢، ١٤٠٤هـ١٩٨٤م.

٤٨- روائع حضارتنا، د. مصطفى السّباعي، مطبعة النور النموذجية، عمّان، ط ١٠، ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م.

٤٩- روضة المحبين، ابن قيّم الجوزية (٧٥١هـ)، خرّج أحاديثه وعلّق عليه: طه عبد الرَّؤوف سعيد، وياسر صلاح عزب، المكتبة التوفيقية، القاهرة، د.ط، د.ت.

٥٠- زاد على الطريق، مصطفى مشهور، دار الأرقم، عمان، د.ط، ١٤٠٥هـ ١٩٨٤م.

٥١- زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن قيّم الجوزية (٧٥١هـ)، راجعه وقدّم له: طه عبد الرؤوف طه، شركة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ١٣٩٠هـ ١٩٧٠م.

٥٢- السُّنة ومكانتها في التشريع الإسلاميّ د. مصطفى السباعي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٤، ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م.

٥٣- سنن أبي داود، أبو داود السّجستاني (٢٧٥هـ) راجعه وضبطه: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، د.ط، د.ت.

٥٤- سنن الدَّارمي، أبو محمّد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل (٢٥٥هـ)، تحقيق: فواز أحمد زمرلي، وخالد السبع العلمي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط ٢، ١٤٠٧هـ.

٥٥- سنن ابن ماجه، ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد القَزوينيّ،(٢٧٥هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت، د.ط، د.ت.

٥٦- سير أعلام النبلاء، الذهبي، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (٧٤٨هـ)، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، ومحمد نعيم العرقسوسي، ط٩، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٣هـ.

٥٧- سيرة الرّسول ﷺ دروس وعبر، محمد متولي الشَّعراوي، أشرف عليه واعتنى به: أحمد الزعبي، دار القلم، بيروت، د.ط، د.ت.

٥٨- سيرة الصَّحابة ﷺ، د.مصطفى مراد، دار الفجر للتراث، القاهرة، د.ط، د.ت.

٥٩- السّيرة النبويّة، ابن هشام، أبو محمد عبد الملك بن هشام (٢١٨هـ)، تحقيق: مصطفى السّقا ورفيقيه، دار الكنوز الأدبية، د.ط، د.ت.

٦٠- السّيرة النبويّة، دروس للشباب، سليمان محمّد السّرطاوي، د.ط، ١٤١٠هـ ١٩٨٩م.

٥٩- السّيرة النبويّة دروس وعبر، د.مصطفى السباعي، المكتب الإسلامي، دمشق، بيروت، ط ٥، ١٤٠٠هـ ١٩٨٠م.

٦١- السَّيف المسلول الذَاب عن أصحاب الرّسول ﷺ، جمال بن محمد بن محمود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٢٨ هـ ٢٠٠٧م.

٦٢- شرح العقيدة الطَّحاويّة، ابن أبي العزّ الحنفي، تحقيق: الشيخ محمد ناصر الدين الألبانيّ، الدار الإسلامي، عمان، ط١، ١٤١٩هـ ١٩٩٨م.

٦٣- شرح قطر النّدى وبلّ الصّدى، ابن هشام الأنصاريّ (٧٦١هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، د. ط، د.ت.

٦٤- الشّعر والشّعراء في الكتاب والسنّة، يوسف العظم، دار الفرقان، عمان ط١، ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م.

٦٥- الشِّفا بتعريف حقوق المصطفى، القاضي عياض، أبو الفضل عياض بن موس اليَحْصُبيّ، (٥٤٤هـ) تحقيق: حسين عبدالحميد نيل، دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، د.ط، د.ت.

٦٦- الشَّوقيات، أحمد شوقي، دار مكتبة التربية، بيروت، د.ط، ١٩٩٤م.

٦٧- صحابة رسول الله وجهودهم في تعليم القرآن الكريم، د. أنس أحمد كرزون، دار نور المكتبات- جدة، دار ابن حزم- بيروت، ط١، ١٤٢٤هـ ٢٠٠٣م.

٦٨- الصّحابة على لسان رسول الله ﷺ، أسامة عمّورة، مكتبة دار المحبّة، دمشق، د.ط، د.ت.

٦٩- الصَّحابة وجهودهم في حفظ السُّنة، د. عمر يوسف حمزة، دار أسامة، عمّان، ط١، ١٩٩٦م.
٧٠- الصَّحابة وجهودهم في خدمة الحديث النبويّ، د. السيد محمد نوح، دار الوفاء، المنصورة، ط١ ١٤١٤هـ-١٩٩٣م.

٧١- الصُّحبة والصَّحابة، أحمد علي الإمام، سلسلة دعوة الحق، رابطة العالم الإسلاميّ، مكة المكرمة، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.
٧٢- صحيح البخاريّ، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاريّ (٢٥٦هـ)، تقديم فضيلة الشيخ: أحمد محمد شاكر، دار الجيل، بيروت، د.ط، د.ت.
٧٣- صحيح السّيرة النبويّة، إبراهيم العلي، تقديم: د.عمر سليمان الأشقر، راجعه: د. همام سعيد، دار النفائس، عمّان، ط١، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م.
٧٤- صحيح مسلم بشرح النووي، تحقيق: الشّيخ خليل شيحا، دار المعرفة، بيروت، ط ٨، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.
٧٥- صفة الصّفوة، ابن الجوزيّ، أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزيّ، (٥٩٧هـ)، حقّقه: محمود فاخوري، وخرّج أحاديثه: د.محمد رواس قلعه جي، دار المعرفة، بيروت، ط٣، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.
٧٦- صفحات من صبر العلماء على شدائد العلم والتحصيل، عبد الفتاح أبو غُدّة، اعتنى بإخراجه: سلمان بن عبد الفتاح أبو غدّة، مكتب المطبوعات الإسلاميّة، بيروت، ط٧، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.
٧٧- صور وخواطر، علي الطنطاوي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٤، ١٣٩٨هـ.
٧٨- صيد الخاطر، ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزيّ (٥٩٧هـ)، تحقيق: د. السيد محمد سيد، و سيد إبراهيم، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.
٧٩- طبقات الحنابلة، ابن يعلى، محمد بن أبي يعلى (٥٢٤هـ)، دار المعرفة، بيروت. د.ط، د.ت.
٨٠- الطَّبقات الكبرى، ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع الهاشمي البصري (٢٣٠هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.
٨١- عبقرية محمّد، عبّاس محمود العقّاد، (المجموعة الكاملة لمؤلفات العقّاد) دار الكتاب اللبناني، بيروت، د.ط، د.ت.
٨٢-العصر الإسلامي، سلسلة الأدب العربي، شوقي ضيف، المعارف مصر، ط ٧، د.ت.
٨٣- عظمة محمّد خاتم رسل الله، مصطفى أحمد الزَّرقا، دار القلم، دمشق، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.
٨٤- علم أصول الجرح والتعديل، د. أمين أبو لاوي، دار ابن عفّان، الخُبَر، ط١، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.
٨٥- علوم الحديث ومصطلحه، د. صبحي الصّالح، دار العلم للملايين، بيروت، ط١٦، ١٩٨٦م.
٨٦- علي بن المديني، إبراهيم محمد العلي، دار القلم، دمشق، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ-١٩٩٤م.

٨٧- العواصم من القواصم في تحقيق مواقف الصَّحابة بعد وفاة النبيّ ﷺ، أبو بكر بن العربيّ (٥٤٣هـ)، تحقيق: محبّ الدين الخطيب، دار الكتب السَّلفية، د.ط، د.ت.
٨٨- فتح الباري بشرح صحيح البخاريّ، ابن حَجَر العسقلاني، أحمد بن علي بن حَجَر (٨٥٢هـ)، تحقيق: الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز، دار الفكر، بيروت، د.ط، ١٤١٦هـ١٩٩٦م.
٨٩- فتح المغيث شرح ألفية الحديث، الإمام محمد بن عبد الرحمن السّخاوي (٩٠٢هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٣هـ.
٩٠- فضائل الصّحابة، النسائيّ، أحمد بن شعيب النَّسائي (٣٠٣هـ) تحقيق: د.فاروق حمادة، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط١، ١٤١٤هـ١٩٨٤م.
٩١- فضائل الصَّحابة من فتح الباري بشرح صحيح البخاريّ، تحقيق: خالد عبد الفتاح شبل، الشركة العالمية للكتاب، بيروت، ط١، ١٩٩٠م.
٩٢- فقه السّيرة، محمد الغزالي،خرّج أحاديث الكتاب: العلامة محمد ناصر الألبانيّ، دار الكتب الحديثة، القاهرة، ط ٧، ١٩٧٦م.
٩٣- القاموس المحيط، الفيروزآبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب (٨١٧هـ)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤٠٧هـ١٩٨٧م.
٩٤- قبسات من حياة الصحابة، علي الشّربجي، دار ابن كثير، بيروت، ط٢، ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م.
٩٥- قصص من حياة الرّسول وأصحابه، محمد علي دولة، دار القلم، دمشق، بيروت، ط٣، ١٤٠١هـ١٩٨١م.
٩٦- الكافي في علوم الحديث، أبو الحسن علي بن أبي محمّد التبريزي (٧٤٦هـ)، شرحه وخرّج أحاديثه: مشهور بن حسن آل سلمان، الدار الأثرية، عمان، ط١، ١٤٢٩هـ ٢٠٠٨م.
٩٧- كتاب فضائل الصَّحابة، الإمام أحمد بن حنبل، (٢٤١هـ) حقّقه وخرّج أحاديثه: وصيّ الله بن محمّد عبّاس، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م.
٩٨-كتاب العين، أبو عبد الله الخليل بن أحمد الفراهيديّ (١٧٥هـ)، طبعة مرتبة وفقاً للترتيب الهجائيّ، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ ٢٠٠١م.
٩٩- الكفاية في علم الرواية، الخطيب البغداديّ، أبو بكر أحمد بن علي البغداديّ (٤٦٣هـ)، دار الكتب الحديثة، القاهرة، ط ٢، د.ت.
١٠٠- كنز العمّال في سنن الأقوال والأفعال، الهندي، علاء الدين علي المتقي الهنديّ (٩٧٥هـ)، تحقيق: بكري حياني، وصفوة السّقا، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٥، ١٤٠١هـ ١٩٨١م.
١٠١- لسان العرب، ابن منظور، محمد بن مكرم (٧١١هـ)، حقّقه: عامر أحمد حيدر، راجعه: عبد المنعم خليل إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٤هـ ٢٠٠٣م.
١٠٢- لمحات في أصول الحديث، محمد أديب الصالح، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٣، ١٣٩٩هـ.

١٠٣- مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، إدارة البحوث العلميّة، الرياض، ط٢، ١٣٩٨هـ.
١٠٤- محبة النبي ﷺ وتعظيمه، عبد الله الخضيري، وعبد اللطيف الحسن، كتاب مجلة البيان، لندن، ط١، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.
١٠٥- مختار الصِّحاح، الرّازي، محمد بن أبي بكر الرَّازي (٦٦٠هـ)، دار القلم، د.ط، ١٩٧٩م.
١٠٦- مختصر تفسير ابن كثير (٧٧٤هـ)، محمد علي الصابوني، دار الفكر بيروت، د.ط، د.ت.
١٠٧- مختصر السيرة النبوية لابن كثير (٧٧٤هـ)، اختصار وشرح: محمد علي قطب، دار المسيرة، بيروت، ط١، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م.
١٠٨- المرويّات التاريخية والمآثر والمناقب لكتّاب الوحي، عمر قحطان العزّاوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.
١٠٩- المستدرك على الصَّحيحين، الحاكم النيسابوريّ، أبو عبد الله محمد بن عبد الله النيسابوريّ (٤٠٥هـ)، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١١هـ-١٩٩٠م.
١١٠- مسند الإمام أحمد، أحمد بن حنبل (٢٤١هـ)، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرّسالة، ط١، ١٤١٨ هـ.
١١١- مشكلات الشّباب: الحلول المطروحة والحل الإسلاميّ، د. عباس محجوب، كتاب الأمة، وزارة الأوقاف، قطر، ط ٢، ١٤٠٦هـ.
١١٢- المصباح المنير في غريب الشّرح الكبير، الفيوميّ، أبو العباس أحمد بن محمّد بن عليّ المقرئ الفيّوميّ (٧٧٠هـ)، اعتنى به: عادل مرشد، د.ط، د.ت.
١١٣- المعارف، ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الديتوري (٢٧٦هـ)، تحقيق: ثروت عكاشة، دار المعارف، مصر، ط٢، ١٩٦٩م.
١١٤- معجم مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمّد (٥٠٣هـ)، ضبطه وصحّحه: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.
١١٥- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت، ط ٢، ١٤٠١هـ-١٩٨١م.
١١٦- معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس (٣٥٩هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، د.ط، د.ت.
١١٧- المعجم الوسيط د.إبراهيم أنيس، ورفاقه، مجمع اللغة العربية، القاهرة، ط٢، د.ت.
١١٨- مفهوم الفقه الإسلامي وتطوره، نظام الدين عبد الحميد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٩٨٤م.
١١٩- مقدّمة ابن الصّلاح في علوم الحديث، ابن الصّلاح، أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن الشهرزوريّ

(٦٤٢هـ)، علّق عليه وخرّج أحاديثه: صلاح بن محمد بن عويضة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.
١٢٠- منهاج السُّنة النبويّة، ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم (٧٢٨هـ) ، تحقيق: د. رشاد محمد سالم، مؤسسة قرطبة، ط١، ١٤٠٦هـ.
١٢١- منهج السياق في فهم النص، د. عبد الرحمن بودرع، كتاب الأمة، وزارة الأوقاف، قطر، ط ١، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.
١٢٢- المنهج النبويّ في التعليم القرآنيّ، د. عبد السلام مقبل المجيدي، جمعية المحافظة على القرآن الكريم، عمّان، ط١، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.
١٢٣- المنهل الرّوي في مختصر علوم الحديث النبويّ، ابن جماعة، (٧٣٣هـ)، تحقيق: د. محيي الدين عبد الرحمن رمضان، دار الفكر، دمشق، ط٢ ، ١٤٠٦هـ.
١٢٤- موطّأ الإمام مالك، أبو عبد الله مالك بن أنس الأصبحي (١٧٩هـ)، رواية محمد بن الحسن الشيباني، تحقيق: عبد الوهاب عبد اللطيف، دار القلم، بيروت، ط٢، ١٩٨٤م.
١٢٥- نزهة المتقين شرح رياض الصالحين، د. مصطفى الخن ورفاقه، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١٥، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.
١٢٦- النهاية في غريب الحديث والأثر، للإمام ابن الأثير (٦٠٦هـ)، تحقيق: الطاهر أحمد الزاوي، ومحمود محمد الطناحي، دار الفكر، بيروت، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.
١٢٧- الوافي في شرح الأربعين النوويّة، د. مصطفى البغا، ومحيي الدين مستو، دار ابن كثير، دمشق- بيروت، ط ١٢، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.

الدّوريات والمجلات:

١ - إسلامية المعرفة، المعهد العالميّ للفكر الإسلاميّ، س ٥، ع ١٨، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
٢- مجلة الأزهر، مجمع البحوث الإسلامية، القاهرة، س ٧٢، ج ٦، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
٣- مجلة الشَّريعة والدّراسات الإسلامية، مجلس النشر العلمي، جامعة الكويت، س ٢١، ع ٦٤، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.
٤ - مجلة مجمع اللغة العربيّة الأردني، عمّان - الأردن:
س ١، ع ١، ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م.
س ١، العدد المزدوج ١٥-١٦، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م.

شبكة المعلومات (الإنترنت):

١. www.al-sahabah.com
٢. www.ashraf-online.com
٣. www.sahabaway.com
٤. www.shaabah.jeeran.com
٥. www.taimiah.org

الفهرس